

كتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
فناوری اطلاعات اسلامی

دارالاسلام للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب الفكري
مناجيبها فريش، تميزها : سحرها : سحرها : سحرها

الأسبوع الثامن (العدد ١٧)

٤٨ ريالاً للافراد و١٠٠ ريالاً للمؤسسات
الإعلانات : يشق عليها مع الإدارة
نمبر: ٨ رسالات

ج ١ و ٢ س ١٧ — رجب وشعبان ١٤٠٢ هـ ايار وحزيران (مايو/يونيو) ١٩٨٢ م

”العرب“ في عامها السابع عشر

وأنسى السجایا الکرمة التي یُصِفُ بها أستاذنا الجلیل الدكتور علي جواد الطاهر أن لا یَقِفَ عند حَدِّ المَوازنة المادیة المعنویة لِمَجَلَّةِ ”العرب“ ، بِإِمدادها بِبحوثه الممتعة عن الحیاة العلمیة الثقافیة فی هذه البلاد — بصورة مستمرة ، وأن یَجَلِّسَ مَظَاهِرَ هذه الحیاة ، ویرزها متکاملة متصلة الأجزاء فی حقیة من الزمن تُزید علی نصف قرن ، فقد برز اسمه کاتباً فی هذه المِجلَّة منذ ثلاثة عشر عاماً (س ٥ ص ١٣٥ شعبان سنة ١٣٩٠) واستمر إلى الآن .

تأبى تلك السجایا الکرمة إلا أن تُصِیَفَ بِأَفْضَالٍ ، وأن تُزید کَرَمًا فی رَمَنٍ قَلَّ فیهِ مَنْ یفعل الخیر لَخیر نفسه . بل إن شئت فقلْ مع الشی :
إِنَّا لَنُفِی زَمَنٍ نَزَلَ الْقُسْبُوحُ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَاقْفَانًا

لقد نَحَدَّثُ أستاذنا الکریم عن ”العرب“ فی جریدة ”الجمهورية“ العراقیة — عَدد یوم الجمعة ٢٣ جادی الأولی — ١٤٠٢ هـ ١٩ آذار سنة ١٩٨٢ م — حَدِثَ العالمَ التَّوْبَهُ القَصْدُ ، السَّامِیَ الغَايَةُ . وإن کنت أَکَادُ أنوارِی خِجَلًا بما یُصِیَلُ مِنِ مِی ذَالکَ الحَدِثِ بِحِثِّ نَوَدُّدُتْ فی نشره : لَیْسَ لِي — وَقد أَتَرکتُ نَبْلَ الغَايَةِ وَسَمَوُهَا — رَأِیتُ فی نشره تَعَلُّةً نَفْسٍ ، وَباعثَ أَمَلٍ ، وَأُنی بِمَوَالَاةِ إِصدارِ هذه المِجلَّة أَسْبَرُ علی نَهْجٍ یَنظُرُ إِلَیهِ ذَوو الفِضْلِ نَظَرَةَ تَقْدِیرٍ . فلماذا لَا أَکُونُ عند حسن ظنهم فی — ما وَجَدْتُ إلی ذَالکَ سَبِلاً — ؟

وَإِذْ : فَلْيَعْزُونی مِنَ القراءِ مَنْ یرى فی نشره حَدِثًا عَنِ النَفْسِ لَمْ یَعْتَدِ قَرَأَ هذه المِجلَّة تَقْدِیمَهُ . وَلِیَقْبِلَهَا أستاذنا الطاهر حَیةً عَرفانًا بِالفِضْلِ . وَتَغِیرَ عَنِ عَمِیقِ التَّقْدِیرِ وَالشُّکْرِ .

مدحش هذا البَحاثة الشیخ حَسَدُ خَسَرٍ لِنَقِيبِ بِحَقِّ : عَلامَةِ الجَزِیرَةِ العَرِیةِ . وَلَکِنَّا لَسْنَا — الْیَوْمَ — بِصَدَدِهِ . وَلَا بِصَدَدِ نِشاطِهِ العامِ فی التَّأْلِیفِ وَالتَّحْقِیقِ ، أَوْ الْخَاصِّ فی الصَّحَافَةِ وَالتَّطْبَاعَةِ ... وَانما بِصَدَدِ الْأَخْصِ مِنْ ذَالکَ أیِ مِجلَّةِ ”العرب“ . وَهی ”مِجلَّةٌ تعنِ بِتَاریخِ العربِ وَأَدبِهِمِ وَتَراثِهِمِ الفِکَرِی“ تعنِ بِمعْنی أدقِّ بِالْجَزِیرَةِ العَرِیةِ أَمَاکنَ وَقَبَائِلَ وَإِماراتٍ وَحُکُوماتٍ تَاریخًا وَأَدبًا ...

ولیس سَهْلًا أَنْ نَحْصِيَ مِجلَّةً أَهْلِیةً شَخْصِیةً بِمَوْضُوعٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ التَّخْصِصَ الدَّقِیقَ مِنْ مَهَمَّاتِ دَوائرِ حُکُومِیةٍ مَعِینَةٍ فی مَقَدِّمَتِهَا الجَامِعَاتُ وَالْجَامِعُ وَالْوَزاراتُ ، تَتَّفَقُ عَلَیْهَا وَعلی کُتَابِهَا ، وَتَدِیمُ حَیَاتِهَا بِتَعْوِیضِ الخِسائرِ المَالِیَةِ . أَمَا أَنْ تَکُونَ مِجلَّةً مَنخُوصَةً جَدًّا

٩٨٣٢٤

شماره ثبت

تاریخ ١٣٨٥/٣/١٠

ويدعم حياتها الروحية والمادية شخص واحد فذلك الأمر الصعب ، النادر . المستحيل ... الذي يثير الدهشة والإعجاب ويستدعي الاحترام والاكبار .

وتزداد نسبة الاستحالة وملحقاتها بنظرة — ولو خاطفة عابرة — على مجلدات « مجلة العرب » هذه لنرى الجهد الخارق الذي يبذله ... طواعية وطبعاً — « شيخ » بعينه . والتخصص النادر الذي يستوعبه ... ذاتياً وهواية — ذلك الشيخ الذي فرض مجد السلف على « شهادات » الخلف .

صدر الجزء (العدد) الأول من سنه الأولى في رجب ١٣٨٦ — تشرين الأول ١٩٦٦ مجلة شهرية . وليست المسألة — لمن يعرف بعضاً من أحوالها — هينة . في وقت تعجز مجلات تصدرها جهات رسمية عن الاستمرار ، ومواصلة الخطوات . ولم يكن في البلاد آنذاك تلك الطباعة التي تقم الأود ، وإذا كانت فتكاليها خيالية وأنعابها جمة خصوصاً لمشروع فردي جداً مجلة متخصصة جداً .

أين يطبعها ؟ .. وأين يقيم من أجلها ؟ وكانت بيروت ، وكان مكتب خاص بها بشرط رسمي من الحكومة اللبنانية بأن يشترى ولا يبيع .. وأن يطبع ويدفع . وتوالى الاصدار ، ومضت السنة الأولى سالمة بأعدادها الاثني عشر ... أعقبها سنة وسنوات والمجلة تلقى الإكرام والتبجيل والجاسر يحيا من أجلها لا عليها فهي حبه وهي غرامه ... وهي وجوده .

وهذا بعض النادر العجيب في الموضوع ، فالجاسر إذ يجهد ويضحى وبهاجر ... لا يفكر بالكسب التجاري ، ان كيانه قائم على الكسب الأدبي وعلى أن يهيء لنفسه ما يحقق رغبته ويوصله إلى معشوقته ومن ثم بث أشجانه .

وأشجانه شجون من كل وإد ينصل بالجزيرة العربية من بحث عميق متفرد . وهنا تأتي النادرة الأخرى التي تدخل في المستحيل كذلك : ان المغذي الرئيس للمجلة هو قلم الشيخ حمد الجاسر نفسه . انك تمسك بالعدد فتراه على تنوعه بين البحث والنقد والتحقيق في مادة البر والبحر والجو .. في الجبال والوديان أو الرياض من شؤون جزيرة العرب فتروّعك موضوعات متنوعة عميقة في بابها يستحيل أن نجد لها بين الأحياء من الشيوخ والشباب ، بين أهل العلم القديم (ودكاترة) التخصص الحديث .. الاقلام اللازمة — فضلاً عن القلم الواحد المثمر . نقول : قلم ، على سبيل المجاز — كما هو معروف — والا فهو العلم والحافظة والذاكرة والذكاء والمتابعة المتصلة على مدى عقود العمر والإخلاص والحب وما لا ينتهي من الحلال الحميدة والجهود المحمودة — إن

الرجل يرينا صورة لما نقرأ في كتب التراث عن أحمد من يمجدهم التراث قولاً وعملاً علماً وتأليفاً .

وفي بحوث مجلة العرب المتسلسلة ما يؤلف مجموعة كتباً كاملة عديدة . ومن التحقيقات المتسلسلة ، يصنع كتباً كاملة عديدة أخرى . المجلة ، مجلة العرب ، بمعنى موجز : مكتبة يؤلفها قلم واحد والشيخ ، الشيخ حمد الجاسر علم يعدل بجمعاً علمياً واحداً — وقد وردت كلمة « واحد » هنا موازنة للجملة السابقة فقط .

صاحب المجلة صلبها وعمودها وروحها ولا بأس في قلم من هنا وقلم من هناك والمساهمون بهذا المعنى محدودون لأن باب المجلة ضيق وعالمها محدود . لقد اعتمد الجاسر على قلمه وحده منذ البداية . وهكذا فإنك لا تكاد ترى في العدد اسماً غير حمد الجاسر ، وإذا وقعت على بحث غير موقع فاعلم أنه الجاسر كذلك فطابعه عليه وعلمه فيه وهويته خلاله .

صدر الجزء الأول — إذن — في رجب ١٣٨٦ — تشرين الأول ١٩٦٦ مجلة شهرية : اثني عشر جزءاً في السنة ، واستمر الأمر على ذلك سبع سنوات ، وودعت المجلة سنّها السابعة ودخلت الثامنة وهي كذلك — رجب ١٣٩٣ أب ١٩٧٣ — بالجهود الخارق والغرام الذي لا يثني . وصدر الأول والثاني والثالث والرابع شهرياً وتعددت أمور الطبع .. فإذا يعمل مغرم كالشيخ حمد ؟ إنه يضحى بحياته ولا يضحى بالمجلة . وكان الحل الوسط أن يصدرها كل شهرين (أي ستة أعداد في السنة) مع زيادة في صفحات العدد وهكذا كان أجزاء سنّها الثامنة ثمانية وصاحبها مرتاح لعمله ، فرح به ، متحداً للصعوبات . ولا شك في أنه يجد في مجلته حياته وقطعة من مجده — ومن لا يطلب المجد ؟ ولم لا نطلبه ؟ !

وتوالت — على ذلك — أجزاء مزدوجة — قد تكون خمسة — من المجلد التاسع .. واشتدت حرباً لا تبقى ولا تذر .. وتمتد الأزمة في لبنان وتستحيل حرباً لا تبقى ولا تذر ويمتد الباطل إلى مكتب الشيخ الجاسر ، فما يعمل ؟

عاد إلى الرياض وكان أهم ما يحمله أن يكمل المجلد التاسع ولم يكن بد من التوقف . أهو نهاي ؟ قد يتبادر ذلك إلى الذهن ، والا فلا الذي يدعو الشيخ وهو في هذه السن (من أبواب السبعين) إلى تحمل هذه المشاق ، وليس الآتي منها بأقل من الفائت . هكذا يتبادر إلى الذهن . ولكن من عرف غرام الشيخ بمجلته يرى غير هذا الرأي . وهكذا كان ، وما هي الا أن عاد المجلد التاسع مودعاً باعتذار الشيخ وعادت العرب

فأكمل موجز : « تأخر طبع هذا الجزء لأسباب معروفة » — وأشك في أنها معروفة على الدرجة التي يعرفها صاحبها ولكنه لا يريد أن يدخل في تفصيلات خارج « الخزيرة » — كان تاريخ ذلك الجزء : جهاديان ١٣٩٥ — حزيران وعموز ١٩٧٥ .

وتوالى أجزاء السنة العاشرة طبع ثلثها الأولان في الرياض وثلثها الأخير في القاهرة ثم طلعت السنة الحادية عشرة بافتاحية قصيرة غير مألوفة لدى صاحبها . ولكن لا بد منها : « احتجبت المجلة عن قرائها عاماً كاملاً ، وهو احتجاج لا بد للقائمين على إصدار المجلة منه ، فلقد كانت تطبع في بيروت : بموافقة (وزارة الإعلام) لأسباب اضطرت لذلك ، منذ عشر سنوات ، وقد تم معظم أجزاء السنة الماضية — سنة المجلة العاشرة — ولكن عدت عليها عوادي الفتنة التي قامت في تلك السنة ، ولا تزال قائمة . ولكن يجب أن لا تذهب حقوق فذهب ما طبع منها مع ذهب ! القراء الذين قدموا ما طلب متطلعين إلى ما يطلبون ، فكانت أولى المحاولات طبع الأجزاء التي تأخر وصولها إليهم وتقديمها لهم ، غير أن قدرة المطابع في بلادنا على طبع ما يقارب ألف صفحة مغلفاً مجزءاً في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر وإن كانت متوفرة ، لن تحظى بها مجلة لا يتجاوز المطبوع منها بضعة آلاف من النسخ ، لا تبلغ أجرة طبعها من نفوس أصحاب تلك المطابع ما تبلغه الأجر التي تدفع للمطبوعات الأخرى .. » .

وليلاحظ أن الشيخ الجاسر كان — إذا كان — في بيروت — بهيم عدة أعداد مطبوعة جاهزة سلفاً قبل موعد صدورها بشهور ... وأنه إذا صعب عليه استدراك الفائت بإصداره أجزاء مستقلة ، تلافي الأمر بـ « إصدار أجزاء تلك السنة ، مع أجزاء هذه السنة في وقت واحد ، وتقديمها للقراء ، فباحث المجلة لا تتأثر بالزمن والاستفادة منها حاصلة في الحالين » .

ومضى يصدر أجزاء السنة الحادية عشرة فطبع ثلثها الأولين في الرياض والثلث الأخير في القاهرة وبلغ الاجتهاد حد الشكوى — وإذا شك الجاسر كان معنى ذلك غاية القسوة وحسبك أنه كاد يقف عن العمل ، كاد وفعل لولا عون من يعرف الجاسر ويعرف العرب .. واجتاز أطرافاً من العقبات ومضى راشداً .. فرحاً فأصدر أجزاء السنة الحادية عشرة ، وطفح الفرح (لدرجة الخلاء — ولم لا ؟) في افتتاحية المجلد الثاني :

« وبهذا الجزء تستقبل مجلة « العرب » سنّها الثالثة عشرة ، بعد أن قدمت لقرائنا من الغذاء الفكري في سنواتها الماضية ما شغل فراغ (١٤١٦) من الصفحات ، أي أنها قدمت للقارئ عن كل سنة من سنينها كتاباً تتجاوز صفحاته ١١٧٨ » .

نقطة ضعف في تاريخ ابن حبان

[من أبحاث الملتقى العلمي في موضوع تاريخ الأندلس ، الذي أقيم في مدينة الرباط ، في المحرم سنة ١٤٠٢ هـ -
أنظر «العرب» - ص ٦٤٩ - السنة السادسة عشرة] .

يحظى مؤرخ الأندلس أبو مروان ابن حبان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩) بتقدير كبير من المؤرخين وعموم الكتاب ببلده ، يعتمدونه في الأخبار ، وينقلون عنه تراجم الرجال ، ويعجبون بأدبه وأسلوبه البليغ ، حتى قال فيه تلميذه أبو علي الغساني - وهو من هو علما وديناً - : (كان عالي السن ، قوي المعرفة ، مستبحراً في الآداب ، بارعاً فيها ، صاحب لواء التاريخ بالأندلس ، أفصح الناس فيه ، وأحسنهم نظاماً (أي تأليفاً) له) ونوه به ابن حزم في رسالته في «فضل الأندلس» . وهو بعد حي في طور الاكتحال . كما قال . وكذلك نوه به الشقندي في رسالته المعروفة .

ولا يستغرب من أهل الأندلس أن يحيطوا نابغة من نبغاتهم بهذه الحالة من التقدير ، وهم الذين عرفوا بفرط الاعتزاز ببلدهم ، والاعتداد برجالاتهم ، إلى حد التعصب . على أنه في الواقع شخصية فذة لا جدال في قيمة ما قدمه الينا من مادة تاريخية دسمة ، تنوزع ماضي الأندلس من لدن الفتح العربي إلى زمنه ، وحاضرها المعاصر له ، في كتابيه «المقتبس» «والمتين» ، بمجلداتهما العديدة التي لم يصلنا منها إلا أقل القليل .

واستقبلت ... بعد ذلك سنها الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسادسة عشرة .. وهي هي عمقاً وتنوعاً ضمن الوادي الضيق ، وطرافة وتخصّصاً .. يمدّها الشيخ الجليل بعمله وعقله وخلقه .. وصبره وتضحياته .. وحبه وغرامه ..

وها هي ذي تستقبل عامها السابع عشر .. أليس ذلك من عجائب الدنيا .. التي تدل على أن الإنسان ما زال بخير .

وإذا كنت فخوراً - وربما مختلاً - بأني أملك أعداد العرب كاملة منذ الجزء الأول الصادر في رجب ١٣٨٦ تشرين الأول ١٩٦٦ فأني أتمنى أن تجد لتصل إلى الأيدي التي تطلبها المجلة مجالاً أوسع في التوزيع والمكتبات العامة التي لا تستغني عنها .. ونحية للشيخ الجليل .. تتبعها نحايًا ونحايًا ..

بغداد : د. علي جواد الطاهر .

المعلومات والإفادات التي تهمهم في الموضوع ، ويعرضون عن لَمَرَاتِهِ وَغَمَرَاتِهِ ، ونبيله من الأعراض والأشخاص الذين يترجم لهم . وابن بشكوال في كتابه « الصلّة » أول من يفعل ذلك ، ولما ترجم لصاحبنا ابن حيان اثني عليه الثناء الجميل ، وأشار إلى ما ينتقد عليه في ذلك في صورة افراء على عادة العلماء ، إذ حكى عن الفقيه الصالح ابن عبد الله بن عون أنه رآه في النوم بعد وفاته ، فسأله ما فعل الله به ؟ فقال غفر لي . قال : فَقُلْتُ له فالتاريخ الذي صنعت ندمت عليه ؟ فقال : أما والله لقد ندمت عليه إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي . فهذه الحكاية صحت أم لا ، في سياقها الجميل اعتذار لطيف ، كان هو الإعلان من ابن بشكوال رحمه الله عن عدم موافقته على صنيع ابن حيان في نَثِّ عيوب الناس ، ولو كانت واقعا ثابتا ، فإنه لم يقدح في صدقه ولكنه استنكر التشهير بعباد الله فيما أُمِرْنَا بِسِتْرِهِ وعدم البحث عنه ، لا سيما مع عدم المقتضى للذكر ، واستكمال فائدة الخبر بالسكوت عنه ، فإنه حينئذ يصبح هجاءً ، وهل يكون المؤرخ هَجَاءً (بكسر الهاء في الأول وفتحها مع التشديد للجيم في الثاني) .

وإني أخشى أن يكون طبع الأديب — بالمفهوم القديم — قد غلب على ابن حيان ، فساقه إلى قرن المديح بالهجاء ، إذ كان الأمران لا يتفقان في نظر أهل الأدب ، فموضوع المدح يتبعه موضوع الهجاء ، وخاصة عند الشعراء ، وابن حيان وإن لم يكن شاعرا فهو قد تأثر بأساليب الشعراء وأغراضهم فيما يظهر ، واعتبر الهجاء فناً من فنون القول ، وغرضاً من أغراض الكتابة .

وقد كان ابنُ بسّام صاحب كتاب « الذخيرة » أصرح من ابن بشكوال في إدانة ابن حيان ، حين سَمَّى فعله هذا بالهجاء . ولم يحجم في ذلك فقال وهو يشتقي مقاطعاً من نثره : (وهذه فصول مقتضية من طويل كلامه في تاريخه ، وكُنِيتُ عن أكثر من به صرح ، وأعجمت باسم من به أعرب . وأفصح ، رغبة بكتابي عن الشين ، وبنيضي عن أن أكون أحد الهاجِيتين) وتمثل فيه بقول ابن الرومي :

مَهْمَا تَقُلْ فِيهِمْ مِنْكَ مُرْسَلَةٌ وَفُوكَ قَوْسُكَ وَالْأَعْرَاضُ أَغْرَاضُ
وَمَا تَكَلِمْتَ إِلَّا قُلْتَ فَاحْشَةً كَأَنَّ فَكَّيْكَ لِلْأَعْرَاضِ مَقْرَاضُ

وهذا أحد الفصول التي ذكرها ابن بسام من إنشاء صاحبنا وأبهم المعنى به : (نُعي)

وبالاطلاع على ما أمكن من هذه المادة ، نجد أنه حقاً أديب متمكن ، واسع المعرفة ، جزل العبارة ، قوي الأسلوب ، بحيث يُعدُّ من بلغاء كتاب عصره ، إلا أنه سلم من آفة السجع الذي كان قد أصبح حيلة الكتاب ، وعلامة البراعة . وهذه المكانة الأدبية هي التي جعلته متميزاً بين المؤرخين بصفاء ديباجته ، وعلو لغته ، لأن طبع الأديب فيه يغلب على طبع المؤرخ ، حتى أنه يقع في كلامه بعض الألفاظ الغريبة أحياناً . ومع ذلك فهو في التاريخ نسيج وحده ، في عصره وبلده ، استوعب تواريخ من سبقه لعهد الولاة ، وخلافة قرطبة ، إلى حين سقوطها ، وسجل ما شهدته من أحداث التاريخ الكبرى ، كأخبار الدولة العامرية والفتنة البربرية وقيام ملوك الطوائف وغير ذلك بدقة متناهية ، واستقصاء كامل ، مما جعله المرجع الوحيد في هذه الفترة الخطيرة من تاريخ الأندلس الذي لا غنى عنه لكاتب أو باحث .

وبالجملية فهو من كبار المؤرخين الذين ظهوروا في مغرب الوطن العربي ، وإن لم يكتب تاريخاً عاماً يشمل البلاد العربية والإسلامية ، كما فعل ابن جرير الطبري وابن الأثير وابن كثير وأبي الفدا وابن خلدون وغيرهم من أئمة التاريخ العام ، لكنه وقد قصر تاريخه على بلاده الأندلس ، سدَّ فراغاً لولاه لم يُسدَّ . وعمل في دائرته الخاصة عملاً متقناً . فلحق بركب المؤرخين المجيدين ، والمؤلفين المتميزين في هذا الشأن .

ويبالغ بعض الكتاب في شأنه فيجعلونه أعظم مؤرخ ظهر في الأندلس ، ورئياً في المغرب العربي كله ، متأثرين بمبالغات الأندلسيين في تركية بعضهم لبعض ، ونحن لم نره تفرد بشيء ليس عند غيره من أعلام التاريخ المذكورين ، وإذا كان كتاباه المشهوران : «المقتبس» و«المتين» ، لم يصلنا إلينا كاملين ، وإنما وصلنا منها أجزاء صغيرة ، فإن زبدتها قد استخلصها من أتى بعده من المؤرخين ، الذين وقفوا عليها ، وما هي بيدٌ في مدونات التاريخ .

نعم تفرد ابن حيان عن جمهرة المؤرخين العرب بشيء لا يُحمد عليه ، ولا يُعدُّ من المميزات الحسنة ، بل هو نقطة ضعف في تاريخه ، تجعل القارئ لا يطمئن إلى كل ما يرويهِ أو يخبر به . ونعني بذلك الذم والطعن والتشنيع على الناس ، مما صَحَّ منه غير واحد من العلماء والمؤرخين الذين نقلوا عنه واستفادوا منه ، فكانوا يستخلصون

الينا فلان ، وكان في غفلته وبُعد فطته وغباوة شاهده وفجاجة شائله وشكاسة خلائقه ، آية من آيات خالقه ، من رجل نسمة ريب وقرارة حرب ، على لسانه نملة تدبُّ على أعراض الناس ، لا يرعى لأحدٍ ذمّةً ، فصار مشنوءاً إليهم ، ومرهقاً في دينه ، محروماً لم ترتفع له قط حال ، ولا غارقه إقلال ، ولا أتيح له مرفق إلا من حيث يرتشي لتلقين خصم ، أو توهين عقد أو دفع حق بمشاغبة ، أو بهتٍ خَصْمُ بمعاذة ، له في ذلك نواذر محفوظة ، وكان مع هذه المساوىء وسخ الثياب ، زَيْنَ المروءة ، مكحل الأظفور ، وضر الطوق ، داني الغائط من المائدة ، لا يتقذر شيئاً البتة ، وهو أول من لَاعَنَ زوجته بالأندلس ، فأرى الناس العمل في اللعان بالعيان .

وَالْمَعْنَى بهذا الكلام البذيء هو الفقيه ابنُ الهنديّ المشهور من أعلام القطر الأندلسي ، فإنه الذي لَاعَنَ زوجته ، كما يذكر الفقهاء ، في باب اللعان بحكم صاحب الشرطة ، وعُوتِبَ في ذلك فقال : أردت إحياء سُنَّةِ أُمَيَّتٍ ، حكاه عنه ابن عات ، وتعقبه البرزلي بقوله : قد أغنى الله تعالى عنه بما جاء في كتابه ، ويعني من الطلاق ، والستر أولى ، ولكن فات البرزلي أن اللعان قد يكون لنفي نسب فيجب ، ثم هو مما يَدْرَأُ الحدَّ عن الزوجة والقذف عن الزوج ، فلم يُشْرَعْ عبثاً بل لحفظ كرامة الزوجين معاً ، وعليه فتشيع ابن حيان على ابن الهندي به هو من التعت ، إن لم يكن من الاعتراض على الشريعة .

ثم لننظر كيف يأكل لحم هذا الفقيه الكبير بعد موته ، وكيف يعيبه بما وقع فيه من ثلب الأعراض ، إلى غير ذلك من الأسباب القدر وكل ذلك مما نُهيّ عنه شرعاً ، فقد جاء في الحديث : «سَيَابُ الْمُؤْمِنِ فَسُوقٌ» .

وهذا إنما هو نموذج واحد من عدة فصول أثبتها ابن بسام في مستقى كلامه وأبهم المعنيين بها ، ولكن الباحث المعروف الدكتور محمود علي مكّي توصل إلى معرفة البعض منهم وسَمَّاهم ، فيما كتبه على القطعة التي نشرها من «المقتبس» ، وهم ابن الحصار وابن مغيث وابن المكوي وابن ذكوان وابن زرب ، وهؤلاء كلهم من أعيان الفقهاء ، ورجال الفتوى والقضاء ، المعمول بأقوالهم وأحكامهم في المذهب المالكي ، فيما لَجُرَّأَوْ هذا الرجل على الحرمات وخاصة أهل العلم والدين !!

والدكتور مكّي على علمه وتحقيقه هو من يُشايح ابنَ حَيَّان ويتصرّ له . حتى أنه وصف تخرج ابن بشكّوال من نقل مطاعن ابن حيان في أهل عصره وما حكاه من رؤيا ابن عون له في المنام ، بالتدبُّن الساذج ، فالتدبُّن الحكيم إذنُ هو سلوك ابن حَيَّان ...!

ويذكرني هذا الكلام بقول أمين الريحاني — وهو سيخّر بلحن رهبان لبنان في صورة دفاع عنهم —: جعله الله دفاعاً مقبولاً لديهم فيدافعون عني يوم القيامة ، كما قال ابن خلدون متميّاً في دفاعه عن حسب الأدارسة ونسبهم !... فالموضوع بحاله ، لأن ابنَ خلدون مُقَعَّدُ التاريخ ، وواضع علم الاجتماع ، تعرض في مقدمته لتفنيد بعض مزاعم المؤرخين ، ومنها الطعن في نسب الأدارسة بما تقوله خصومهم ، من أمثال البكريّ والمرأونية الأندلسيين فضلاً عن العباسيين البغداديين ، على ادريس بن ادريس من نسبة لراشد مولى أبيه ، ضيقاً بدولتهم العلوية ، التي أنشأوها في المغرب وتخطباً لها ، فتصدّى لهم بالانكار والتنديد ، غيرة على آل البيت وانتصاراً لهم ، وقال في آخر كلامه : (إنما اطّبت في هذا الردّ سداً لأبواب الرّيب ، ودفعاً في صدر الحاسد ، لما سمعته أذناني من قائله المتعدي عليهم به ، القادح في نسبهم بفرية ، وينقله يزعمه عن بعض مؤرخي المغرب فمن انصرف عن أهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم ، والا فالخلل ممّره عن ذلك معصوم منه ، ونبي العيب حيث يستحيل العيب ، عيّب . لكنني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجو أن يجادلوا عني يوم القيامة ..

وليس فضولاً أن نذكّر على ما في كلام الريحاني من الاستهزاء بقضايا الدين ورجاله ، ولكننا نريد أن ننبه إلى روح الحفاظ التي تقمصها فيلسوف المؤرخين ، ولقّبها لأصحاب المهنة في هذه الفضلكة وأمثالها مما ضمنه في مقدمته الخالدة ، إشعاراً بأنّ التاريخ ليس قصيدة هجاء ، أو مقالة تشهير بخضم ، ولكنه إعلام نزيه وانباء صادق ، وقول حق ، وذمة وضمير ومسؤولية ... وقد وضع ابن خلدون قواعد هذا العلم ، وقرر أصوله ، ولكنه لم يطبقها على أحداث التاريخ التي حكّاها في كتابه الكبير ، اكتفاء بما أعطاه من أمثلة تطبيقية في المقدمة ، لأنه لو تبع ذلك لما انتهى إلى غاية ، ولوقع في حرج كبير . هذا مع العلم بأنه لم يكن ليفوته مثل هراء صاحبنا ابن حيان ، ولكنه أعرض عنه إعراض الكرام ، يقيناً بكونه ليس من التاريخ في شيء . ونحامل المؤرخين أو نحيزهم

باعتبار العامل السياسي وركونهم إلى حكام عصرهم ، همّا من القواسم المشتركة بينهم جميعاً قُدماءً ، ومحدثين ، وما ابن حيان إلا واحد منهم ، فتوليه لخلقاء قرطبة وبني جَهْوَور من ملوك الطوائف هو مما تطفح به صفحات تاريخه ، ولكن هذا ليس مما يعنينا الآن ، فنحن إنما نتكلم على هذه الانتقادات الاعتبارية والنزوات الشخصية التي تفرض على التاريخ ، وتُدَسُّ بين ثنائه ، ومن منا لا ينكرها وقد أنكرها ابن حيان نفسه في كلامه عن أحد الشعراء ، الذي أرسل آفة على أهل بيت لأمر أؤدي به من بعضهم ، فعسم بهجائه وأفحش لهم ^(١) على أن هذا من شأن الشعراء ، وليس من شأن المؤرخين .

ولنستمع إلى كلمة قيمة في هذا الصدد من كتاب « معيد النعم ومبيد النقم » لتاج الدين السبكي ، قال وهو يتحدث عن طوائف العلماء : (ومنهم المؤرخون ، وهم على شفا جُرْفٍ هار ، لأنهم يتسلطون على أعراض الناس ، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من كاذب أو صادق ، فلا بُدَّ أن يكون المؤرخ عالماً حافظاً عدلاً ، عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبين من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما يحمله على الغض منه ، وربما كان الباعث له على النيل منه مخالفته له في العقيدة أو المذهب ... وكثيراً ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي في حقّ الأشاعرة ، والذهبي أستاذنا والحقُّ أحقُّ أن يتبع .. وقد عقد ابن عبد البر باباً في أن كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل ، وإن كان كلُّ منهم بمفرده ثقة حجة . ومنهم من تأخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب ، ويركب الصعب والدلول في العصبية ، وهذا من سوء أخلاقهم ، ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض ، ولو كان الشافعي وأبو حنيفة حيين لشدَّداً النكير على هذه الطائفة .. انتهى باختصار .

وبالإشارة إلى ما ذكره من تعصب الفقهاء وإزراء بعضهم على بعض ، نذكر هنا ابن حزم عَصْرِيَّ ابن حيان ، فإنه في هذا الباب قد جاوز كل الحدود ، في الطعن على الأئمة والاستخفاف بهم ، اعتداداً بمذهبه الظاهري ، واعتقاداً منه بأنه هو الصواب الذي لا يرقى إليه خطأ ، حتى شبه بعض العلماء لسانه بِسَيْفٍ الحِمَجَّاج . ولعله ما أشنى على

(١) أنظر ص ١٧٦ من الفتاوى ، تحقيق د . مكّي . نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — القاهرة .

صاحبنا ابن حيان الا لتوافقه وإياه في هذا الأمر .

ونذكر من الأدباء الفتح ابن خاقان ، وما كتبه عن أبي بكر بن باجة في «قلائد العقيان» من السخافات ، حتى أنه طعن في دينه ، وهو العبقرى النافذ البصر ، في فنون العلم والأدب ، والذي يعد مفعرة من مفاخر الأندلس ، يرغم كل ما قاله فيه صاحب «القلائد» .

ومن المؤسف أن تتجلى هذه الظاهرة في فئة من أهل العلم والأدب ، وهي ظاهرة مَرَضِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا تُشَرِّفُ صاحبنا بحال ، ولكن الذي يبعث على الارتياح هو أن أحداً لا يبالى بها ولا يحملها إلا على يحملها الكريه ، من الغرض والأنانية واختلال المزاج ، ومن ثم حكم الفقهاء بعدم جواز شهادة العلماء بعضهم في بعض ، لما يكتشفها من الشبهة وسوء القصد إلا من رحم ربك ، وبالله التوفيق .

عبدالله كنون

تعليق لأبي عبد الرحمن الظاهري :

أطلعني شيخني الوالد حمد الجاسر حفظه الله — لما يعرفه من حُرْمَتِي — على مقالة العلامة المؤرخ الأستاذ عبدالله كنون عن (نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان) التي ألفاها في (اللقاء العلمي في موضوع تاريخ الأندلس وآثار أبي مروان بن حيان) الذي نظم في مدينة الرباط في المحرم سنة ١٤٠٢ (نوفمبر سنة ١٩٨١ م) .

ومع هيبتي لمقام الأستاذ كنون العلمي لا سيما في تاريخ المغرب إلا أن هذا لا يمنعني من إبداء ملاحظات مسترشد لا معترض لعلها تشجذ همة الأستاذ في تقديم بحث مضفر المرائر عن سليلات ابن حيان وإيجابياته معاً وهي كالتالي :

١ — ابن حيان سلم من آفة السجع كما قال الأستاذ ، واعتبرت السجع آفة لأننا وجدناه عند ابن خاقان في أكثر من موضع يُجرُّ إلى مغايرة المعنى أو إقحام قضية ليست من الترجمة لأجل السجع فحسب كقوله عن ابن حزم — ان لم تحني الذاكرة — فقيه مستنبط وقياسه مرتبط .

فالاستنباط ليس من ميزات ابن حزم ، والقياس ليس من مذهبه إلا أن فاصلتي مستنبط ومرتبطة قسرنه على هذه الصيغة .

إلا أنني أعتبر ترسل ابن حيان لا يقل آفة عن سجع ابن خاقان ، لأن بغاة أحداث التاريخ وحقائقه يتأذون من مضغ الكلام ، وإن كان في قبة الفن ، وإنما يقبلون الإحالة بأسلوب أهل الجدل — لا بأسلوب أهل الرسل الإنشائي إذا اقتضى الأمر تصحيح رأي وتقليد آخر .

إلا أن ابن حيان ظاهرة تاريخية ، في قلة مبكرة تتفاعل مع الأحداث فيكتب بأسلوب عاطفي على نحو ما بيته دارسو فن السيرة .

٢ — يرى الأستاذ أن كتابات ابن حيان ليست بيدع في التاريخ إلا ما تميز به من الطعن والتشنيع ، إلا أن الأندلسيين يبالغون في تركيته كمعادتهم .

ومع أن هذا الكلام مناقض لما قبله حيث اعتبره المرجع الوحيد في فترات معينة فإنه سنده بحجة عليه لا له ، إذ قال : فإن زبدتها — أي زبدة كتابيه « المتين » و « المقتبس » — قد استخلصها من أتى بعده .

فاستخلاص من بعده لها يُقرُّ زيادته ولا ينفيها .

ولغياب « المقتبس » و « المتين » عنا فسيظل الحكم ناقصاً إلا أننا نجد زيادة ابن حيان بفوائد خلال كتب من جاء بعده من عدة ظاهرات .

منها : أننا نجد عند ابن بسام وابن بشكوال وابن عبد الملك وغيرهم نصوصاً مدارها على ابن حيان لا يمكن أن نجدها عند غيره ، وأذكر على سبيل المثال تسجيله لوقائع الشحنة بين عبد الوهاب بن حزم وخاله .

ومنها تفرده بأحداث تاريخية مخالفة لغيره فكثيراً ما نجد عند ابن بشكوال رأيين أو ثلاثة في حدث ما ، كتاريخ وفاة ، وأحد هذه الآراء لابن حيان .

ومنها : أن ابن حيان جدّد طريقة ابن الفرضي فعني بمكان الوفاة واسم المقبرة ، واسم المسجد وإمام الجنازة ، قصداً وتبعاً ، وكان ذلك يرد عند المؤرخين مصادفة .

ومنها : أنه أدخل في التاريخ فن الاستنباط كما فعل الحميدي ، ولم يكن حشويًا ،
ويدخل ضمن هذا استفادته من الكتب التي ليست مظنة للتاريخ .
ومنها : مشاهداته — وهو رجل عالمي السن — وأوصافه الحسية أو المعنوية لمن
شاهدهم كوصفه لابن حزم عند المناظرة ، وانطلاقه من حساسية أهل بلده حول من
مات ولم يحج ، ولهذا عاب ابن الحصار يونس بن مغيث وغيره بأنهم لم يحجوا .
ومنها : شدة الثقة والرجيح في الأحداث التي أوردتها ، وكان مشاهدًا لها ،
كأحداث العامريين والبرابرة ، وملوك الطوائف ، لا سيما أن والده من الرجال
التاريخيين ، وإنما يُستثنى من ذلك ما يحتمل أنه انتحله من الأخبار لأجل العداء
الشخصي فنقل ابن حيّان مُرجّح في هذا ، بغض النظر عن آرائه الشخصية التي صاغها
بأسلوبه الأدبي .

٣ — ابن حيّان صاحب هوى في آرائه بلا ريب ، لأجل ميوله السياسية ولكن
إدخاله في قضية كلام الأقران عن بعضهم ليس بصحيح .

فابن اسحاق وصف مالكًا بالدجال ، ومالك كذّبه ، فليس بين الرجلين ، أهواء
وإنما هو الخلاف في طرق التوثيق التاريخي رغبة في الحق .

وابن أبي ذئب قال : يُستتاب مالك أو يقتل ، فليس ابن أبي ذئب صاحب هوى
وإنما هو الخلاف في المذهب ، وكل واحد أُغْيِرَ على الحق من الآخر .

والذهبي حط على الأشاعرة وفضل عليهم أهل الحديث ولم يعجبه أهل الرأي
والفلسفة ، ولكنه لم يُزَيّف عليهم أحداثًا تاريخية .

ومن أهواء ابن حيّان في أحداث التاريخ — لا في الآراء — مكابرتة حول نسب
ابن حزم بسبب ما يُحتمل من التنافس بين أبيهما في صحبة السلطان ، وحظوة أحمد
بن حزم بالوزارة العامة بما يقارب مرتبة رئيس مجلس الوزراء في العصر الحديث .

٤ — وصف لسان ابن حزم بسيف الحجاج ليس هو من كلام العلماء وإنما هي
كلمة قالها رجل عامي من الزهاد المعروفين بالصلاح ، وهو ابن العريف فتناقلها
المترجمون .

وقد بين ابن خليل العبدري في مقدمة تنسبه لكتاب «السُّحْلَى» فساد هذا التشبيه لأن لسان ابن حزم سيفٌ حقٌّ ، ولهذا سماه ابن قيم الجوزية منجنيق أهل المغرب .

٥ — ابن حزم لم يستخفَ بالعلماء والأئمة ، بل كان أعرفُ مُجتَهدي المسلمين بفضلهم ، وإنما استخفَّ وسخفَ ونكَّت بالآراء الفاسدة ، وهاجم الجمود ، ونقد نقداً لا ذعاً عَوَّامَ الفقهاء في عصره ، الذين لا يعرفون غير «المدونة» وقد ظلموه واستعدوا عليه اللطة والعامة وكاتبوه بالأساليب السخيفة كرسالة العتقي وأبي الوليد بن البارية .

٦ — الفتح بن خاقان في «القلائد» رجل مرتزق ، صاحب هوى ، وقد نصَّ المترجمون على قصة جمعه للتراجم ونصرفه فيها .

٧ — ذكر الأستاذ كتون أنه يوجد شيء من «المتين» وهذه إفادة جديدة إذ من المعروف بين المفهرسين أن «المتين» مفقود ، وإنما وجد ضميمتان من «المقتبس» ونشرتا .

وابن حزم اطلع على «المقتبس» ولم يطلع على «المتين» لأنه ألفه بعد وفاة ابن حزم . ويظهر لي أن ابن حيان ألف «المتين» بعدما كبر ، وضعف عن المراجعة فطول ذيلُه بالآراء والأساليب الإنشائية .
وصلى الله على محمد .

وكتبه

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

العرب : حَبَّذَ لَوْ أَنَّ الأستاذ ابن عقيل أشار إلى موقف آل السبكي — عفا الله عنهم — ومنهم من استشهد العلامة الأستاذ عبد الله كُتُون بكلامه — إلى موقفهم من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية في محاربة التوسل المحرم ، والرد على المبتدعة ، وبيان زُيفِ الأشاعرة في الصفات ، ومخالفتها لرأي الإمام أبي الحسن الأشعري . —

آل (الْجَرَبَاءُ): في التاريخ والأدب

— ١ —

١ — المقدمة :

فيا بين عام ١٣٧٣ — ١٣٧٨ هـ كنت أسمع أخبار عبد الكريم الجرباء (أبو خوزة) وصفوق الجرباء على لسان محمد بن يُحْيَان — رحمه الله — وبعض من يفدون إلى شقراء في رمضان ممن يتلقَّفهم الوالد رحمه الله .

وبني من أذكاهم العاطرة ظل في ذاكرتي كأعقاب الخُلم ، ومنذ سنة عندما بدأت تأليف كتابي «ديوان الشعر العامي» تلقفت عن آل الجرباء — كغيرهم من الأسر — أشاتاً من هنا وهناك ، لتكون ذخيري في تفسير هذا الشعر فحسب ، ولم أدر أن هذه الشذرات ستكون بحثاً منهجياً عن أسرة آل الجرباء ، وقد نشرته إفادات متفرقة في الجزء الثاني من «ديوان الشعر العامي» ثم زودني شبحي حمد الجاسر بإفادات جديدة من كتاب «مطالع السعود» لابن سند ومجلة «لغة العرب» التي يصدرها أنستاس الكرملي ، مع معلومات أخرى تجمعت عندي فأثرت أفراد آل الجرباء ببحث مستقل .

ولا ريب أنَّ الومضات عنهم في كتب التاريخ والأنساب لا تعطي صورة كاملة فاستعنت — بعد الله — بالرواية الشفهية والشعر العامي في تبيين هذه الصورة .

وفاتني من المصادر الجزء الأول من عشائر العراق للعزاوي وعشائر الشام لوصفي زكريا وهما مصدران رئيسيان أتوقع أن فيها جديداً .

ولا شك أنَّ صاحب كتاب «معيد النعم» تاج الدين السبكي في كلامه بحق الإمام الذهبي متأثر بما هو معروف من مناصرة الذهبي للمذهب الإمام ابن تيمية ، في مسألة النوسل ، وفي الرَّد على الأشاعرة . ومع أنه — والله يعفو عنه — دَمَّ وقوع العلماء بعضهم في بعض ، إلا أن المطلع على كتاب «طبقات الشافعية» يرى فيه العجب العجيب من هذا الأمر الذي نعاه مؤلفه على العلماء .

وأُسرة آل الجرباء من الأسر التي تفتخر بلادنا بأجادهما عندما رحلت إلى العراق وسوريا ، فكانت بناءً وطنياً في هذين القطرين ، وكَوَّنتُ أدباً نَجْدِيّاً هناك ، ونشرت عادات وتقاليد البلد الذي رحلت منه إلا أن مما لا يُحَمَّد للشامة هناك الإخلال بالأمن ، وإعادة سنة السلب والنهب والثارات الجاهلية .

روى عبد الجبار الراوي أن فرحان باشا بن صفوق الجرباء قال لأهل قرية المشاهدة بالعراق وقد أعجبه ضخامة أجسامهم : لماذا لا تغزون ؟

فقالوا : لا نحسن الغزو ولا نستطيعه .

فقال : أغزوا من هو أظْفَعُ منكم ^(١) !!

ومن معاناتي لهذا البحث بدا لي أن ما كان مغموراً من تاريخنا يمكن أن يشع بملاحظة عناصر أرجو أن يُعنى بها شيخنا حمد الجاسر ومن نهج لهم المسلك ممن سيأتون بعده .

وهذه العناصر تتلخص في التالي :

١ — الاعتناء بتاريخ وأنساب وآداب الأقطار الأخرى ، حيث ارتحال الأسر والبهادي ، وتعاقب الأحداث الأخرى يربط نَجْداً بغيرها ، فربما وجدنا في تواريخ الحجاز عن نجد ما لا نجد في كتب تاريخ نجد .

وعلى سبيل المثال أذكر قصة ابن عُرُوجٍ نقرأ عنه وعن أسرته :

الرَّزُولُ زَوْلُهُ وَالْحَلَايَا حَلَايَاهُ وَالْفِعْلُ مَا هُوَ فِعْلٌ صَافِي الْخَصَائِلِ

° ° °

جانا من (العَارِض) رُكَّيْبٍ يَهْيِفُو يَتْلُونَ ابن عُرُوجٍ مُقْدِمِ بَنِي لَامٍ

وأكثر ما نجد عند أهل نجد قولهم : ابن عُرُوجٍ آخر ملوك بني لام .

وتظل القصة عندنا كالأسطورة فتزعم بنا المصادفات إلى كتب أهل العراق فنجد في كتاب «أنساب العشائر العربية في النجف الأشرف» لناجي وداعة الشريس توثيقات تاريخية تؤكد الرواية الأدبية النجدية .

فقد ذكر الشريس أسرة في النجف تعرف بآل شُكْرٍ ، من آل حديد الأحسائي ، وهو شكر بن محمد بن شكر بن حمود بن علي الأحسائي من أحفاد يوسف بن حديد بن عروج من آل غَزِيٍّ من القُصُول من بني لام .

وكتاب الشريس ليس من نوع التخرصات التي توجد عند مؤرخينا ونسائينا ، فقد اعتمد على أوراق أوقاف ومواريث كوقفية لآل ثابت مؤرخة في ٩٨٠ هـ ووقفية للحاج ناصر بن علي الأحسائي مؤرخة في ١١٧٤ هـ ووقفية لشكر بن حمود آل حديد مؤرخة في ١٢٢٥ هـ .

ونقل عن كتاب «أنساب العرب» لسمير عبد الرزاق القطب أن حديد بن عروج آخر من بني في نجد من عشيرة آل غَزِيٍّ من القُصُول . وذكر عنه أن رئاسة حديد بعد عجل بن حنيم ، وقد تولي بعده محمد بن حديد^(٢) .

وقد أفادت من هذا الكتاب في ربط سلسلة النسب بين آل فارس وآل رشيد وآل علي .

ومستفاد منه في ربط السلسلة لبعض الأسر المتحضرة من البوادي .
فَصَمُّ مِثْل هذه الإفادات يُكَلِّفُ وَيَحْصُ بعضَ معلومات النسابين والمؤرخين في نجد .

٢ الاكتفاء بما نشر من كتب الأنساب والرحلات ومعاجم البلدان إلى حدود القرن الرابع واستحياء ما بعد ذلك مما يضيف معلومات ولا يكرها .

وقد أحسن الشيخ حمد صنعاً في نشره لقسم من «مسالك الأبصار» رغم أنه أفاد منه النسابون الذين جاؤا بعد ابن فضل الله .

ولقد أفاد الشيخ حمد من كتاب ابن رسول إفادات هو المصدر الوحيد فيها . وحبذا لو استمرت العناية بكتب الأنساب لما بعد القرن الرابع والاحتفاء بكل ما تأخر عصره مما هو قبل كتابات المعاصرين .

وأتوقع أن كتاب مجمع الأنساب لابن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ هـ ربما أفاد جديداً^(٣)

وهكذا كل ما تأخر عصره .

٣ — العناية بالشعر العامي ، بلهجة أهل نجد منذ نشأته إلى استقرار الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، لتفسير التاريخ وتعميقه وقد لمست هذه الفائدة في الأسفار الستة التي أنهيتها من كتاب « الشعر العامي » .

٤ — الاتصال مباشرة بالأسر النجدية والأعيان من أفخاذ البوادي للإفادة من وثائق أوقافهم وموارثهم .

٥ — الاضطلاع بدليل (بيلوجرافي) عن تاريخ الجزيرة وأنسابها وأعلامها من كتب التاريخ والتراجم والرحلات والأنساب لا سيما كتب التراجم في القرن الثامن إلى آخر الثالث عشر .

ولقد سمعت من شبيخي إبراهيم العثمان أن أحد سلاطين الماليك — ولعله أحوال إلى أحد كتب المقريري — طلب مقابلة بعض أعيان نجد .

وأظنه أحوالي إلى رحلة ابن الجاور إلى نص من الشعر العامي ينسب لعبد علي الغاضري .

ووجدت في تاريخ العصامي قصيدة لمحمد بن جدوع في مدح بركات بن إبراهيم الشريف من نوع الشعر العامي القديم الذي دونه ابن يحيى ونشره ابن حاتم .

ووجدت في « أنساب أهل عمان » ما وصلت به تاريخ بعض الأسر الحاكمة في البحرين وذلك في السفر الأول من كتابي عن « الشعر العامي » .

وعلمت علم اليقين من قصيدة للكليف (الخليف) أن مقرن بن غصيب استرد ملك الأحساء من آل مغامس ، وأن الأتراك استولوا على الأحساء والحكام من آل أجود كما قال ابن بشر وغيره وإنما أخطأ ابن بشر في التاريخ فحسب .

وعلى أي حال فالمشروع (البيلجرافي) لهذه التتبع يعين طلبة العلم على تجلية تاريخهم المغمور لا سيما بعد افتتاح العامة على خزانات المخطوطات وتيسر التصوير ، وقد كنا منذ عقد من الزمن نرى إحالة المؤرخ إلى مخطوط من كبرى المناقب .

وفي الختام أقدم خالص شكري لأستاذ الجيل حمد الجاسر الذي قدم لي رفرده ،
وأرجو أن يتم نواقصه بما في مخطوطته عن الجيل من أخبار وأشعار آل خبهم والله
المستعان .

وكتبه لكم

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

١٤٠٢/٤/٩ هـ

٢ — نسبهم وقصة رحيلهم من الجنوب إلى بلاد الجبلين ثم رحلتهم إلى العراق
وسوريا :

من المتفق عليه بين النسابين أن آل الجرباء من عبدة من شمر .

ومنهم قسم دخلوا في سنجارة من شمر ، ولا يزالون الآن في سوريا بزراعة ميزر
الجرباء شيخ الفداغة ، ودهام الجرباء شيخ الخرصه^(١) .

وشمر بطن من ثعل بن عمرو من طيء كما قال ابن الكلبي .

وهي اليوم من كبريات القبائل العربية .

ولما تكلم ابن لعبون عن شمر أبي القبيلة قال :

وقد غلبت هذه النسبة إلى شمر على أهل جبل طيء من البادية وبعض الحاضرة
والظاهر أنهم كلهم ليسوا من نسله ولا يبعد أن ينسب إليه غير من يجتمع معه في عمود
نسبه من سائر طيء وكذلك من خالطهم أو نازهم من جاور أو حليف قد ينسب إليهم
مع تناول الأزمان^(٢) .

قال أبو عبد الرحمن : إذن عبدة من أكبر قبائل شمر الطائية حلفاً ، وهي من قبيلة
جنب المذحجية نسباً .

فهم أبناء عم عبدة من قحطان .

قال شاعر من عبدة من قحطان :

إِنْ سَلْتُ عَنْهُ بِالسُّوَيْطِيِّ قَحَاطِينَ عَوَاصِمَ ، وَاللِّي حَدَّثَنَا إِفْقَائِي
حِنًا وَعَبْدَةَ وَالضَّبَاغِمَ بُجْدَتِينَ لَطَامَةُ يَوْمَ اللَّقَا كُلِّ مَايَقُ^(٦)

فأما عن عموم طيسى فقد ذكر النسابون أن قبيلة طيسى خرجت من اليمن على إثر
خروج الأزد منه ونزلوا سَمِيرَاءَ وفيداً في جوار بني أسد ثم غلبوا بني أسد على أجبأ وسَلَمَى
فعرقا فيما بعد بجبلي طيسى .

وذكر ابن سعيد أنهم أصحاب الرياسة في العرب في عصره بالعراق والشام .
ورثاسهم في بني ربيعة بن حازم من أحفاد سلسلة بن غنم من أحفاد فطرة بن طيسى .
فقد ورثوا أرض غسان والشام ومن أشهر أسرهم آل عيسى بن مهنا بن فضل بن ربيعة
أثنى عليهم ابن فضل الله العمري كثيراً^(٧) .

وكان شيخنا حمد الجاسر ألف عن آل فضل كتاباً في صغره ، وحدثني مشافهة أن
عقب آل فضل باقون حتى الآن بالأردن .

وشمر بطن من طيسى ولكنها في العصور المتأخرة أصبحت يجمع البطون الطائية مع
أخلاق أخرى دخلت فيها بالخلف^(٨) .

وقد نسب ابن دَحِيلِ آل علي وآل رشيد إلى آل فضل ولا سند له إلا أنهم حلُّوا
محلهم في المكان والإمارة أما كتب الأنساب فدخلت على أنهم من مَذْحِج .

فإن صح أن عَبْدَةَ من شمر — كما نقل العزاوي^٩ عن ابن قدامة — فلا ريب أن
زعماهم آل ضَيْغَمَ من جنب من مَذْحِج وقد دخلوا في عبدة .

وآل ضَيْغَمَ إلى آخر القرن السابع الهجري لا يزالون في الجنوب في بلاد مَذْحِج .

ويظهر — استثناساً بالأسماء — أن آل علي وآل رشيد من ذرية شهوان بن منصور
بن ضَيْغَمَ بن منيف بن جابر بن علي الذي ذكره ابن رسول .

ولعل بين جدهم الأَدْنَى عرار بن شهوان وشهوان بن منصور جدّاً اسمه فارس بن
طعان استثناساً بنص عن آل فارس سيأتي بيانه .

وإنما نسبتهم إلى فارس بن طعان لأن آل خليل هم أبناء خليل بن جاسر بن علي بن عطية من آل جعفر ، وقد ذكر الشريس أن آل فارس وآل خليل بطن واحدة وابن فارس محمد كان حياً عام ١١٠٩ .

ثم ذكر أن آل صادق من ذرية عبدالله بن محمد بن علي من آل فارس فإذا كان آل صادق أبناء عم آل علي وكانوا من آل فارس بن طعان ، فال علي من ذرية فارس . وكلهم من آل جعفر وقد ذكر ابن بسام أن آل جعفر من الضياغم .
وهذا كله رجحت أن لآل علي وآل رشيد جدًا اسمه فارس بن طعان ، إما من أحفاد عرار بن شهوان ، وإما بين عرار بن شهوان ومنصور بن ضيغم .
وعلى أي حال فإنحام فارس بن طعان في نسب آل رشيد استنتاج بطل مجرد احتمال .

وفي نص ابن رسول أن لميف بن ضيغم بن منيف بن جابر ولدًا اسمه راشد وله حفيد اسمه عمير بن أحمد بن راشد .

وفي الكتاب المجهول المؤلف الذي نقل عنه الشيخ حمد الجاسر أخبار الخليل الدُّهم الشهوانيات في مخطوطته عن الخليل أن شهوان أبا عرار أخو راشد عم عمير .

فيحتمل أن يكون عرار حفيداً لميف بن ضيغم .

ويحتمل أن يكون من ذرية شهوان بن منصور بن ضيغم .

وعلى أي حال فتوارث اسم شهوان وعمير وراشد يؤكد أن عرار بن شهوان وعمير بن راشد من أحفاد منيف بن ضيغم .

وقال ابن مغيرة عن الجربان وعن عموم نسب عبدة :

وآل السبح (؟) بطن من شمر وهم بطون وأفخاذ منهم الجربان البطن الثالث من شمر عبدة وهم بنو ضيغم بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج أخو طيء .

وكان معاوية بن الحارث من جنب والمملك في بيت جنب وهو الذي استجار به

مهلهل أخو كليب وتزوج ابنة مهلهل واسمها عبيدة وإليها تنسب قبائل من جنب فولدت له أبا القيلة ضيغما .

ومن بني ضيغم عبدة هؤلاء وكانت لهم الرئاسة على قبائل شمر من طييء^(٩) بن علي^(٩) .

وكانت رئاسة جيل طييء قديماً لجديلة بطن من طييء ثم صارت في بني نيهان ثم صارت في الجربان .

ثم صارت في عبدة في آل جعفر^(١٠) .

قال أبو عبد الرحمن في كلام ابن مغيرة هذا تصحيف وتداخل وسأضم إليه نصاً لابن رسول لعله يزيل شيئاً من غموض ابن مغيرة .

قال شيخنا حمد الجاسر :

جاء في كتاب «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» للسلطان عمر بن يوسف بن رسول المتوفي سنة ٦٩٤^(١١) : نسب آل منيف وهم آل ضيغم وآل راشد من جنب ، وهم المعروفون بالمعضة .

وهو منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك .

ويقال : إنهم من بكيل إلا أنهم حالقوا عنس من مذحج ، فسموا جنباً وقيل : إنهم من نزار من عتر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَيْي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . دخلوا في نسب جنب لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي ، من تغلب بن وائل ، أخي عتر بن وائل ، تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجني .

وإخوانهم من أمهم آل عايد ، وآل راشد ، وبنو قيس ، وآل السفر وآل الصلت ، وأصحابهم ، يسمون الأبطن ، من ولد هذا معاوية الجني فنسبوا إليهم .

قال ضيغم بن منيف وأولاده ثمانية : منيف وشكر وعيسى وعلي ومنصور وشيبان وعامر وحارث .

قال أبو عبد الرحمن : من نص ابن رسول ونص ابن مغيرة يتضح التالي :

١ — أن عبدة لا تنسب إلى شمر بالرجوع إلى الجد شمر ، وإنما يجتمعون مع شمر في أدد بن زيد والد طيسء الذي من ذريته بنو شمر ومالك الذي من ذريته عبدة .
وبين أهل النسب خلاف هل (مذحج) لقب لمالك بن أدد أم هو اسم لأم طيسء ومالك (١٢) .

٢ — أن قبائل عبدة من ذرية ضيغم بن معاوية بن الحارث وأم ضيغم عبيدة بنت مهلهل .

إلا أن أبا محمد بن حزم جعل زوج عبيدة من أحفاد معاوية بن الحارث فقال :
ومن بني يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك [مذحج] : معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علي الذي تزوج بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ، ومهرها أدماً فقال في ذلك أبوها :

أَنسَكْحَهَا فَقَدَّمَهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنَبٍ وَكَانَ الْحِجَاءُ مِنْ أَدَمِ
لَوْ بِأَبَانِسٍ جَاءَ بِخُطْبُهَا ضَرَّحَ مَا أَتَفُّ لِحَاطِبٍ بِدَمِ (١٣)

٣ — سبب دخول عبدة في جنب أنهم من ذرية ضيغم بن معاوية بن الحارث وجده منبه بن يزيد بن حرب أحد الإخوة الذين شملتهم التسمية يجب .

قال ابن حزم : ولد يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك [مذحج] : منبه والحارث ، والعلي ، وسنحان ، وهفان ، وشمران تحالف هؤلاء الستة على ولد أخيه صُدَاء بن يزيد فسموا جنباً ، مع بني عمهم بني سعد العشيرة بن مالك بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج (١٤) .

ونقل العزاوي عن ابن قدامة في كتابه مجمع الأنساب أن عبدة من شمر (١٥) .

قال أبو عبد الرحمن : ونص ابن مغيرة يوافق نص السلطان عمر بن يوسف بن رسول .

وقد جاء في هذا النص أن آل ضيغم كانوا إلى آخر القرن السابع — وهو عصر ابن رسول — لا يزالون في الجنوب في بلاد مدحج ، ونسبهم إلى جنب ، وذكر وجهاً آخر في نسبهم إلى عتزين وائل من نزار ، وأنهم دخلوا في جنب لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل تزوجها روح بن مدرك .

ولا ريب أن المعروف الآن بين عبدة انتسابهم إلى ضيغم وعلى ذلك شواهد من الشعر العامي .

وقد أفادني شبخي علامة الجزيرة حمد الجاسر — حفظه الله — أن شارل هوبر نقل عن عبيد بن علي بن رشيد خبر انتقال أجداده من الجنوب إلى الجبلين بما يشبه قصة انتقال طييء من وادي طرّيب في الجنوب إلى الجبلين .

وقد نقلت اللبدي أن بلنت عن محمد بن رشيد أن شمرأ الذين في الجزيرة وشمرأ أتباعه يعدون أنفسهم أقرباء قرابة رحم .

وقال إن دماء خيولنا واحدة (١٦) .

قال أبو عبد الرحمن : وثمة رأي طريف ينسب الجربان إلى آل فضل وهو ما جاء في كتاب «كثر الأنساب» — ص ١٩٩ ط ٧ س ١٤٠٠ — نقلاً عن مجلة «لغة العرب» البغدادية بعنوان بنو تغلب العدنانية : ونَصُّه : ثم إنني سألت بعد ذلك أحد الشيوخ الكبار وهو الشيخ مجول الجرباء رئيس عشائر شمر عن تغلب وهل لها بقية موجودة في الديار الشمالية فلم يذكر لي من ذلك شيئاً بل تعذر عليه تعيين البطلن معتذراً عن ذلك بتغير الأسماء عليه ولم يَنف بالمرة وجود بقية منهم ، فلما ذكرت له الفضول طابت نفسه وارتاح لهذا الاسم كثيراً ، وكأنه كان نائماً فاستيقظ ثم قال : إنه قريب من الصواب ، ثم فكر هنيهة وقال : بل هو الصواب عينه ، وعد لي منهم مطلق وبنية الجرباء رؤساء شمر أي الجند الأول المؤسس لإمارة شمر في جبل طي ، وكان ذلك في حين نبوغ أول رجالها المشهورين بهذا الاسم .

وذكر بعد ذلك أشياء تدل على صدق قوله ، ثم قال : الفضول اندمجوا في القبائل ، وتشتوا في البلاد ، وأورد أدلة عديدة على تأييد كلامه هذا .

قال أبو عبد الرحمن : هذه إفادة انتسختها من أوراق شيخي حمد الجاسر ثم راجعت مجلة « لغة العرب » فوجدت كاتب هذا البحث الأستاذ سليمان الدخيل رحمه الله يذكر أن سالماً الجرباء جد مطلق وبنية الجرباء (١٧) .

قال أبو عبد الرحمن : ويا ليت الدخيل أورد هذه الأدلة العديدة ؟

وعلى أي حال فهذا العاصي أحد مشايخ آل الجرباء يلمح إلى أصل رحلتهم بهذا البيت من إحدى أحاديثه على الخيل :

نَرُ لَأَبْنَيْكَ غَوْشَ الْيَمْنِ مَا هُمْ مُجَمَّعٌ مِنْ بَلَدٍ

ولرحلة الضياغم من الجنوب إلى الجبلين شواهد من مآثور العامة ومن نصوص المؤرخين كنص ابن رسول .

وعن هذه الرحلة قال الدكتور العثيمين ما موجهه : كانت عشيرة عبدة تسكن إحدى جهات اليمن ، ثم هاجرت حتى حلت بجبل شمر ، وهذه الهجرة منذ أكثر من أربعة قرون .

وكان أمراء الجبل قبل هجرة عبدة من قبيلة زبيد فتغلبت عبدة عليهم حتى أجلوهم وآخر زعمائهم بهيج وفي ذلك يقول أحد شعراء شمر فيما بعد :

قَبْلُكَ بِهَيْجٍ حَدَّرُوهُ السَّنَاعِيْسُ مِنْ عِقْدَةِ اللَّيِّ مَا يُحَدَّرُ قَنَاهَا (١٨)

قال أبو عبد الرحمن : يفهم من هذا النص أن رحيل عبدة من الجنوب إلى جبل طييء في الشمال كان في حدود القرن العاشر ، وهكذا يفهم من نص للشيخ العبودي سيأتي .

وفهم من نص لابن حاتم — سيأتي — أن رحيلهم في منتصف القرن التاسع .

ولو استطعنا أن نصل نسب عرار بن شهوان بن ضيغم بن منيف الذي ذكره ابن رسول لاستطعنا تحديد التاريخ لرحيلهم بشكل أدق .

ولو افترضنا أن عراراً هو عرار بن شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف لكان

رحيلهم في أول القرن الثامن الهجري تقريباً ، لأن ابن رسول المتوفي سنة ٦٩٤ ذكر أن ذرية منيف بن ضميم لا تزال في الجنوب وعلى ضوء ذلك نجعل عصر كل فرد من سلسلة النسب منذ عرار إلى منيف ثلاثين عاماً ونضم الناتج إلى سبعة قرون توفي ابن رسول في نهايتها .

وعن رحيلهم ذكر الشيخ سعد بن جنيد قسيده لفارس بن شهوان الضيفمي وذكر أنه رسم بها طريق ارتحال قبيلته من بلادهم إلى نجد ورتب منازل طريقهم ترتيباً دقيقاً قال فيها يذكر القويح :

وليل في (السرداح) لا عله الحيا هشيمه وقافٍ وحمضه باد
ووطئتها وادي (القنوع) تعمّد تمنسيتها لولا الهيسام بلاد
وليل بـ (الحديبا) لا عيمر جالها شدوا وخلوا في المراح سواد^(١٩)
وقال في موضع آخر :

وقال شاعر من الضياغم وهو يرسم طريق هجرتهم :

لبلى في (القمر) وليل في (الركا) وليل في حزم (الحصاة) شداد
وليلة ورذنا (ماسل) و(موسل) وجية المغارف كنهن جداد

ثم ذكر بعد هذين البيتين ثلاثة الأبيات الآتية الذكر وذكر في موضع آخر أنها لفارس بن شهوان الضيفمي وقد مر به قومه في طريق هجرتهم إلى شمال نجد^(٢٠) .

وذكر شيخنا حمد الجاسر مؤلفاً حديثاً ولم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه تحدث عن نجائب من الخيل تدعى الدُّهُم الشهوانيات .

قال الشيخ حمد : جاء في هذا المؤلف : شهوان عبدة أي من قحطان ، وسميت باسم راعيها شهوان أبو عرار أخو راشد عم عمير .

ثم قال : وأورد أخباراً عن هذه الخيل وشعراً لشهوان أبي عرار جاء فيه :

لنا منزل ما بين (الأفلاج) و(الحسا) وما بين (صنعا) و(السليل) وجود
إلى حودروا يبعون الاسعار بالقرى حدرنا على مثل الغمام السود

كبار الشوادي مَيرنا من زروعها غَسْرَاسِرٍ بلا حطب ولا وقود
إلى حافها سَبَّحَ الْخَلَا باتُ جايِعُ بساطها مثلَ النُور نُبوذُ
تَمَيَّت من حطّات اللَّيالي لعلنا ندرك بَعْضُ ، يا (أبو ربيع حمود)
أن صار مالِكُ من ذراعيكُ نجدة فُشْرُوكُ باعْضَادَ الرجال يكوذُ
وقال الشيخ حمد : إنه أورد أشعاراً لعرار بن شهوان وأخباراً تتعلق بخيله (٢١) .

وذكر الشيخ محمد العبودي معركة بين آل ضيغم وسلطان مارد قتل فيها حميدان بن راشد بن ضيغم ابن عم عرار بن شهوان وسلطان مارد معاً .
وقال في ذلك عمير بن راشد قصيدة مطلعها :

نَهَيْتُ لَنَا عِنْدَ أَبْرَقِ (السَّيْحِ) عَرَكَةً تَمَنَّى بها حضار الرجال غياب (٢٢)
وحدد عصر هذا الشعر بأنه بعد عصر الشاعر جرير بجوالي تسعة قرون (٢٣) .
ويذكر الأستاذ عبدالله بن خالد الحاتم أن عرار بن شهوان آل ضيغم جد آل رشيد أمراء حائل وأنه عاش سنة ٨٥٠ هـ .

وذكر له قصيدة يتشوق فيها إلى نجد ، ويفهم منها أن ابن عمه عمير بن راشد موجود بنجد فيما ورد من هذه القصيدة قوله :

يقول عرار قول من ضَلَّ مَوْقِفُ على الدار يرثي بالدموع الذرايفُ
قليل الجدأ من دِمْنِهِ هَذَ رَسَمَهُ مزاعيج هُوجِ الداريات العواصفُ
لَكِنِّي بِهَا ما رَيْتُ خَيْمَ ظَلَّالٍ محشها صروف للعوادي قرايفُ
إلى أن قال :

فَلَا وَاعِلًا لَوْلَا السَّمْنِي سَمَاجَةٌ أوقف بُنْجِدٍ آمِنٍ غير خايفُ
والقسي (عَمَّيْرٍ) بالعذية موقف على شلشل بيض الجمال الشرايف (٢٤)

ومن الأخبار التي يتناقلها السُّنَّار ما حدثني به الشيخ إبراهيم بن عثمان أن فارس بن شهوان سكن مع والده بوادي الدواسر ، فكان يعطي جارته من صيده وغنائه فتطور

ذلك إلى أن أظهرت له الود ، فلم يستجب لذلك إكراماً لجاره ، فلما رأت انصرافه عنها أظهرت لوالده أنه يُسيئُ إليها ، فلما لمح التأثير في وجه والده رحل مع من تخفّ معه من قومه ومماليكه ، فأرسل شهوان عبده عمّاراً ليرافق فارساً ويعرف اتجاهه ، فلما أحس فارس بمرافقة عمار له صار يأخذ بيض نعام فكلما نزل منزلاً أظهر بيضة وملاًها ماء ، ووضع بجانبه تمراً ودفنها تحت مبرك ناقته ، حتى نزل منزلاً قريباً من (ظفار) سمي فارساً باسمه .

وبعد ذلك أمر عماراً أن يعود إلى والده ووصف له مداخل بيض النعام لتكون له زاداً ومعالم لطريقه وقال بهذه المناسبة قصيدة مطلعها :

عمار علك عن ذا تنثني من بم شهوان عزيز جبار
وزيدنا عبد الجبار الراوي تفصيلاً فيذكر أن شمرأ قتلت بهيجاً شيخ العبيد^(٢٥)
فهاجرت العبيد إلى جزيرة العراق .

وقد أشارت شمر على بهيج أن يدخل على شيوخ شمر وبصالحهم فأبى ذلك وقال :

يقول بهيج بن ذبيان مثابلاً	ودمعه على الأملاك دون الشلايل
جلونا عن ديارنا العذبات شمر	قراح ويرد ما ، يداوي الغلايل
ونحننا رقاب القود عنهم وغربنا	وعين الزبيدات لنجد تمايل
لا صار ما عدل يعادل عديله	ما ينقعد بالدار والشيل مايل
ولا صار ما حقّ الفتى بذراعه	هبت يا حكم يجي بالتحايل
صبار على الزهدة بسو فعلهم	بالنسب ما يوجد لهم بالقبائل
لثام ، لو حججتهم كعبة الرضا	يجادونك عنها البايوات الفسائل ^(٢٦)

وآل الجرباء هم زعماء شمر ورؤساء الجبل وأبعد ذكر لهم وجدته عن وفاة اثنين منهم عام ١١٠٠ هـ وعام ١١٠٣ هـ وقد رحلوا من نجد عام ١٢٠٥ هـ بعد هزيمتهم أمام ابن سعود فبنوا زعامتهم في العراق وسوريا .

قال حسين خزعل : وكانت الرئاسة العامة لشمر في أسرة الجرباء من بطن سنجارة ،

وقد أجلاهم الأمير سعود بن عبد العزيز عن ديارهم عام ١٢٠٥ هـ بعد أن نازهم قرب مدينة حائل وقتل مصلط بن مطلق .

وسار مطلق من جبل شمر إلى العراق وبر الشام ورافق أحمد باشا الجزار إلى الحج ثم أقام في بادية السماوة من العراق (٢٧) .

أما عن رحيل آل الجرباء فيذكر عباس الغزوي أن آل محمد الجرباء أمراء شمر برئاسة فارس الجرباء مالوا إلى العراق في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (٢٨) .

ويزيدنا يوسف البسام تفصيلاً فيقول : ويعرف رؤساء شمر السابقون بآل محمد وآخرهم فارس الجرباء وقد لقب بالجرباء نسبة لأمه التي ابتليت بمرض الجدري وأصبحت جرباء على أثر هذا المرض .

وعلى عهد الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى وابنه الإمام عبد العزيز نزع فارس الجرباء من جبل شمر ، واستوطن بادية الجزيرة في العراق بين دجلة والفرات وذلك بعد أن انقطعت الأمطار مدة طويلة وأجذبت الأرض .

وعلى إثر نزوح فارس الجرباء تبعه الكثير من شمر واستقروا في العراق ولا يزالون حتى الآن وتولى أمر جبل شمر آل علي . (٢٩) .

وذكر عبد الجبار الراوي أن نجداً أصابها محلٌ ، فاضطر شيخ عشيرة شمر فارس إلى الهجرة مع أربعين بيتاً من قومه طلباً للمرعى ، حتى وصل إلى جزيرة العراق فنزل جاراً على عشائر العبيد ، (٣٠) ثم ذكر قصة شبه خرافية لا سيما ما يتعلق برثانة شمر في حين أنه من المعروف عند أهل نجد شهرة قبائل الشمال بالأخص الشامرة باللباس الأبيض والمظهر الباذخ .

وذكر في موضع آخر أن أول من رحل من نجد إلى الجزيرة في العراق هو فارس الجرباء وأنه الرئيس الأول لآل محمد ثم ذكر بيته وأحفاده ..

وذكر أن فارساً لقب بالجرباء نسبة إلى أمه التي ابتليت بالجدري فسميت به وإن كان قد شفيت من هذا المرض (٣١) .

قال أبو عبد الرحمن : ولا بأس من سياق هذه القصة التي أوردها الراوي .

قال : أصاب نجداً محل اضططر شيخ عشيرة شمر حينئذ فارساً إلى الهجرة مع أربعين بيتاً من بيوت الشعر طلباً للسرعى ، ومضى سائراً حتى بلغ الجزيرة فترك قصيراً (أي مجاوراً) على عشائر العبيد ، التي أضافته وأولت له وليمة كبيرة دعت إليها رئيس عشائر طيء والجبور وكان المهاجرون من شمر في ثياب رثة يعلوها الوسخ ، بحيث اشمار المدعوون منها ، فتناولوا الطعام على كره منهم ، وقد خيل إليهم أن هؤلاء المهاجرين هم من عشيرتي صلبة أو هُثيم ، اللتين يعدهما البدو من العشائر الحفيرة ، ولما شعر فارس شيخ شمر بما بدا على وجوه رؤساء العبيد وطيء والجبور من الاشتزاز ، أراد أن يثبت للضيفيه أنه هو وعشيرته من النبل والكرم بحيث يضرب بهما المثل ، فقرر أن يقابل الوليمة بمثلهما ودعا رؤساء العبيد وطيء والجبور لتناول الطعام عنده ، إلا أن هؤلاء ترددوا في قبول الدعوة اعتقاداً منهم بأن هؤلاء ليسوا أهلاً لإجابة دعوتهم وحضور وليمتهم ، ولكنهم بعد لأي أجابوا الدعوة على مضض ، فأروا المناسف (جمع منسف وهو ما يوضع فيه الطعام) وقد ملئت بالطعام واللحم ، إذ نحر لهم جزوراً ، وكانت المناسف من الضخامة بحيث علقت بها السكاكين لتساعد كبار السن على تقطيع اللحوم . وضخامة المناسف تدل عند البدو دلالة قاطعة على عظمة صاحبها^(٣٢) ، ولذلك حسبوا هؤلاء النازلين ألف حساب خوفاً على أنفسهم ، لاعتقادهم أن وراء هذه المناسف عشائر كبيرة العدد ، فقرروا أن يقاتلوا فارساً وجماعته قبل أن تصل إليه عشائره .

كانت وليمة الشيخ فارس باعثة للشيوخ الثالثة على التأمر لقتل فارس ورهطه كما أسلفنا ، إلا أن فارساً شعر بالموامرة ، فطلب من نساءه أن يخلعن حللهن ، ويقدمنه إلى نساء الرؤساء الثلاثة هدية ، على أن يتوسطن عند أزواجهن للحيلولة دون القتل به وبأعوانه ، فلبين الطلب ووعدهن خيراً ، فلما أقبل الليل لم تفرش نساء زعماء عبيد وطيء والجبور الفرش (وهي عند العرب علامة يستدل منها الرجال على حدوث أمور خطيرة) ، فسئلن عن السبب ، فطلبن الأمان للمهاجرين النازلين ، فأعطين الأمان ، وأجبن إلى ما أُرِدْنَ ، فمدت الفرش ، وهكذا تمكنت جماعة فارس من الاستيطان في الجزيرة والاستقرار فيها ، ثم إن فارساً قطع نماذج من جميع الأعشاب والحشائش التي

تنبت في الجزيرة وملاً منها زكبية وأرسلها مع أعوانه إلى عشيرته في نجد ، قاصداً بذلك إخبارهم بأنواع الحشائش الممتازة للرعي في الأرض التي نزع إليها ، حاثاً إياهم على اللحاق به ، فما لبثت عشائر شمر أن لبث طلبه ، ورحلت إليه جماعات لا تقبل كل جماعة منها عن خمسين بيتاً ، فتكاثرت شمر ، وحدث ما كان يحشاه رؤساء العبيد وطيء والجبور . فأورث هذا الأمر نزاعاً بين هؤلاء بالاتفاق مع الصايح^(٣٣) من جهة وبين شمر من جهة أخرى على أرض الجزيرة التي نزلوها ، ونشب قتال دام تسعين يوماً انتصرت فيه شمر ، وأجبرت عشائر الصايح والعبيد وطيء على الجلاء عن أماكنها في الجزيرة ، فعبرت الصايح دجلة متجهة نحو الحويجة ، فاتخذتها منازل لها ، وانتقلت طيء من مكانها ، وجعلت مساكنها غرب سنجار ، أما الجبور فقد سكنوا منطقة الخابور ، وهكذا خلا الجو لشمر في الجزيرة ، وتمت لها السيطرة على أطرافها ونواحيها ، حتى آل بها الأمر إلى أن تفرض نوعاً من الضرائب يسمى (الخوة)^(٣٤) تأخذها من كل عشيرة تنزل منطقها ، واضطر كل من يعبر الجزيرة إلى أدائها صاغراً ، وظللت هذه الخوة نافذة المفعول ، وشملت جميع القرى المجاورة للبادية .

ولما تألفت الحكومة العراقية ، بدأت قواتها النظامية تكافح هذه (الخوة) بكل ما أوتيت من قوة ، إلا أنها لم تتمكن من استئصال شأفتها وقطع دابرها بالمرة .

وقد بذلت جهود كثيرة لإنشاء مركز حكومي في الجزيرة^(٣٥) حتى تم ذلك في السنة الأولى من تسلمي زمام مديرية الشرطة العامة ، كما سبق أن ألفت في بادية الشامية مثلها قبل ذلك ، واستطاعت أن تمنع الخوة فيها ، أما (الخوة) في حد ذاتها فهي ضريبة تدفعها العشائر التي تدخل الجزيرة طوعاً أو كرهاً ، وهي مقدار معين من الدُّهن والغنم . يدفع إلى شيخ معين من شمر في كل سنة ، وتؤخذ (الخوة) من المستطرق أيضاً ، حيث يجب عليه أن يدفع مقدراً من النقود عن كل جمل يمر بالجزيرة ، وكذلك في القرى التي تدفع ما عليها من الحبوب في كل موسم ، وتقسم (الخوة) على شيوخ شمر الذين يعرف كل منهم نصيبه منها ، فالشيخ الفلافي يأخذ (الخوة) من الحديديين ، والآخر من الجبور أو المستطرقين أو من قرى الموصل ، أو من غنم التجار التي ترسل إلى سورية . وهكذا لا يفلت أحد من أبدي جباة هذه الضريبة^(٣٦) .

ولم تزل عشائر شمر في تكاثر وازدياد ، منذ استيلاء السعوديين على حائل عاصمة ابن الرشيد ، حيث هاجر عدد كبير من عشيرة عبدة ، من نجد إلى الجزيرة في العراق ويؤلف هؤلاء الآن القسم الأكبر من شمر عبدة .

ومن أشهر رؤساء عبدة النازحين إلى العراق الشيخ عقاب العجل رئيس فرقة الأحية^(٣٧) من عبدة ، وسبب نزوحه وهجرته هو عدم اعتراف شمر بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل الرشيد .

هذا ، وأغلب عشائر منطقة حائل عاصمة ابن الرشيد القديمة هم من شمر في الوقت^(٣٨) الحاضر .

قال أبو عبد الرحمن : لي على هذه النصوص تنميات واستدراكات على هذا النحو :

أ — ليس من البعيد أن آل محمد لقبوا بآل الجرباء لأن أهمهم أصيبت بالجذري إلا أن فارساً أول من لقب بذلك كما زعم يوسف البسام والراوي ، لأنني وجدت هذا اللقب مستعملاً قبل مولد فارس بن محمد الجرباء بعشرات السنين ، فقد ذكر مؤرخو نجد في أحداث سنة ١١٠٠ هـ قتل عمار الجرباء . وذكروا في أحداث سنة ١١٠٣ هـ أو ١١٠٤ هـ قتل مصلط الجرباء^(٣٩) .

ب — لم يرحل آل الجرباء بسبب المحل بل رحلوا بسبب هزيمتهم أمام آل سعود كما سيأتي بيان ذلك في الأحداث التاريخية .

ولم يرحلوا بزعامة فارس وإنما رحلوا بزعامة أخيه مطلق يصحبه أخوه فارس وقرينيس .

ولكن بعض المؤرخين العراقيين لما رأوا أن الإمارة في ذرية فارس ظنوا أن شمرأ رحلت بزعامته .

وإنما كان فارس زعيماً قبل ابنه صفوق ولعل من أحفاده فارس المذكور في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد^(٤٠) .

ج — سكنوا في جزيرة العراق بين ثلاثة أنهر وهي دجلة من الشمال والشرق والفرات من الجنوب والخابور من الغرب .

ونرح قسم آخر إلى جزيرة سوريا جنوب الفرات غربي الخابور .
ومشايخ عشائر سنجارة في سوريا أبناء عم آل محمد وتعدادهم في عبدة على الأصح المشهور .

د — منذ رحل آل محمد بقوا هناك بقاء استقرار ، أما عشائرتهم فهم لا يزالون رُحَلَاء بين العراق ونجد ، إلا أن أقاربهم الأذنين بقوا هناك كما أن جمهرة عبدة بقيت هناك أيضاً إلا من لم يؤثر العودة إلى جزيرة العراق بعد عودتهم إلى نجد .

وعن قصة عودتهم إلى نجد بعد رحيلهم إلى الجزيرة نجد إشارتين :

أولاهما : في سنة ١٢٢٤ هـ بعد انهزام شمر أمام الظفير في جزيرة العراق كاتبوا الإمام سعوداً فأذن لهم وظهروا إلى نجد ^(٤١) .

وأخراهما : سنة ١٢٣١ هـ بعد قتل زعيمهم بنية بن قرينيس جلوا من الجزيرة ونازلوا قومهم في الجبل ^(٤٢) .

هـ — ذكر يوسف البسام في النص الآنف الذكر أن فارس الجرباء نزع من جبل شمر ، واستوطن بادية الجزيرة في العراق ، وذلك بعد أن انقطعت الأمطار مدة طويلة وعلى إثر نزوح فارس تبعه الكثيرون من شمر واستقروا في العراق وذلك في عهد الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز .

ووصف فارساً بأنه آخر آل محمد رئاسة في نجد .

قال أبو عبد الرحمن : إنما كانت رحلتهم في آخر عهد الإمام عبد العزيز حيث أَسْجَلَاهُمْ ابنه سعود ، ولولا أنه قال (واستقروا) لقلت بحتمل أن شمرأ رحلت مع فارس بسبب الجذب في عهد محمد بن سعود ثم رحلت جالية في عهد سعود .

و — من المعروف المشهور بين المؤرخين أن زعامة الجبل لآل الجرباء بادية حاضرة ، ثم لآل علي ثم لآل الرشيد ، بيد أن الدكتور العثيمين يأبى ذلك .

قال متعقباً الريجاني : ولعله أدق لو قيل إن الجرباء كان زعيم بادية جبل شمر ، لأن
إمارة حاضرة الجبل (حائل) كانت لآل علي قبل انضمام المنطقة إلى آل سعود^(٤٣) .
ولم يرتض الدكتور رأي (هو جارت) في قوله بأن عبدالله بن رشيد زعيماً لقبائل
شمر^(٤٤) .

ولم يرتض قول الفناخري عن عبدالله بن رشيد (رئيس بادية شمر)^(٤٥) .
قال أبو عبد الرحمن : حيثما أطلق الجبل فإنما يراد به سكانه من بادية وحاضرة .
وزعامة آل الجرباء للجبل إنما هي زعامة لكافة قبائل شمر كزعامة ابن ربيعة -- في
هذا العهد -- مثلاً لكافة قبائل عتيبة وكزعامة ابن هادي لكافة قبائل قحطان .
وهذا لا يمنع من وجود إمارة خاصة بالحاضرة وأن آل الجرباء لا يهتمون بخاصة
الحاضرة إلا أن الرابطة بين الحاضرة والبادية الغارات والمغازي والقرباة من ناحية النسب
(أو الولاء في الأغلب الأعم) .

لهذا فالحاضرة تبع لراية آل الجرباء .
ثم تحولت زعامة الجبل بادية وحاضرة من شيخ كافة البادية التقليدي وهو الجرباء
إلى أمير خاصة الحاضرة وهو ابن علي .
وليس من شرط هذا التحول أن يكون مقرأً في عرف مشيخة البادية أو أن تكون
قبائل شمر مدعنة لهذا التحول .

وإنما تم هذا التحول من ولي الأمر الحاكم من آل سعود ، فهو الذي اختار أن تكون
زعامة الجبل بادية وحاضرة لابن علي ، ثم لابن رشيد بحيث يعتبر من شذ عن هذه
الطاعة من قبائل شمر متمرداً .

وعلى هذا دلائل :
منها أن إمارة آل علي لم تسبق عهد آل سعود كما قال الدكتور العثيمين فقد بينت في
حديثي عن آل علي أن قبيلة شمر دانت للدعوة قبل عام ١١٧٨ هـ بناء على نص من
كتاب «لمع الشهاب»^(٤٦) .

ومنها أن الشيخ عقاب بن عجل نزع من حائل لأنَّ شمرأً أبَت الاعتراف بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل رشيد^(٤٧) . فهذا دليل على أن ابن رشيد زعيم الكفاة من باديته .

ومنها أن حاضرة حائل حاربت مطلق الجرباء وباديته ، وكأنت الإمام عبد العزيز تخبره بأن مطلقاً نكث^(٤٨) فهذه الأحداث تدل على أن لأمير الحاضرة زعامة رسمية على البادية تطالب بها وتقاتل عليها .

ومنها أن قبائل شمر الموجودة بنجد شاركت في غزوات آل سعود ولم نرَ الراية معقودة لأحد مشايخ شمر وإنما كانت القيادة لابن علي أو ابن رشيد .

وقال الدكتور شفيق الكحلي تعليقاً على نص لـ «دائرة المعارف الإسلامية» في مادة بلاد العرب حول دفع طيء وزيد (الخوة) لشمر : أما عدم دفع (الخوة) فصحيح ، وقد استبدلت الخوة حين دخول فارس الجرباء إلى الجزيرة بالمصاهرة فقد زوج ابنه صفوق من عمشة ابنة شيخ طيء وكان ذلك في حدود عام ١٢٢٥ هـ .^(٤٩) .

قال أبو عبد الرحمن : ولعل تواريخ الحجاز تكشف لنا شيئاً عن تاريخ الضياغم فقد رأيت عراً يذكر الأشراف في شعره كما رأيت العصامي يذكر وقعة بين الأشراف وشمر كما يذكر أن الشريف إدريس الذي نافسه ابن عمه محسن يموت في جبل شمر ويدفن بباطب سنة ١٠٣٣ هـ .^(٥٠) .

ويذكر مصطفى مراد الدباغ أنه من المحتمل أن قرية جربا من عمل جنين في فلسطين وجرباء في شرقي الأردن تنسبان إلى قبائل الجربة الشمرية العراقية نزلتها وطبعت اسمها عليها^(٥١) .

قال أبو عبد الرحمن : وليلاحظ أن آل محمد من آل الجرباء دون العكس ، وأن آل محمد لا تشمل آل الجرباء وإنما تقتصر على ذرية محمد بن سالم الجرباء^(٥٢) .

ولسؤدد آل الجرباء صارت بادية شمر في العراق تسمى شمر الجرباء .

وبقي آل الجرباء على ذكر من أهل نجد يقصدهم الشعراء وينالون منحهم ويستفزع

بهم أبناء عمهم في شمال نجد (٥٣) .

وبعكس ذلك وجد في شمر الجزيرة من يتشوق إلى نجد ، فهذا شاعر من شمر يتبرم من شيعة العراق ويتشوق إلى حائل فيقول :

يا عون من طالعك يا (برزان) ونام باشناقك هني
يا عون من فاروقك يا البرغوث وفراق عبادة علي (٥٤) .

الرياض : وكتبه أبو عبد الرحمن بن عقيل .

الحواشي :

- (١) «البادية» ص ٢٨٥ .
- (٢) أنساب العشائر العربية ص ٣٦ - ٣٩ .
- (٣) أفاد منه العزاوي عن نسب شمر قائمة جديدة بكتابه عشائر العراق وذكر أنه راجع مخطوطته باستانبول في خزنة راغب باشا . عشائر العراق ١٣/٣ [ليس الكتاب لابن قدامة ، وليس اسمه «جمع الأنساب» بل هو كتاب «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي ، والمختصر مجهول من أهل القرن السابع الهجري ، وقد علق في هوامش الكتاب تعليقات من كتب كثيرة ، ذكرها في طرة المخطوطة ، ومنها كتاب «التبيين في نسب القرشيين» لموفق الدين بن قدامة ، وقد ظن مقيس مكتبة راغب باشا ، أن هذا هو المؤلف ، أما اسم «جمع الأنساب» فلا أدري كيف جاء ؟! وقد صورت الكتاب ، وكتبت عنه مقالين في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق ودرسه ، وتحدثت عنه في «العرب» وعلقت على كلمات تعرضت لنسبته لياقوت ، ولحماد بن حبيب ، وغيرهما — والعزاوي في «عشائر العراق» ج ١ ص ١٧١ / ١٧٢ / ٢١٩ ومواضع أخرى ... نسب عبدة إلى الضياغم ، من قحطان — حماد] .
- (٤) من شيم الملك عبد العزيز ٢٥٨/٣ .
- (٥) تاريخ ابن لعبون ص ١٢ .
- (٦) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٥٠٨/١ (نسب العزاوي في «عشائر العراق» ٣٠٣/١ — نسب الشمر للزّام بن ظاهر من الذرعان من الصمدية من الظفير ، وذكر أن بينه وبين السويطي مهاجرة أورد طرفاً منها ونصه : ان سلت عتبا قحاطين :
- حنسا وعبيدة والهباز يجذّين ضياغم والحذانا لفاتين
وشرحه قائلاً : إن قوم (بازراخ) وعبيدة وشمر والهباز من عترة ، كلهم من القحاطين ، وأن عبدة من الضياغم ، وهم يجتمعون يجذّين مع شمر .
وأما الآخرون الذين يحدّونهم فهم ملفقون .
ونسب الشمر أيضاً في موضع آخر من الكتاب — ص ٣٠٢ — إلى ابن حلاف شيخ آل سعيد من الظفير — حماد] .

- (٧) راجع عنهم قلائد الجمان ص ٧٢ — ٨٩ وبحسن أن يضاف إلى كتب الأنساب ما نشر عن طبس، بدائرة المعارف الإسلامية ٤٠٢/١٥ — ٤٠٤ .
- (٨) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٤٦١/١ — ٤٦٢ .
- (٩) هكذا في المطبوع .
- (١٠) المنتخب ص ١٣٩ — ١٤٠ وبلاحظ أن علامات الاستفهام هنا من وضع شيخي حمد الجاسر لما راجع المسودة .
- (١١) عن نسخة مخطوطة سنة ١٠٢٩ — وقد طبع الكتاب بدمشق من منشورات (المجمع العلمي العربي) بتحقيق صلاح الدين المنجد .
- (١٢) راجع الإنباء لابن عبد البر ... ص ١١٦ .
- (١٣) جمهرة أنساب العرب ص ٤١٣ .
- (١٤) جمهرة أنساب العرب ص ٤١٣ وفي ص ٤٧٧ ذكر بني جنب وأرد فهم ببني يزيد فلعل ذلك سهو منه وفي الإنباء ص ١١٧ جعل صدها هو يزيد بن حرب . والنظر عن جنب نهاية الأرب ص ٢٠٤ وص ٤٠٧ ومعجم قرائل العرب ٢١٠/١ .
- (١٥) عشائر العراق ٢٠٣/٣ [انظر الحاشية رقم (٣)] .
- (١٦) رحلة إلى بلاد نجد ص ٢٠٠ .
- (١٧) مجلة لغة العرب ٣ ج ٩ عام ١٣٣٢ هـ ص ٤٧٩ .
- (١٨) نشأة إمارة آل رشيد ص ٤ عن عشائر العراق للزاوي ١٢٩/١ .
- حدوده : طرده متحذراً فإن كان اتجاهه إلى مكان مرتفع قبل ذهب مُسْتَدِراً .
- السنا عيس : قال شيخنا حمد الجاسر : واحد هم سنوسي عزوة لقبيلة شمر . شمال المملكة ٣٦٤/١ [أورد الكرمل وعنه نقل الزاوي في «عشائر العراق» ٢١٥/١ — أن هذه العزوة أصلها (سنا عيس) أي سوحها بشدة ، أو (قنا عيس) مفردا قنحاس وهو الرجل الشديد — إلى آخر ما ذكر الكرمل ونقله الزاوي . وأرى أن أصل العزوة (سنا عيس) من كلمة سنيس الفرع الطائي الذي كان ينزل في أجا ، في وادي عَقْدَة ، وغيره وعقدة من أمتع مواقع الجبل — حمد] .
- قال أبو عبد الرحمن : يظهر أنها عزوة عبدة من شمر ، ولا أعرف أصلها التاريخي ، ولا أعلم أن العامة استعملت مفردتها .
- وكلمة الاعتزاة لا تستعمل مفردتها ولا تضاف لبدء النسب فالريشاء عزوة الجلاء عبد من عزوة ، والحميز عزوة الجعدة من شمر ، والحرداء عزوة آل محيا شيوخ الروقة وجوزاء نخوة الدوشان من مطير .. إلخ . فلا نجدهم يقولون حجازي بالنسبة للمفرد ، ولا يقولون ريشاني بالنسبة للنسب . عقدة : راجع شمال المملكة ٩٢٤/٣ — ٩٢٩ .
- التي : التي .. ما يجدر قناها : لا يستطيع أنزال عراجينها لكثرة ثمرها وثقله . وراجع رحلة إلى بلاد نجد ص ٢٣٩ حاشية .
- (١٩) مجلة العرب ج ١ — ٢ ص ١٢ عام ١٣٩٧ هـ ص ١٠ .
- (٢٠) مجلة العرب ج ٣ — ٤ ص ١١ عام ١٣٩٦ هـ ص ١٨٨ وعالية نجد ١٢٤٢/٣ و ٦٨٠/٢ .
- (٢١) مجلة العرب ج ٧ — ٨ عام ١٣٩٥ هـ ص ٥٤٨ — ٥٤٩ حاشية .
- (٢٢) مجلة العرب ج ٧ — ٨ ص ٩ عام ١٣٩٥ هـ ص ٥٤٨ — ٥٤٩ وبلاد الجوف ص ١٠٥ — ١٠٦ وتذكره أولى النهي ٦٦/١ .

(٢٣) بلاد القصيم ١٣٤٥/٤ .

(٢٤) القصيدة يكاملها في خيار ما يلتقط ١٩٩/١ — ٢٠١ وهي من بحر الطويل إلا أنها كثيرة التصحيف والتحريف مع خلل في الوزن وما استشهدت به من هذه القصيدة أثبت وزنه اجتهاداً . وقد ورد في الخيار (وألقي عمير بالعذبية) إلا أن البيت ينكسر وقد عدلته إلى (العذبية) لأن الوزن يستقيم بهذا مع زحاف الإضمار وهو حسن في الطويل ، ولأن هذا التمديل أقرب إلى صورة الخط للنص المعدل ولأن هذا التعديل أقرب إلى أن يكون المراد العذيب في بلاد طيء ، أنظر شمال المملكة ٨٨٩/٣ — ٨٩١ وأورد الشيخ العبودي هذا البيت منسوباً إلى بني هلال هكذا :

تسلسقى عمير بالمذيبات موقوف يصيب على زمسلى سمان شرايف
على أن المراد المذيبات بالقصيم وهي غربي القوارة انظر بلاد القصيم ١٥٦٣/٤ .

(٢٥) العبد من زيد ذكر المزوي أن رئيسها شاوي بن نصيف عاش في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وأن تكون هذا القخذ لم يحدث قبل القرن الحادي عشر . وزيد من مدحج فهم أبناء عم عبدة ، وقد أسهب عنهم المزوي في الجزء الثالث من عشاير العراق وهذه القصيدة من البحر الطويل على منبج الشعر الهلالي إلا أنها مختلفة الوزن .

(٢٦) البادية ص ٢٤٤ (حاشية) .

(٢٧) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الخزعل ص ٢٩٩ .

(٢٨) عشاير العراق ٢٠٣/٣ [ذكر المزوي في هذا الكتاب (١٣٧/١) — في الكلام أن مطلقاً أخو جوزا — ابن الحميدي — الملقب بالأمسح — بن جعري بن مقرن بن محسن بن مشعل بن مانع بن سالم آل محمد ، وآل الحزرا نزوح إلى بهم من أمهم وهي من الفضول من طي من بني لام — ذكر أن مطلقاً أراد مهادة الامام ابن سعود ، ولكن ابنه مسطفاً لم يرضخ لمطالب الامام فشوق أبناءه على القيام في وجه ابن سعود ، فحاربه ، وهذه مباديء نزوحهم إلى أنحاء العراق — وقد أورد تراجم مفصلة لمشاهير هذه الأسرة — حمد] .

(٢٩) الزبير ص ١٧٣ .

(٣٠) : [ذكر المزوي — في عشاير العراق ١٤٤/١ — أن النفوذ وقت هجرة فارس ومطلق وعشيرتهم إلى العراق — كان النفوذ لقبيلة العبيد ، وبسبب فارس خضعت شوكة قبيلة العبيد ، إلى كادت تمتحن لولا أن يتوالى نبوغ مشاهير من آل شاوي يساعدون قبيلتهم العبيد ، في حين أن هاؤلاء البدو لا تناصرهم إلا قوة سواعدهم ، وعمرهم على الحروب ، وكانت الحكومة ترغب في إمالة قبيلة عظيمة إليها ، واستخدامها على العبيد والقبائل الأخرى . . إلى آخر ما فضل في الموضوع] .

(٣١) البادية ص ٢٤٤ — ٢٤٩ .

(٣٢) لقد سمعت ممن يوثق بهم أن أحد رؤساء العشاير راجع الملك فيصل الأول — غفر الله له — طالباً منه أن يعينه شيخاً لعشيرته ، فأجابه قائلاً : (كبر صحنك يا ولدي) أي أكثر كرمك للضيوف . عبد الجبار .

(٣٣) أما سبب اتفاق الصايغ والعبيد على محاربة شمر ، فقد بدأ منذ أن قتلت شمر إدريس بن عقيل وإلى القاريء سبب قتل هذه الشخصية المعروفة بجهالها وعفتها بين الأعراب : كان إدريس بن عقيل أحد رؤساء الصايغ — الذي يضرب بجهاله المثل — قد نزل مع رفيق له على جماعة من شمر ، فشاهدته نسوة كن يضربن أوتاد البيوت ، فشدته دهشهن بجهال إدريس دكرن الأوتاد على أذيال ثيابهن ، فتعلقت بالأرض وتقهطت . فلما شاهد رجائهن هذا المنظر ، قاموا لساعتهم وضربوا رأس إدريس بسيفهم فقطعوه ، فأخذ رفيق إدريس الرأس إلى عشيرة الصايغ التي اغتاظت من هذا العمل ، وانفقت مع العبيد على محاربة شمر ، وهذا أول

الاتفاق الذي جرى بين الصايح والعبد واستمر حتى اليوم (عبد الجبار) .

(٣٤) وتسمى الإنابة أيضاً (عبد الجبار) .

(٣٥) وقد تم أخيراً إنشاء مديرية شرطة خاصة بالجزيرة سميت بمديرية شرطة بادية الجزيرة ومقرها «الحضر» (عبد الجبار) .

(٣٦) نخوة نجار الأغنام إلى أولاد شلال والقيصل عن كل قطع خمس ثيرات عدا الكسوة . وللعاصي وأولاده عن كل قطع نخوة وخروف ومن دهن ، وكل ٥٠٠ رأس غنم بعد قطيعاً . وإذا قل عن هذا العدد يؤخذ نصف المقرر من الخوة . وبأخذها من الشرايين .

والحبيش يدفعون إلى مطلق الفرحان نصف المقرر من الخوة والحليديون يدفعون إلى فارس نصف المقرر .

وقرى تلغفر تدفع إلى أولاد العاصي ، وهم دهام وبايف وصفوق والباشا وعبادة ومداول .

وجبور تلغفر يدفعون إلى أحمد الغربي .

وعشيرة اليزيدية يدفعون إلى الدويش ، ومديغ .

ملاحظة تؤخذ الخوة من القرى عن كل قرية من الثغارين إلى تسعة نخوات حنطة بالسنة بحسب صغر القرية وكبرها .

وعشيرة البومثوبيت : تدفع الخوة إلى زيد وعياش وعبد المحسن .

وإن رؤساء شمر كثيراً ما يقطعون الطرق وينجاوزون على المارة والقرى بما كان يسبب غضب الحكومة عليهم ، حتى إن الشيخ صفوق المشهور بمشيخته على شمر لما عاث فساداً طلبه والي بغداد ، فاغتاله جنود الوالي في الطريق بين الحمودية وبغداد ، كما أن عبد الكريم لما غارب الديار قبضت عليه الحكومة التركية وشنته علناً في الموصل قبل قرن تقريباً ، ولاقت شمر بعد ذلك ذلاً . عبد الجبار .

(٣٧) [الصواب (الحيا) وقد أخطأ في كتابه هذا الاسم صاحب كتاب «قلب جزيرة العرب» فكتبه (الحجيا) به على هذا الغزوي في «عشائر العراق» ٢١٦/١] .

(٣٨) البادية ص ٢٤٤ - ٢٥١ .

(٣٩) تاريخ ابن بشر ٢٢٠/٢ و ٢٢١ و تاريخ الفاعري ص ٨٥ و تاريخ المنقور ص ٦٩ [ذكر الغزوي «عشائر العراق» ج ١ ص ١٣١] — أن الجرباء هي أم سالم بن محمد — ومسلط هو ابن مطلق بن الحميدي بن جعيري بن مقرون بن محسن بن مشعل بن مانع بن سالم بن محمد — على ما ذكر الغزوي — أما عمار فلم أرفي المشجر الذي وضع الغزوي في كتابه «عشائر العراق» لم أرف له اسماً في شجرة آل محمد (آل الجرباء) وإنما ذكر عمار ، بن الحميدي بن الجعيري بن مقرون هو أخو مطلق أبي مسلط ، فلمعه هو عمار ، وذكر له ابنه حماد شلاش] .

(٤٠) راجع رحلة إلى بلاد نجد ص ١٩٩ . [هناك فارس بن محمد بن فارس بن الحميدي بن جعيري آل محمد — عده الغزوي في مشعر آل محمد (الجرباء) — ج ١ ص ١٣٣ من كتابه] .

(٤١) تاريخ الفاعري ص ١٣٦ .

(٤٢) تاريخ الفاعري ص ١٤٦ .

(٤٣) نشأة إمارة آل رشيد ص ١٠ حاشية .

(٤٤) المصدر السابق ص ٧٢ حاشية .

(٤٥) المصدر السابق ص ١١٨ حاشية .

(٤٦) لمع الشهاب ص ٤٣ و ص ٦٢ .

(٤٧) البادية ص ٢٤٩ .

الجامعات والشهادات

قرأت مقال : بلد شهادات الذي كتبه الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في العددين (٥ ، ٦) من السنة السادسة عشرة الصادرين في ذي القعدة وذو الحجة من سنة ١٤٠١ هـ (أيلول — تشرين أول/ سبتمبر — أكتوبر من سنة ١٩٨١ م في مجلة العرب السعودية .

ومجلة العرب مجلة دسمة في أبحاثها ومقالاتها ، لا يستغنى عن قراءتها عالم ومتعلم ، تتميز بالجدية في دراساتها ، وهي حسنة من حسنات العالم الجليل الشيخ محمد الجاسر . كما أن الدكتور حسين مؤنس معروف بدراساته القيمة ، وقد أضفى على مقاله من علمه وتجربته ودعابته المستملحة ما جعله حرياً بالقراءة والتعليق .

وأستطيع تلخيص تعليقي على هذا المقال القيم ، بثلاث نقاط هي : التأييد الكامل لما جاء في المقال بصورة عامة ، والمخالفة المحدودة في جزء صغير مما ورد في المقال ، والاقتراح على الكاتب أن يدلنا على المخرج من التردّي العلمي الذي يشكو منه ونشكو ، وتجربته الطويلة في الاشتغال بالعلم وحرصه وأمانته كفيلة أن تؤي في هذا المجال أينع القراء .

(٤٨) لمع الشهاب ص ٩٧ .

(٤٩) الشعر عند البدو ص ٢٤ وأحال إلى عشائر الشام لوصفي ذكريا .

(٥٠) أنظر سمط النجوم العمالي ٣٦٥/٤ و ٤٠٦ .

(٥١) القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين ص ٧٩ وقارن بصفحة ١٥١ (حاشية) .

[هذا رأي لا قيمة له فاسم الموضوعين أقدم من عصر أسرة الجرباء بعصور فأحدها كان معروفاً قبل الإسلام وفي صدر الإسلام ، وله ذكر في السيرة النبوية حمد] .

(٥٢) [ذكر الغزالي وعشائر العراق] ١٣١/١ — أن الجرباء هي أم سالم بن محمد ، قال الجرباء وآل محمد عنده مترادفان كما في ص ٣١ : (بيت الرئاسة — الجرباء آل محمد) .

(٥٣) عن قوة نفوذهم في العراق أنظر معجم قبائل العرب ٦٣/٤ — ٦٤ .

(٥٤) الشعر عند البدو ص ٢٤ إلا أنني أصلحت نخل الوزن وهي من فن الخفاء .

التأييد الكامل : كان وصف الدكتور حسين لحاملي الشهادات وصفاً عادلاً ، لا لأنه ينطبق عليهم جميعاً ، بل لأنه ينطبق على أكثرهم ، ولا عبرة بالشواذ .

وتأييدي يقتصر على إضافة أمثلة جديدة ونماذج واقعه ، تؤيد ما جاء في المقال .

أعرف دكتوراً تخرج في إحدى الجامعات الفرنسية ، يشغل منصباً مرموقاً ويتباهى بلقبه العلمي ، وقد سأله مرة عن موضوع رسالته ، فتهرب من إعطاء الجواب ، ولا يعرف أحد حتى اليوم موضوع الرسالة التي نال عليها لقبه العلمي .

وأدهى من ذلك وأمر ، هو أن الدكتور يجهل اللغة الفرنسية ، وهذا ما لم يستطع كتابته كما فعل بكتان رسالته !!

وقد علمت أن الدكتور سافر إلى فرنسا ، فأتصل بأحد الذين يكتبون الرسائل للطلاب لقاء أجر معين من المال ، فكتب له الرسالة ، وجمع له الأساتذة المناقشين الذين منحوه اللقب العلمي !

وكما يكون للطبيب عيادة ، وللمحامي والمهندس مكتب ، وللتاجر متجر ، ولأصحاب الحرف والباعة أماكن للخدمات والبيع والشراء ، فتح قسم من الأساتذة مكاتب في زوايا المقاهي في الحيّ اللاتيني بباريس ، حرفتهم كتابة الرسائل ، وحشد الأساتذة لمناقشتها ، واستحصال الشهادات العالية للطلاب الأجانب ، لقاء أجر مالي يرتفع وينخفض بارتفاع وانخفاض الأسعار السائدة للسُّلع المختلفة في السوق .

ونشاط تجار الرسائل الجامعية مكشوف ، لا يخفي على السلطات الحكومية وغير الحكومية ، وربما كان تغاضي تلك السلطات عن أولئك التجار ، لأن نشاطهم يقتصر على تصدير الشهادات إلى البلاد العربية بخاصة والإسلامية بعامة ، ولكن أليس على مسؤولي التربية في البلاد العربية والإسلامية حاية بلادهم من استيراد الشهادات العالية المزيّفة ؟!

والجامعات الأجنبية ليست سواء ، فمنها من لا يختلف كثيراً عن تجار الشهادات الذين مرّ ذكرهم فهم لا يهتمون بعلم الطالب كما يهتمون بجيبه ، والمهم في نظرهم قبض الثمن وتقديم الشهادة .

ومن الجامعات الأجنبية مَنْ لا يزال يحترم العلم حقاً ، فيعصرون الطالب عصراً وبخاصة إذا كان من أبناء وطنهم ، أما الطلاب الشرقيون عامة فليس المطلوب منهم أن يتعلموا كما يتعلم الأجانب حتى يتمحووا الشهادات العلمية العالية ، بل يشملهم التساهل لسبب أو لآخر ، فلا تكون شهاداتهم العالية مناسبة لعلومهم المتواضع .

أما الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية ، فالأمر مختلف جداً ، لأن أساتذتها غالباً ما يكونون يهوداً أو نصارى من رجال الدين المسيحي المعتين بالتبشير ، أو من الذين عملوا في السفارات الأجنبية أو مع جيوش الاحتلال ، وجميع هؤلاء لا يفهمون العربية لغة الإسلام ديناً كما ينبغي ، ويحملون روحاً معادية للعربية والإسلام بما فيه التاريخ الإسلامي ، وهم يُتقنون الدس والتشكيك ويشيعونها بين الطلاب ، فيعود الطالب بعد تخرجه ومعه شهادته العالية ، وهو مؤمن أن العربية أصعب اللغات ، وأنها لغة ثانوية محلية وليست لغة عالمية ، وأنها لا تصلح لغة للعلم وقد تصلح لغة للأدب المحلي ، وأنها بحاجة إلى التحوير والتطوير بإبدال حروفها وإملائها وإعرابها ، وأن إشاعة العامية من الحلول المجدية لإصلاح العربية . إلى أمثال هذا الدس والتشويه والتشكيك الذي مصدره أساتذة الجامعات الأجنبية من يهود ونصارى وجواسيس .

ويعود الطالب بعد تخرجه في الجامعات الأجنبية ومعه شهادته العالية ، وهو مؤمن أن التاريخ الإسلامي مزور ، وأنه ليس تاريخاً بل حكايات ، وأنه يجب إعادة كتابة التاريخ بإلغاء التاريخ وإعادة كتابته كما كتبه الأجانب من أعداء العرب والمسلمين . وأن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن الفتح الإسلامي كان لأسباب اقتصادية ، وأن مفسري القرآن الكريم منحرفون ، والمحدثين مغفلون ، والفقهاء محترفون .

وهؤلاء الطلاب على الغالب ، العائدون بشهادتهم العالية ، لم يقرأوا مصادر اللغة العربية وتاريخ الإسلام ، ومصادر الحديث والفقه ، كل مراجعهم أجنبية مسمومة . وأغلب هؤلاء بعد عودتهم ، لا يريدون أن يتعلموا من جديد ، بحجة أنهم بلغوا القمة في العلم ، وتكفيهم مراجعهم الأجنبية ، أما المصادر الإسلامية المعتمدة ، فيطلقون عليها بازدراء : الكتب الصفراء ، كما علمهم أساتذتهم من يهود ونصارى وجواسيس .

فإذا عادوا إلى بلادهم نفثوا سمومهم في طلابهم بالجامعات العربية والإسلامية ،
بمؤلفاتهم ومقالاتهم المنقولة حرفياً عن المراجع الأجنبية في قرائهم ، وبأحاديثهم المسبوبة
والمرئية في السامعين والمشاهدين ، فشاع الدس والافتراء والتشكيك وعمّ البلاء .

وقد أجرت مجلة اللسان العربي قبل سنوات استفتاء مفاده : هل تصلح اللغة العربية
لغة للعلم ؟ فأجاب الكاتبون إجابات مختلفة متناقضة .

وكان أحد الأساتذة (الدكاترة) الجامعيين المجمعين ، قد أجاب : (إنها لا
تصلح) .

وسألت الحبيب : هل أطلعت على كتاب المخصّص لابن سيدة مثلاً ؟ فأجاب :
(لا) : فقلت له : إذا كانت العربية الفصحى لغة القرآن الكريم ، وهي اللغة الحية التي
قادت العلوم في العالم بضع قرون لا تصلح لغة للعلم برأي أستاذ (دكتور) جامعي
مجمعي ، فاقراً على الدنيا السلام ! إن أبسط فرد من أفراد العدو الصهيوني يزعم أن
اللغة العبرية وهي لغة ميتة لم تحمل العلم أبداً ، هي صالحة للعلم ، وقادرة على النهوض
بمفرداته ، وقد استطاع ذلك العدو أن يجعل هذه اللغة الميتة لغة علمية بالإكراه في
جامعاته كما هو معروف ، فإن الادعاء بأن العربية الفصحى لا تصلح للعلم دسيسة من
سدائس أعداء العرب والمسلمين وعلى رأسهم الاستعمار والصهيونية .

وحملت إلى الأستاذ الدكتور الجامعي الجمعي مجلدات كتاب «المخصّص» ليطلع
عليه ، فما قرأه ولا استفاد منه ، فاستعدت الكتاب منه ، لأنه كان غريباً في مكتبته بين
مراجعته الأجنبية الدرية .

وقد قرأت بحثاً عن مؤلف من مؤلفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم القدامى ، كتبه
أستاذ دكتور جامعي ، فاعتمد المراجع الأجنبية في كتابته بحثه : ولم يرجع إلى المصادر
الإسلامية المعتمدة .

وبالطبع نقل اتهامات الأجانب لهذا المؤلف العربي المسلم ، وهو عندهم مزور كذاب
متناقض ، وهو في المصادر الإسلامية المعتمدة ثقة أمين محدّث فقيه لغوي حافظ ورع ،
وما درى الأستاذ الدكتور أن المؤلفين الأجانب من يهود ونصارى لا يههمهم الطعن في

المؤلف العربي المسلم القديم ، إلا لأنه رائد في السيرة النبوية ، فالأجانب يريدون طعن السيرة المطهرة والتشكيك فيها ، فكان على الأستاذ الدكتور العربي المسلم ، ألا يردّد اتهامات الأجانب بدون تحقيق ولا تدقيق ، وكان عليه أن يشكك في الاتهامات ، ولو عاد إلى مصدر إسلامي معتمد ، لانكشف له دسّ المؤلفين الأجانب وتزويرهم .

وصدّمتُ بالبحث المذكور ، وتأملتُ كثيراً ، فقلت للأستاذ الدكتور : ألم تطلع على ميزان الاعتدال في نقد الرجال « للذهبي » ؟ وفي ظني أن هذا الكتاب مشهور للغاية ، لا يجهل مكانه ومكانته أصغر طالب من الطلاب في الدراسات التاريخية والإسلامية ، ولكن الأستاذ الدكتور خريج الجامعات الأجنبية في التاريخ الإسلامي والأستاذ في الجامعات العربية ، لم يكن يعرف هذا الكتاب ولم يسمع به في حياته !!

إن أولادنا الذين نبعثهم إلى الجامعات الأجنبية للدراسات العليا في اللغة العربية ، بعد تخرجهم في الاعدادية أو في الثانوية العامة كما يطلق عليها في قسم من البلاد العربية ، يعودون وقد أصبحوا أعداء للغتهم ، ووجودهم في الجامعات الغربية والإسلامية من مصلحة العدو لا من مصلحة الصديق .

ونيات الأجانب في عدوانهم للعربية لغةً معروفة ، والتنفيس عن عداوتهم بالدعوة إلى العامة تارة أو الكتابة بالأحرف اللاتينية ، تُثار من الأجانب تارة ، ومن أذنانهم المستغربين تارة أخرى ، هدفها أن يُصبح هذا القرآن مهجوراً .

إن أعداء العرب والمسلمين من الأجانب ومن أذنانهم الذين لم أر واحداً منهم دخل مسجداً ولا صلّى صلاة واحدة ، يعلمون أن القرآن الكريم هو سرّ بقاء العربية لغةً والإسلام ديناً ، فإذا هجره العرب والمسلمون فقد خسروا كلّ شيء ، وماتوا ولو بقوا على قيد الحياة : فإنما الميتُ ميتُ الأحياء كما يقول الشاعر وجينداك لا يقاوم الاستعمار أحدٌ ، ولا يقضّ مضجع الصهيونية أحد !!

إن العربي المسلم أخرى الناس بالدفاع عن لغته ودينه ، لا أن يروّج لدسّ الأجانب بجهل وغباء عجيب .

أمّا أولادنا الذين نبعثهم إلى الجامعات الأجنبية للدراسات العليا الإسلامية ومنها

التاريخية ، فيعودون أعداء للإسلام وللتاريخ الإسلامي ، لأنهم تلقوا علمهم على أجناب يهود ونصارى يعادون الإسلام والتاريخ الإسلامي ، وخير دليل على عداوتهم تلك الكتب التي ألفوها في الدس والتشكيك والافتراء على الإسلام وعلى التاريخ الإسلامي ، فهل من مصلحة العرب والمسلمين أن يسلّموا أفلاذ أكبادهم لأعداء دينهم وناريخهم المجيد ؟!

فإذا عاد هؤلاء من الخارج وأصبحوا أساتذة في الجامعات ، لوثوا عقول طلابهم وسَمّموها ، وعلموا الدس والتشكيك والافتراء ، وخير دليل على ذلك ما نجده من انحراف الطلاب في الجامعات العربية والإسلامية عن الطريق المستقيم فكراً وعلماً وعملاً وعقيدة ، ومن كان في ريب من هذا ، فليسال كم عدد الطلاب الذين يؤدون الصلاة !!!

واقراً معي في كتب التاريخ الإسلامي التي تدرّس في الجامعات العربية والإسلامية ، أن الفتح الإسلامي كان لأسباب اقتصادية ، وأن انتصار الفاتحين كان لضعف المقاومة في البلاد المفتوحة ، وأن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن النصارى العرب عاونوا المسلمين العرب في الفتح ، وأن أحد قادة الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب كان مرتدّاً أو نصرانياً ، مع أن عمر كان لا يولي إلا الصحابة إلى غير هذا الدس والتشكيك !

ولا يدلُّ مثل هذا الدس اللثيم إلا على التضييل المتعمّد ، وغاية المراجع الأجنبية المريبة ، وأهداف الأجانب الذين زوّروا هذه الأباطيل مكشوفة ، هي سحق العرب والمسلمين حتى لا تقوم لهم قائمة أبداً ، فما ينبغي من عربي مسلم أن ينقل مثل هذه الأباطيل ويروجها إلا إذا أراد أن يدلّل عملياً على جهله المطبق وأنه ليس عربياً ولا مسلماً ، بل هو أجنبي كأستاذه ، وعلى دين أستاذه اليهودي أو النصراني أو اللاديني أيضاً .

والذي نطالب به المسؤولين عن الجامعات العربية والإسلامية ، أن يعيدوا النظر في ابتعاث الطلاب العرب والمسلمين إلى الدراسات العليا العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية ، وأن نطلع على محاضرات المتخرجين من تلك الجامعات ومؤلّفاتهم ونقوّم كلّ

انحراف فيها . أما الاطلاع على رسائلهم الجامعية فضرورية إلى أبعد الحدود .

في الجامعات العربية والإسلامية : وبدأت الجامعات العربية والإسلامية عملها في ميدان التعليم ، مقتبسة المناهج والملاكات وأساليب التدريس من الجامعات الأجنبية . حتى الجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر الشريف والقرويين والزيتونة ومدارس النجف وبغداد وفاس وتونس قرّنتها ، فكانت تخرّج العلماء والدعاة فعادت تخرّج الموظّفين والكسبة .

وسمّيت الجامعات الأجنبية ، التساهل مع الغرباء وبخاصة العرب والمسلمين ، والتشديد على أبنائها ، إذ لا يهتمّ أن يتعلم الطلاب العرب والمسلمون ، كما لا تحبّ أن تكون للعرب والمسلمين جامعات محترمة لها وزن علمي مرموق ، فكان المتوقع أن تقتبس الجامعات العربية والإسلامية التشديد في القضايا العلمية لا التساهل فيها من الجامعات الأجنبية ، ولكنها بالعكس تماماً اقتبست التساهل دون التشديد ، فخيرنا تقاليدنا العلمية العريقة ، ولم نستفد شيئاً .

أذكر أنني دُعيت إلى تناول طعام الغداء في دار أحد الطلاب الذين يُعدّون للدكتوراه ، فوجدت المشرف على رسالة الطالب ومعه زوجته وبناته وأولاده في دار الطالب ، ورأيت الأستاذ الدكتور المشرف يكتب الرسالة للطالب ، وسمعت الطالب يلوم أستاذه على تأخّره في إعداد الرسالة ، فلما جاء الطعام شارك في تناوله الأستاذ وزوجه وبناته وبنوه . وقد علمت أنّ الأستاذ يتسلم الهدايا العينية والنقدية من طالبه ، فإذا تأخّر الطالب عن أداء الرشوة — عفواً الهدية — طالبه بها الأستاذ ، وطالبه بها وزوجه وذريته جميعاً ، وكان الطالب حين يسافر إلى بلده في إجازة ويعود منها بالطائرة ، يبلغ وزن عفشه مائة وثمانين كيلاً ، عفشه الخاص عشرة منها والباقي هدايا للأستاذ الدكتور وعائلته كباراً وصغاراً .

وشهدت مناقشة الرسالة ، فناقش الأستاذ المشرف الرسالة التي كتبها ، ودافع عنها دفاعاً مجيداً ، وكان في أثناء المناقشة كأنه هو الطالب المناقش ، وكان الطالب كأنه هو الأستاذ .

وانتهت غثيابة المناقشة . وأصبح الطالب دكتوراً بدرجة الشرف الأولى ، وأصبح نجماً من نجوم الجامعات العربية ، ينتقل من جامعة في بلد عربي ، إلى جامعة أخرى في بلد عربي آخر ، ويستقر في الجامعة التي تدفع له مالا أكثر ، ولا عجب فهو يريد أن يسرّد ما أنفق من أموال على نيل شهادته العالية ، والله وحده يعلم كيف يعامل طلابه وكيف يتعامل معهم ، وقد تربى في تعليمه منحرفاً ، فلا بُدّ أنه ينقل انحرافه بالعدوى إلى طلابه .

وجاءني طالب نال شهادة الماجستير من جامعة عربية على رسالة في التاريخ العسكري لحقبة من حقبة الدولة العباسية ، وقدم إليّ نسخة من رسالته ، وحاول أن أكتب مقدّمة للرسالة حتى يستطيع نشرها أو تكون المقدّمة نوعاً من التزكية لرسالته . وعكفت على قراءة الرسالة ، فوجدتها نافهة مبهتة لا تستحق أن تنشر في صحيفة محلّية من الدرجة العاشرة لا أن تكون رسالة علمية لنيل شهادة علمية عالية .

ودعنا من الأخطاء اللغوية والإملائية وفي الترقيم والتبويب ، فقد أصبحت هذه الأخطاء من الأخطاء الشائعة التي لا يهتم بها أحد ، ولا يحاسب على الوقوع فيها أحد ، ولكن الأخطاء التاريخية والأخطاء في قلب الحقائق يزكم الأنوف ويجعل الحليم حيران . واعتذرت للأستاذ الذي أصبح معيلاً في الجامعة عن كتابة المقدّمة ، وبيّنت له ما فيها من هنات ، ووعدته أن أكتب له المقدّمة إذا أعاد كتابة رسالته وبرّاها من تلك الهنات .

ومضى الأستاذ إلى سبيله ، ولكنه أعاد الكرة عليّ من جديد ، ومعه شفعاكهم الأساتذة الذين ناقشوا الرسالة ، وقد ثبت لي أنهم لم يقرأوا الرسالة بل تصفّحوها ، فلما ذكرت لهم غيضاً من فيض أخطائهم ، اعتذروا بأن الرسالة عسكرية ، وهم غير عسكريين ، فكان اعتذارهم أشدّ وقعاً عليّ من الأخطاء .

وحقّق طالب كتاباً في التراث عن الأنساب ، وقدمه للمجمع العلمي العراقي على أمل نشره ، فأحالت لجنة النشر في المجمع ذلك الكتاب إليّ لدراسته وتقرير صلاحيته للنشر .

ولم أكد أقرأ صفحة من صفحانه ، إلّا وانهاالت عليّ الشفاعات ، كأنها المطر الغزير في فصل الشتاء ، فوعدت أن أعطي الجواب للشفعاء بعد قراءة الكتاب .

وقرأت الكتاب الذي نال محققه عليه شهادة عالية من الجامعة ، فهالني كثرة التحريف في الأسماء عامة ، أسماء الأشخاص ، وأسماء القبائل ، وأسماء الأماكن ، ولم تكن تلك الأسماء موثقة بحركات الأعراب مما يؤدي إلى مشقة قرائتها قراءة سليمة ، والأغرب من كلّ ذلك — في نظري على الأقل — هو مناقشة حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هامش إحدى الصفحات ، مناقشة لا تليق بمسلم تجاه الحديث . ونسيت أن أذكر أنّ الآيات لم ينص على السور الواردة فيها ورقها ، والأحاديث لم تخرج ، بل إنّ قسماً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة نقلت خطأ دون الرجوع إلى الكتاب العزيز للتأكد من سلامة نقل الآيات ، وإلى كتب الحديث للتأكد من صحة نقل تلك الأحاديث .

وأعدت الكتاب إلى (المجمع) مرفقاً بتقرير يضمّ ما في الكتاب من أخطاء ، وختمت التقرير بأنّ الكتاب لا يصلح للنشر .

ولا أزال مُستغرباً من منح الطالب على مسخ هذا الكتاب شهادة عالية ، وقد أغضبت الأستاذ محقّق الكتاب الذي علمت أنه من ذوي السلطة والسلطان ، ولكنني أرضيت الله ، ولبته يرضى والأنام غَضَابٌ .

إنّ أكثر حاملي الشهادات العالية ، يعتقدون أنّ نيل الشهادة العالية هو نهاية الجهد الذي يبذلونه من أجل العلم ، والواقع أنّ نيل الشهادة العالية هو بداية الجهد الذي يبذلونه من أجل العلم ، والمرء الذي يريد أن يصحح علماً حقاً ، لا بدّ له من أن يبذل قُصَارَى جُهدِهِ من المهد إلى اللّحد للتعلم ، وأن يبقى طالباً مدى الحياة ، يسعى إلى العلم والعلماء ، ويأخذ العلم من كل عالم في كل مكان ، دون التعالي بالشهادة العالية ، فهذه الشهادة لا ترفع أحداً ، والعلم وحده هو الذي يرفع العلماء ، والانتاج العلمي وحده هو الذي يرفع قدر العالم ويميزه عن غيره من العلماء .

والخلاصة أنّ الجامعات العربية أصبحت مصانع لتخريج الموظفين : وأنّ السّاعين

لنيل الشهادات العالية يسعون إليها من أجل تحسين حالتهم المعاشية ، لأنها تغدق عليهم مرتبات أكبر وأضخم مما كانوا يتقاضونه قبل نيلها ، وأنها تيسر لهم العمل في الأقطار العربية الأخرى التي تدفع لهم مرتبات أكبر وأضخم مما كانوا يتقاضونه في بلادهم الأصلية ، أما العلم فغائب عن العملية كلها ، إلا ما يفسح المجال لهم لنيل الشهادات العالية ، ولا يكون العالم علماً إلا إذا أحب العلم من أجل العلم لا من أجل المال .

كما أن نيل الشهادة العالية يضفي على أصحابها نوعاً من الامتياز ، فالتناس يظنون بهم العلم ، وأنهم من كبار العلماء إن لم يكونوا من قادة العلماء ... !

وأريد أن أقرر بكل صدق وأمانة ، أن الامتياز الذي يتصوره حامل الشهادة العالية أو يحلم به ، هو في الحقيقة والواقع امتياز موهوم ، فالتناس تضع أصحاب الشهادات العالية وغيرهم من الناس في مواضعهم التي يستحقونها ، فتضفي على أصحاب الشهادات الامتياز الذي يتصورونه وأكثر مما يتصورونه ، إذا كانوا يستحقون هذا الامتياز . أما الذين لا يستحقونه ، فقد تكون الشهادات العالية من بعض البلاء عليهم ، لأن المفروض أن يثبتوا عملاً جدارتهم بحمل ألقاب تلك الشهادات العالية ، فإذا لم يستطيعوا بالعمل إثبات جدارتهم بالتأليف المثمر ، والبحوث الياقة ، والعلم النافع ، والتدريس المجدّي ، فإن شهاداتهم العالية تكون وبالاً عليهم ، إذ سرعان ما ينكشف أمرهم — إذا كانوا خائبين ، فيوضعون في حقل الجاهلين لا في حقل العالمين ، ولا يستوي الذي يعلمون والذي لا يعلمون .

الأمانة العلمية : وعلى ذكر تساهل الجامعات الأجنبية مع الطلاب العرب والمسلمين في منحهم الشهادات العلمية العالية ، وعلى ذكر تساهل قسم من الأساتذة العرب والمسلمين في الجامعات العربية والإسلامية في منح الشهادات العلمية العالية لطلابهم العرب والمسلمين ، لا بدّ من تذكّر ما كان يتمتّع به السلف الصالح من علماء العرب والمسلمين من أمانة علميّة فائقة ، ورعاية متميّزة لطلابهم دون التساهل معهم في القضايا العلمية ، ومن محافظة على كرامة العلماء .

ومصادر المسلمين في السّير والتاريخ ، عامرة بأخبار العلماء والطلّاب .

قصد أسدُ بنُ الفُرات — مُصَنَّفُ كتاب «الأسدية» في فروع الفقه المالكي وفاتح
جزيرتي قُوصرة وصِقْلِيَّة في البحر الأبيض المتوسط ، قصد المدينة المنورة سنة اثنتين
وسبعين ومئة الهجرية (٧٨٨م) ، وأخذ العلم عن الإمام مالك رضي الله عنه .

وقبل أن يغادر أسدُ المدينة المنورة بعد أن استوعب علم مالك ، ودَّع مالكاً فقال
له : أوصيك بتقوى الله والقرآن ، والمناصحة لهذه الأمة .

وقصد أسدُ العراق ، فلقي في بغداد أصحاب الإمام أبي حنيفة الثَّعْبان بن ثابت
رضي الله عنه ، أبا يوسف يعقوبَ بن إبراهيم ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وغيرهما ،
فكتب الحديث في العراق وتفقه به .

وحضر أسدُ مجالس محمد بن الحسن الشيباني العامَّة ، فلم يكتب بذلك ، بل طلب
إليه أن يسمح له بوقتٍ يخصُّه فيه بالدراسة ، فقال أسد لمحمد بن الحسن : إني غريب
وقليل النفقة ، والسَّامع عندك نزر ، والطلب عندك كثير ، فاحيلني ؟ ، فرحَّب محمد بن
الحسن باستزادة طالبه من العلم ، وقال له : اسمع من العراقيين بالنَّهار ، وقد جعلتُ لك
الليل وحدك ، فتأتي فتسئُّ عندي ، فأسمعك .

قال أسدُ : فكنتُ أُنَبِّئُ في سَقِيقَةِ بَيْتِ يسكن محمد بن الحسن في علُوهِ ، فكان
يتزل إليَّ ، ويضع بين يديه قدحاً فيه ماء ، ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل ورآني
نعتُ ، ملأ يده ماءً ونضح به على وجهي ، فأنبته ، فكان ذلك دأبي ودأبه ، حتى
أنبتُ على ما أريد من السماع عليه .

وأسبغ محمد بن الحسن رعايته الماديَّة والمعنويَّة على الطالب أسد ، كما كان يفعل
السَّلف الصالح من الأساتذة بطلَّابهم . قال أسد : كنت جالساً يوماً في حلقة محمد بن
الحسن ، فصاح صائح : الماء للسَّيْل ! فقمتُ مبادراً ، فشربت من الماء ، ثم رجعت
إلى الحلقة ، فقال محمد بن الحسن : يا مغربي ! أشربتُ ماء السَّيْل ! ! فقلتُ أصلحك
الله ، وأنا ابن سَيْلٍ ! !... ثم انصرفتُ .

فلما كان الليل ، إذا بإنسان يدقُّ الباب ، فخرجتُ إليه ، فإذا خادم محمد بن
الحسن ، فقال : مولاي اقرأ عليك السَّلام ويقول لك : ما علمتُ أنك ابن سَيْلٍ إلا

في يومي ، فخذ هذه النفقة ، فاستعن بها على حاجتك ... ثم دفع لي صرة ثقيلة .
فقلت في نفسي : هذه كلّها دراهم ... فقرحتُ بها ، فلما دخلت منزلي فتحتها . فإذا
فيها ثمانون ديناراً !!

هكذا كان يحرص الأساتذة على التعليم ، وهكذا كان يحرص الطلاب على التعلم ،
وهكذا كانت طريقة الأساتذة المادية والمعنوية لطلابهم ، وهكذا كان يحرص الأساتذة
على كرامة الطلاب ليغرسوا في نفوسهم سحبة الحفظ على كرامة العلم والعلماء بعد
تخرجهم .

وأذكر أنّ طالباً درس العلم على والده العالم في الموصل ثلاثين سنة ، فأصرّ والده على
حرمانه من (الإجازة) لأنه لم يستوف شروط العالم المتمكّن . ولجأ الطالب إلى زملاء
والده من علماء الموصل الأعلام ، وكان ذلك قبل أربعين سنة خلت ، ليشفعوا له عند
والده في منح (الإجازة) له ، فاعتذر أكثر العلماء الذين لجأ إليهم قائلين له : « لا
تدخل في مثل هذا الأمر » .

واستطاع إقناع عالمين جليلين من علماء الموصل أن يشفعا له عند والده ، فلما كلّما
الوالد الأستاذ ، غضب غضباً شديداً وقال : أين أذهب من الله . إذا أنا منحتُ
الإجازة لمن لا يستحقها ولو كان ولدي !!

هكذا كانت أمانة العلم في نظر العلماء الأعلام ، يؤدونها لطلابهم من أبنائهم ومن
غير أبنائهم ، فقد كانوا يُعلّمون العلم ويُعلّمون ما هو أثمن من العلم : ولا يكون للعلم
بدونه وزن ولا قيمة ، وهو الخلق الكريم .

وصادفت الشيخ أحمّد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق وهو بهمّ بدخول مسجد
المرادية في بغداد لصلاة العصر ، وكان ذلك قبل خمس وعشرين سنة ، فجاءه رجل
واستفناه في قضية شرعية سهلة ، ولكن الشيخ الزهاوي عليه رحمة الله استمهل السائل
قائلاً : تأتيني بعد يومين في هذا المكان في مثل هذا الوقت لأعطيك الجواب . وقد كان
باستطاعة الشيخ الزهاوي أن يفني الرجل فوراً ، لأن القضية سهلة ، ولكنه أراد أن يعود
إلى مصادره من الكتب ليثبت من الجواب .

وقد حجّ هارون الرشيد الخليفة العباسي ، فشخص بعد الحج إلى المدينة المنورة .
وأراد أن يسمع الحديث عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، فأرسل يستقدمه ،
فقال مالك للرسول : قل لأمر المؤمنين ، إنّ طالب العلم يسعى إليه ، أما العلم فلا يسعى
إلى أحد .

وأذن الخليفة ، فزار مالكا في داره ، ولكنه أمر أن يُخلّي المجلس من الناس ،
فأبى مالك إلا أن يظلّ الناس كما كانوا ، وقال : إذا منع العلم عن العامة ، فلا خير فيه
للخاصة .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : لو أنّ أهل العلم أكرموا أنفسهم ،
وأعزّوا هذا العلم ، وصانوه ، وأنزلوه حيث أنزله الله عزّ وجلّ إذا خضعت لهم
رقاب الجبابرة ، وانقاد لهم الناس ، وكانوا لهم تبعاً . ولكنهم أذلّوا أنفسهم ، وبذلوا
علمهم لأبناء الدنيا ، فهانوا وذلّوا ... فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فأعظم بها من
مصيبة .

والسبب المهمّ فيما كان يتمتّع به علماء السلف الصالح من مزايا علميّة متميزة :
الحرص على تعليم الطلاب ورعايتهم مادياً ومعنوياً ، والالتزام بالأمانة العلميّة المطلقة ،
والحفاظ على كرامة العلم والعلماء والافتاء بعد التثبّت والتدقيق والتحريض والدّرس ،
السبب المهمّ هو أنهم كانوا يخافون الله ، ويعتبرون العلم (عبادة) من أجلّ العبادات .

فلما انصرف الناس عن الدين ، أصبح الأستاذ لا يهتمّ بتعليم الطالب ، وأصبح
الطالب لا يهتمّ بالتعلّم إلا بالقدر الذي يوصله إلى الشهادة العلميّة ، وأصبح الأستاذ لا
يرعى الطالب ، وأصبح الطالب يرعى الأستاذ لا لله بل للشهادة ، وأصبح التّزام الطالب
بالأمانة العلميّة ضعيفاً ، وأصبح الحفاظ على كرامة العلم والعلماء قليلاً ، وأصبح
الجاهل يُفني بأصعب المشكلات في أسرع الأوقات ، وأصبح العالم والمتعلّم يعتبرون العلم
(نجارة) من أربح التجارات .

وما لم نعدْ إلى التمسك بأهداب الدين الحنيف الذي جاء ليتمّم مكارم الأخلاق ،
فلن نستعيد مكانتنا العلميّة ، بل نبقى عالة على الأمم وفي مؤخرتها في العلم .

وواقعنا المرير عرباً ومسلمين . خير دليل على ذلك .

الموقف العلمي الراهن : لست أقصد أن الديار خلت من العلماء الأعلام ، فالخير باق ما بقيت السموات والأرض ، ولكن العلماء الذين يؤدون واجبهم كما ينبغي لا بُدَّ وأن يكونوا ممن يحافون الله ، أو يكونوا ممن تربوا تربية صالحة وأثر في سير حياتهم المستقيمة أحد الأبوين أو كلاهما أو أحد الأقرباء والأصدقاء ، أو أحد الأساتذة في المدرسة أو المعهد أو الجامعة .

وقد فكرت كثيراً في الفرق الشاسع العظيم بين الأساتذة الذين تلقى عليهم العلم جيلنا ، وبين الأساتذة الذين يتلقى عليهم العلم أبنائنا ، فوجدت أن أساتذتنا كانوا تربية الدولة الإسلامية الواحدة ذات السيادة والمكانة ، وأساتذة أبنائنا تربية الدويلات المستعمرة الضعيفة التي تطبق المناهج الاستعمارية في التعليم والتي تتوخى ضخامة (الكثبة) في المتعلمين وضخالة (التوعية) فيهم .

وكان أساتذة جيلنا قسمين : قسم تلقى العلم في جامعة المسجد ، وتخرج في جامعة المسجد ، يتقن العربية ويعتزُّ بها ، ويتقن العلوم الدينية ويعتزُّ بها ، ويعرف المصادر الإسلامية المعتمدة ويلازمها . وقسم تلقى العلم في الجامعات الأجنبية ، ولكنه لم يسافر إلى الخارج لتلقي العلم إلا بعد أن تخرج في جامعة المسجد ، فتعلم من الجامعات الأجنبية لغة أجنبية ، وتعلم أساليب الكتابة الحديثة في مقدمتها وممتنها وخاتمها ، وفي تويرها وترقيمتها ، وفي فهرستها بحسب الحروف الأبحدية للأعلام والأماكن وغيرها ، وكانت معلوماته عن العربية لغةً والإسلام ديناً قوية بحيث يصعب على الأسناذ الأجنبي أن يغوي أحداً منهم بدسِّه وتشكيكه ، لأنه لم يسافر إلى الخارج لتلقي العلم مراهقاً في ريعان الشباب ، جاهلاً للغة والدين والمصادر الإسلامية المعتمدة ، فكان هذا القسم من أساتذة جيلنا متيناً في علمه قوياً في دينه منظماً في عقله ، فأثمرت دراسته الأجنبية بالنسبة له إنساناً ، وبالنسبة للدارسين عليه طلاباً ، وكان من هذا القسم من نعرفه في ريادته العلمية والأدبية والتعليمية .

أما أساتذة أبنائنا ، فقسمان أيضاً : قسم تخرج في الجامعات العربية والإسلامية من أصحاب الشهادات العالية الذين تساهل معهم أساتذتهم في منحها ، وتلقوا العلم

بموجب المناهج الاستعمارية المربية ، فتخرجوا أنصاف متعلّمين ، يهتمون بالمظهر أكثر من اهتمامهم بالخير وبالقشور دون اللُّبّاب ، فكانت ثمراتهم في الجامعات متخرجين ضعفاء في لغتهم ، غير ملتزمين بدينهم ، خطّهم يشبه الدبابة التي غطست في الحبر وتحركت على الورق ، وإملاؤهم أعرج ، وإنشاؤهم ركيك ، وعلمهم لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة أيضاً ، لأنّ أكثره نظري يُنسى بمرور الأيام ، وليس عملياً لا يُنسى أبداً .

أما القسم الثاني من أساتذة أبنائنا ، فهم الذين تخرجوا في الجامعات الأجنبية ، وحالهم ليس أحسن حالاً من الأساتذة الذين تخرجوا في الجامعات العربية والإسلامية ، إلّا في كرههم للعربية ، وابتعادهم عن الدين وتمسكهم بالمراجع الأجنبية ، ونقل ما فيها من دس وتشكيك واقتراء ، إلى العربية حرفياً ، وتسميم عقول أبنائنا وقلوبهم بها أيضاً . وهناك أساتذة من أساتذة أبنائنا جيّدون حقاً ، ولكنهم على كلّ حال قليلون ، والعبرة بالكثرة الكثيرة لا بالقلّة القليلة .

في البلاد العربية مثلاً ، كانت الأُمّية في أيام دراسة جيلنا في المرحلتين الابتدائية والثانوية (١٣٤٥ هـ — ١٣٥٦ هـ) أو (١٩٢٦ م — ١٩٣٧ م) متفشية جداً ، فقد كانت نسبة المتعلمين حينذاك لا تزيد على خمسة بالمئة بالنسبة للأميين ، مع اختلاف يسير في هذه النسبة المثوية بين الأقطار العربية ، وهذه النسبة هي المعدّل التقريبي . ولكن كان في البلاد العربية كثير من العلماء الأعلام الذين لا تزال نلمس أثرهم وتأثيرهم في حياتنا الثقافية حتى اليوم .

واليوم في سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م ، أصبحت النسبة المثوية للمتعلّمين ثمانين بالمئة ، وللأميين عشرين بالمئة ، مع اختلاف في هذه النسبة المثوية بين الأقطار العربية ، وهذه النسبة هي المعدّل الإجمالي .

ولكن ليس في البلاد العربية من العلماء الأعلام بالكفاية التي كانت للعلماء الأعلام في البلاد العربية علماً وتأليفاً ونشاطاً .

ومعنى ذلك أن (كميّة) المتعلمين في البلاد العربية ازدادت كثيراً أضعافاً مضاعفة ولكنّ (نوعية) المتعلمين قلّت بشكل يلفت الأنظار ويدعو إلى التساؤل والاستغراب .

و(الكيفية) أهم بكثير وأجدى من (الكية) في هذا المجال .

إننا نستطيع أن نُعدّد كثيراً من الآثار الباقية لأساتذة الجيل الماضي ، وقد مضوا إلى جوار ربهم دون أن يسدّ أمكنتهم أساتذة الجيل الحاضر ، ولا يزال الفراغ الذي تركوه بارزاً ، ولكن لا تزال بقية من العلماء الأعلام على قيد الحياة ، ولكنهم أفنوا الجزء الأكبر من أعمارهم ، ولا ندري ماذا سيحدث بعد انتقال هذه البقية الباقية من العلماء إلى جوار الله !!

لقد ازداد عدد المدارس والمعاهد والجامعات ، وازدادت (نوعية) العلوم التي تدرّس في تلك المؤسسات العلميّة ، وازداد عدد التلاميذ والطلّاب والمعلمين والمدرّسين والأساتذة ، وارتفعت ميزانية التعليم ارتفاعاً فاحشاً ، ولكنّ العلماء المبدعين قلّوا ، والمؤلفات والبحوث والدراسات والمقالات والأحاديث والمحطّبات والندوات القيّمة ذات الفائدة الكبيرة للعقول والقلوب معاً قلّت ، وهكذا نجمت العمليّة ومات المريضة ، كما يقول المثل المعروف ، أو كما يقول الشاعر :

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

وأريد أن أسجّل هنا ، أنّ العلماء المبدعين لم يقلوا حسب ، بل قلت كرامة العلم والعلماء — أيضاً — ولا أزيد .

أذكر أنّ في مدينة الموصل الحدياء مثلاً في سنة (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م) كان ما يناهز المئة عالم من علماء الدين المؤجّزين ، من بينهم خمسة علماء على الأقل يصلحون لتولي منصب شيخ الأزهر بكل جدارة واستحقاق ، وكان في هذه المدينة أكثر من عشرين مدرسة علميّة في الجوامع لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربيّة والعلوم الأخرى ، وكانت الجوامع والمساجد عامرة بالخطباء والأئمة والوعاظ والمدرّسين . أما اليوم فقد أغلقت المدارس الدينيّة ، وأقفرت الجوامع والمساجد من الخطباء والأئمة والوعاظ والمدرّسين ، فلا يوجد في الموصل عالم يصلح أن يكون شيخاً في الأزهر لا شيخاً للأزهر .

وما دما في ذكر الأزهر . فقد أصبح جامعة بعد تطويره كالجامعات الأجنبيّة ،

ولكنه لا يستطيع منافستها في علومها وتقاليدها ، لأن مولدها قديم ومولده حديث كجامعة بدأ بعد تطويره . بينما كان الأزهر قبل التطوير أعرق جامعة في العالم ، ولا تنافسه جامعة في العالم بعلومه وتقاليده ، وكان قبل التطوير يخرج فحول العلماء وأبرز الدعاة ، فأصبح بعد التطوير يخرج الموظفين في شتى الدوائر الرسمية الحكومية ومنها الجامعات ، لأنه كان جامعاً فأصبح جامعة ، فقد روح المسجد ولم يربح روح الجامعة إلا في التقليد ، وكان رأساً ومتبوعاً ، فأصبح ذنباً وتابعاً .

وما يقال عن الأزهر يقال عن الزيتونة والقرويين والجامع الإسلامية الأخرى التي كانت أعرق الجامعات ، فتخلت مخنارة عن بركة السماء ، ولم تحظ ببركة الأرض .

إن الصراحة في مثل هذه الأمور ضرورية وبخاصة في ظروف العرب والمسلمين الراهنة التي ينبغي أن يسابقوا الزمن ليلحقوا بركب الأمم المتقدمة ، فإينبغي أن نخدش الصراحة أحياناً ، فمن أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين أنهم يحجمون عن قول الحق في الغالب لسبب أو آخر ، ويصفون الهزيمة بالنصر ، والجهل بالعلم ، والفساد بالصالح ، والإفساد بالأصالح ، والضعف بالقوة ، والتخلف بالتقدم .

إن الأمم في المجال العلمي تتقدم إلى الأمام ، أما العرب والمسلمون فيتقدمون إلى الخلف .

المخالفة المحدودة : كان كل الذي ذكرته تأييداً كاملاً ما ورد في مقال الدكتور حسين مؤنس ، وهو النقطة الأولى من تعليقي على مقاله . أما النقطة الثانية من تعليقي على المقال ، فهي المخالفة المحدودة لمقاله في الجزء الوارد في الصفحة (٣٧٣ — ٣٧٤) من عددي مجلة العرب (٥ ، ٦) للسنة السادسة عشرة الصادرين في ذي القعدة من سنة ١٤٠١ هـ .

وأنقل ما جاء في هذا المقال نصاً :

(ومن أغرب ما وقع لي من أخبار العلماء ودقته في العلم ، أن ابن رشيد السبتي الرحالة ، وكان عالماً مغربياً يطوف العالم ليلقي العلماء ويسمع منهم ، لقي في مصر الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، وكان إماماً في العلم معاصراً لعز الدين بن عبد السلام ،

وكان ابن دقيق العيد عالماً متواضعاً منصرفاً إلى العلم ذا حياة وفناعة ، في حين كان عز الدين بن عبد السلام صاحب دعوى عريضة وفهم كبير ، ومداخلة للسلطين ، شأنه في ذلك شأن أهل العلم من غير المصريين الذين كانوا يأتون مصر وينعمون بخيرها ويحذون الأمان والعز في أعطافها ، ولا يكون لهم همٌ إلا التناول على علماء مصر ، ومحاولة التعالم عليهم ، ولدينا من هؤلاء مثالان : ابن حجر العسقلاني من أهل المشرق ، وعبد الرحمن بن خلدون من أهل المغرب ، وكلاهما لم يعرف العز والأمن والمكانة العليا إلا في مصر ، ومع ذلك فما أكثر ما وقع ابن حجر في علماء مصر ، وما أكثر ما وقع ابن خلدون في علماء مصر ، ومسكنة مصر هذه ما أكثر ما تحملت وما تتحمل .

ولا أعلمُ الكاتبَ بردي هذا فثلي — من دون تواضع — يتعلم من مثله ، ولكنني أريد أن أوضح باختصار ، ما يمكن أن يقع فيه قسم من القراء من وهم لا أنصور أن الكاتب يقصده أو يرضاه .

لقد كان العلماء بخاصة والمسلمون بعامه ، في أيام العز بن عبد السلام وابن خلدون وابن حجر العسقلاني ، يعتبرون البلاد الإسلامية وطناً واحداً لهم ، ولم تكن الفكرة القطرية والتعصب القطري والتحيّز للقطر معروفة لديهم ، بالشكل والأسلوب المعروفين لدى العرب والمسلمين اليوم ، وكان الانتماء إلى الإسلام هو المبدأ السائد ، فإذا هدد العدو أي جزء من الوطن الإسلامي أصبح الجهاد فرضاً عينياً على المسلمين كافة لا على المسلمين الذين يعيشون في ذلك الجزء المهدد وحدهم .

وحين سقطت بغداد في أيدي التتار تألم المسلمون في كل مكان أعمق الألم ، ولم يقتصر الألم أهل بغداد وحدها أو أهل العراق وحدهم ، بل اعتصر الألم قلوب المسلمين في كل مكان من دار الإسلام .

ولما احتل (الافرنج) الأندلس ، اجتاح الألم المسلمين كافة ، ولم يقتصر الألم على الأندلسيين وحدهم ، وآثار هذا الألم المشترك لا تزال شاهدة في الشعر والنثر .

وعندما فتح محمد الفاتح (القسطنطينية) ، لم يقتصر الفرح على الأتراك المسلمين وحدهم بل شمل كل مسلم شرقاً وغرباً .

والعلماء بخاصة ، كانوا يرحلون إلى بلاد المسلمين ، ليأخذوا العلم على أعلم العلماء وأشهرهم ، وقد يعودون إلى بلدهم الأصلي ، وقد لا يعودون إليه ، فكل بلد إسلامي يحلّون فيه بلدهم الأصلي دون تمييز .

والعالم الذي يحلّ مصر من المشرق أو المغرب ، لا يعتبر نفسه غريباً في مصر ، ولا يعتبره أهل مصر غريباً ، وما يقال عن مصر يقال عن كل بلد إسلامي يرفرف عليه علم الإسلام .

والمسلم الذي يضيق ذرعاً ببلده لأسباب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، يهاجر من بلده إلى بلد إسلامي آخر ، فيحلّ على الرّحب والسعة أهلاً وبزلاً سهلاً ، فيتعلم أو يعلم ، أو يتولى منصباً قضائياً أو إدارياً أو سياسياً ، دون أن يحتاج إلى أوراق تثبت (هويته) أو جواز سفر من بلده أو يلاقي عنتاً من الشرط ورجال الأمن والضرائب ، كما يحتاج إلى مثل هذه الأوراق ، ويلاقي مثل هذه المراقيل اليوم .

ولا تزال في القاهرة عائلة البغدادي ، وفي المغرب عائلة العراقي ، وفي الموصل عائلة المصري ، وقد زرت مدينة (طنطا) سنة (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) ، فوجدت أن كثيراً من الأسر التي تعيش فيها هاجرت إليها بصحبة السلطان صلاح الدين الأيوبي من مدينة الموصل الخديباء ، منهم عائلة الشيتي ، فالمعروف أن أهل الموصل وحدهم يطلقون على أبنائهم اسم : شيت ، ابن آدم عليه السلام المدفون في الموصل ، ومنها أسرة الأعور ، وغيرهما من الأسر كثير . ولا تزال أصول هذه الأسر في الموصل وفروعها في طنطا .

وحسبى ملوك مصر أكثرهم جاءوا مصر باسم الإسلام ، فما جاءها صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله باسم العراق ، ولا جاءها غيره باسم بلاده الأصلية ، بل جاءوها باسم الإسلام .

وكان قول الله تعالى ، هو المبدأ السائد بين المسلمين كافة في علاقتهم السائدة بينهم :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ — الحجرات : ١٣ .

والنسبة إلى البلد أو القبيلة لا للتفرقة والانحياز والتحيز والتعصب بل للتعارف فقط ، لا لشيء آخر مما ابتلينا به في هذه الأيام ، وهذا الابتلاء أوجده وغذاه ونمّاه وشجعه أعداء العرب والمسلمين ، لأنه من مصلحة أعداء العرب والمسلمين — وما أكثرهم — لا من مصلحة العرب والمسلمين ، ما في ذلك أدنى شك ، وما يعانيه العرب والمسلمون اليوم من تفرّق وتمزّق خير دليل .

وأعود إلى صلب الموضوع ، فأذكر أنّ ما سجّله الكاتب للشيخ نبي الدين محمد بن دقيق العيد بعض ما يستحقّه الشيخ الجليل من ثناء ، ولكن ما سجّله الكاتب للشيخ عز الدين بن عبد السلام فيه غمز لا يستحقّه هذا الشيخ الجليل ، فهو صاحب دعوى عريضة في الحق لا في الباطل ، وفم كبير في قوله الحق فلا يخشى في الله لومة لائم ومداخلته للسلطين لحاجة السلطين إليه لا لحاجته إلى السلطين ، ولم يكن شأنه وحده في مداخلته السلطين فقد كان غيره من العلماء معروفين بمداخلته السلطين كما هو معروف ، منهم برغبتهم في المداخلة ، ومنهم برغبة السلطين ، ولم تكن مداخلته السلطين شأن العلماء غير المصريين وحدهم ، بل شأن العلماء المصريين أيضاً .

وحسب الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام أنّه كان في شجاعته وجراته بطل الشيوخ وشيخ الأبطال ، بالإضافة إلى أنّه كان شيخ العلماء وعالم الشيوخ .

أما الشيخ ابن حجر العسقلاني ، فأصله من عسقلان ، ومولده ووفاته في القاهرة بمصر ، فهو مصريّ مولداً ووفاةً ، وكم يسرّ أهل فلسطين أن ينسب إليهم بالقدر الذي يسوء أهل مصر انتسابه إلى غيرهم ، أقول ذلك مجازاة للكاتب ، وإلا فأنا أعتبره عالماً من علماء المسلمين ، ومفخرةً من مفاخرهم ، وحسبه أن يكون مصنف كتاب : «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» ، ولو لم يكن له إلا شرح البخاري لكان كافياً في علوّ مقداره ولو وقف عليه ابن خلدون القائل : بأنّ (شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة) لقرّرت عينه بالوفاء والاستيفاء ، كما قال عنه السخاوي في كتابه «التبر المسبوك في ذيل السلوك» .

وحسبي شهادة أحد المصريين في ابن حجر العسقلاني ، وهو المؤرخ ابن تقيّ برّدي الأنابكي في كتابه : «النجوم الزاهرة» — ج ١٥ — ص ٤٥٥ ما نصّه : (قاضي

القضاة شهاب الدين بن حجر الشافعي حافظ المشرق والمغرب ، كان فرداً في معناه . لا يقاربه في علم الحديث أحد في عصره) .

كما جاء في (ص ٣٨٣) من هذا الكتاب : (وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٨٥٢ هـ ، عزّل الحافظ شهاب الدين بن حجر نفسه عن قضاء الشافعية ، ولم يَلِها بعد ذلك إلى أن مات) ، فهو يعزل نفسه ولا يعزله السلطان ، والمناصب تسمى إليه ، وهو لا يسعى إليها ، فهل من المعقول والمنطوق أن تنتهم مثله بالتسّح بأذيان السلاطين !!!

ولا أعتقد أن ابن حجر العسقلاني عليه رحمة الله بحاجة إلى الدفاع عنه ، فهو من أعلام العلماء وأشهر من أن يُدافع عنه .

أما ابن خلدون الذي غمزه الكاتب ، فهو مغربي حقاً من تونس ، ويكنى أن أسّشهد بالمؤرخ المصري وهو المقرئ الذي كان يثني ثناء عاطراً على ابن خلدون ، ولا أسّشهد بثناء المغاربة كابن الخطيب ، خشية أن يدفع الكاتب بأن ابن خلدون وابن الخطيب مغريان يتقارضان المدح والثناء .

ولا أستطيع ، ولا يستطيع غيري ، أن ينفي الخطأ عما كتبه عز الدين بن عبد السلام وابن حجر العسقلاني وابن خلدون ، عليهم رحمة الله في القدح بفلان أو في المدح لفلان ، ولكنني أستطيع أن أجزم بأنهم كتبوا ما كتبوا لا لغرض المس بالمصريين لأنهم مصريون ، ولكنهم كتبوا ما كتبوا وهم يحسبون أنهم على حق ، وقد انتقدوا كثيراً من العلماء غير المصريين أيضاً ، وأنشأ ثناء مستطاباً على قسم من العلماء المصريين وغير المصريين أيضاً ، فلماذا تنتهم بهمة التحيز على المصريين ونكران جميل مصر كناية الله في أرضه ، وهي بلد من بلاد الإسلام كسائر بلاد المسلمين .

وأعود إلى الكاتب الدكتور حسين وأسأله : هل هو راضٍ عن كل العلماء المصريين القدماء والمحدثين ؟ ألم يقل فيهم بشكل غير مباشر ، في ثنايا حديثه عن منح الشهادات العلمية العالية ، ما لم يقله مالك في الحمر ؟!

أليس الدكتور مصرياً ، فلماذا ينتهم علماء مصر المحدثين بالتفريط في حق منح تلك الشهادات ؟!

وأعود من جديد ، لأذكر له وللقراء ، أنَّ العلماء القدامى ، كانت تسيطر عليهم الروح الإسلامية ، ولم يكونوا يعرفون الروح الإقلبية أو القطرية من قريب أو بعيد . فلماذا نهم سلفنا الصالح بما ابتلينا به من روح إقليمية وقطرية ، وهم لا يعرفون مثل هذه الروح ولم تخطر لهم على بال !!

ولا أظن أنَّ السيد الدكتور حسين يحفل ذلك ، ولكنني أردت أن أذكر ، لعلَّ الذكرى تنفع المؤمنين .

الحلول والمقترحات : من السهل جداً على أيِّ كاتب ، أن يكتب منتقداً ، وقد يفيد النقد وقد لا يفيد ، فتكون فائدة ما دَبَّجَهُ الكاتب فائدة سلبية ، إن كان للسلبيات فوائد تذكر .

ولكي يكون الكاتب في نقده إيجابياً ، يفيد بما يكتب ، فلا بدَّ من عرض الحلول والمقترحات المناسبة ، بالنسبة لعلمه وخبرته وتجربته في الحقل الذي يعمل في ميدانه ، ويحسن القول فيه .

وقد كان الدكتور حسين مؤنس ولا يزال وسيبقى يعمل في ميدان العلم والتعليم ، كاتباً وباحثاً وأستاذاً ومفكراً ، فأتوقع أن يعالج ما أثاره من شجون في مقاله ، وأثرته في تعليقي ، ويضع الحلول والمقترحات الكفيلة بالمعالجة .

إنَّ في البلاد العربية والإسلامية لجائناً لمعادلة الشهادات ، ولكن هذه اللجان كما يبدو تعمل بوحى من الظروف السياسية ، لا بوحى من العدل والحق والإنصاف ، فهي تارة لا تعادل الشهادات العلمية العالية للدول الشرقية كالدكتوراه مثلاً بالشهادات العلمية العالية للجامعات الغربية وبخاصة البريطانية والأمريكية والفرنسية والألمانية ، وتارة تعادل تلك الشهادات بتلك !

وأرى أنَّ تعادل الشهادات الشرقية بالشهادات الغربية غير وارد ، فما رأيُّ الدكتور؟ والجامعات الأجنبية الغربية معروفة جداً بالنسبة للعاملين في ميدان التعليم العالي ، معروفة برصانتها ، وحرصها على العلم ، ودقَّتْها في منح الشهادات العالية ، ومنها معروفة باتجاهها التجاري ، واهتمامها بالمال دون العلم ، فهي تباع شهاداتها بالمال ، وكلَّ ما على

الطالب أن يقضي فيها عدداً من السنين ، والنتيجة مضمونة بالنسبة للطلاب .

وأرى ألا تُقبل شهادات الجامعات الغربية التجارية ، ويقتصر إيفاد الطلاب على الجامعات الغربية الرصينة ، فما رأي الدكتور ، وكيف يمكن السيطرة على ذلك ؟ وقد استورد عدد من الطلاب شهادات عالية برسائل كتبت لهم من أساتذة أجنب تجار .

وأرى ألا تقبل مثل هذه الشهادات ، وأن يُشرف الملحق الثقافي في السفارة على إعداد الطالب لرسالته ، ويتأكد من أنها من إعداد لا من إعداد غيره ، وأن يشهد هذا الملحق مناقشة الطالب في الجامعة ، وأن تعرض الرسالة على لجنة معادلة الشهادات لتدقيقها والتأكد من صلاحها ومعرفة الطالب اللغة الأجنبية معرفة تسمح له بكتابة رسالة جامعية ، فإذا يرى الدكتور ؟

وقد دأبت بعض البلاد العربية والإسلامية على إيفاد طلابها إلى الجامعات الأجنبية للتخصص في الدراسات الإسلامية العليا واللغوية .

وكان قسم من الموفدين من خريجي المدارس الثانوية العامة للحصول على (الليسانس) و(الماجستير) و(الدكتوراه) من الجامعات الأجنبية ، فعادوا إلى بلادهم ملوئين خلقياً وملوئين فكراً .

وأرى أن يقتصر إيفاد الطلاب العرب والمسلمين إلى الجامعات الأجنبية على العلوم الصرفة غير الإسلامية واللغوية ، وعلى العلوم التطبيقية ، على أن يوفد الطالب بعد حصوله على (الليسانس) على الأقل لا قبل ذلك .

أما الدراسات الإسلامية واللغوية فأهل مكة أعرف بشعابها ، والأساتذة العرب والمسلمون أعرف من غيرهم بهذه الدراسات ، فلا لزوم لإيفاد الطلاب العرب والمسلمين إلى الخارج لتلقي مثل هذه الدراسات ، فما رأي الدكتور ؟

وقد تكتم قسم من خريجي الجامعات الأجنبية في الدراسات الإسلامية واللغوية على رسائلهم الجامعية ، فلم يترجموها ولم ينشروها ولم يطلع عليها أحدٌ اطلاعاً شاملاً دقيقاً ،

لأن قسماً من تلك الرسائل منحرفة جاملوا بها أساتذتهم من يهود ونصارى وجواسيس ليرضى عنهم اليهود والنصارى ولتمحوهم الشهادات العالية ، وأرى أن يطّلع المسؤولون عن التعليم العالي على الرسائل الجامعية ، فإذا كانت منحرفة في موضوعها أو مادتها حرموا صاحبها من شهادته وعاقبوه على انحرافه ، فما رأي الدكتور ؟

وقد شمل التساهل في إعداد الرسائل الجامعية وفي مناقشتها ومنح الشهادات العلمية عليها الجامعات العربية والإسلامية كافة ، مما أدى إلى تردي المستوى العلمي للطلاب والأساتذة معاً .

وأرى أن تقتصر الدراسات العليا على النابهين من الطلاب ، وأن يجري اختيار أساتذة تلك الدراسات من (الحنابلة) في تمسكهم بالأمانة العلمية والاستقامة العلمية والحرص على التعليم ، والتشديد في منح الشهادات العالية إلا للمستحقين لها ، فما رأي الدكتور في ذلك ؟

وطالما سئلت : من هو العالم حقاً في نظرك ؟ وكنت أجيب دائماً : العالم حقاً في نظري ، هو المتين في علمه ، الأمين في تعليمه ، العامل بعلمه ليكون قدوة حسنة لطلابه ، المخلص في عمله ليكون أسوة للطلاب وغيرهم في إخلاصه ، المتواضع في سلوكه ، المحافظ على كرامة العلم والعلماء .

هكذا كان العلماء العاملون ، الذين خلفوا من بعدهم طلبة حملوا علمهم ، وعلمنا يستفيع به الناس .

أما أن يكون العالم غير متين في علمه ، فهو نصف عالم ، بضّر ولا ينفع .
وأما أن يكون غير أمين في تعليمه ، فهو خائن عند الله وعند الناس .
وأما أن يكون غير عامل بعلمه ، فهو منافق ، يقول ما لا يفعل ، ويأمر الناس بالبر وينسى نفسه .

وأما أن يكون غير مخلص في عمله ، فهو مُراءٍ ، كالزّيد يذهب جُفَاءً .
وأما أن يكون متكبراً وبخاصة على الطلاب والضعفاء ، فهو جاهل أبتر ولو حمل أعلى الشهادات العلمية ، فالعالم الحق ، هو الذي يبقى طالباً حقاً في كل حياته ، يتلقى العلم ويتعلّم في كل يوم علماً جديداً .

وأما غير المحافظ على كرامة العلماء ، فهو شحاذ يبيع نفسه بالمنصب أو بالمال .
يُلْحِقُ الذل بالعلم والعلماء .

هذا هو العالم حقاً في نظري ، وهم قليلون في كل زمان ومكان . ولكن الكرام قليل
كما يقول الشاعر ، وأمثالهم يتركون أثراً عظيماً في الطلاب والمؤلفات .

وأخيراً ، فإن أسماء الألقاب العلمية لا تزال بأسمائها الأجنبية ، والعربية ليست
عاجزة عن وضع مصطلحات عربية تقابلها .

واقترح أن تكون مصطلحات الألقاب هي :

المصطلح الأجنبي	المصطلح المقترح لعلماء الدين	المصطلح المقترح لغيرهم
الليسانس	الشيخ	السيد
الماجستير	الأستاذ	الأستاذ
الدكتوراه	العالم	العالم

فالذي يتخرج في الأزهر ، بدرجة (الليسانس) نطلق عليه : الشيخ فلان ، فإذا
نال درجة (الماجستير) أطلقنا عليه : الأستاذ الشيخ فلان ، فإذا نال شهادة
(الدكتوراه) أطلقنا عليه : الشيخ العالم فلان .

وإطلاق كلمة الشيخ على علماء الدين واجبة ، فلا ينبغي أن يتخلّوا عنها كما يفعل
قسم منهم اليوم ، وبخاصة من حملة الدكتوراه ، فيقال : الدكتور فلان ، بدون شيخ ،
ولقب الشيخ في نظري أعظم لقب علمي في الدنيا ، فلا تتخلّوا عنه يا شيوخ يرحمكم
الله ، فمن الصعب أن نقول لكم : فضيلة الدكتور فلان ، فهذا تناقض شنيع .

والذي يتخرج من الجامعات الأخرى ، بدرجة (الليسانس) نطلق عليه : السيد
فلان ، فإذا نال درجة (الماجستير) أطلقنا عليه : الأستاذ فلان ، فإذا نال شهادة
(الدكتوراه) أطلقنا عليه : العالم فلان ، إلا إذا نال درجة الأستاذية في الجامعة ،
فيصبح لقبه : الأستاذ العالم فلان . وإطلاق لقب العالم فلان عليه ، يكفيه للدلالة على
أنه نال شهادة (الليسانس) و(الماجستير) .

وهذه المقترحات للألقاب العلمية خاضعة للمناقشة ، ولكن بحق الله ثم بحق العلم أنفذونا من هذه الألقاب الأعجمية الدخيلة ، فما يليق بلغة القرآن الكريم أن نحمّلها المصطلحات الأعجمية الدخيلة .

وعلى كل حال ، أرى أن الألقاب العربية المقترحة سهلة وبسيطة وشائعة ، ويمكن استعمالها بسهولة ويسر .

وأحبّ أن أختم هذا التعليق برأي جديد في قوانين المدارس والمعاهد والجامعات العربية والإسلامية ، التي تنصّ على حملة الشهادة الفلانية للمدرسة ، والشهادة الفلانية للمعهد ، والشهادات الفلانية للجامعات ، كما تنصّ على أن حملة (الدكتوراه) وحدهم يشرفون على الرسائل الجامعية ويناقشونها ، ولا يحقّ لغيرهم الإشراف والمناقشة .

فإذا حاول الإمام مالك (مثلاً) أن يدرّس «الموطأ» في إحدى دول المغرب العربي ، فإن طلبه يرفض فوراً ، لأنه ليس من حملة (الملاّحين) أو (الدكتوراه) . وإذا حاول المتنبي أن يدرّس ديوان شعره ، و(سيبويه) أن يدرّس كتابه ، فإن طلبهما يرفض فوراً ، لأنهما لا يحملان شهادة علمية عالية .

وهذا القانون ، أدى — فيما أدّى إليه — إلى حرمان المؤسسات العلمية المختلفة من كفايات علمية عالية جداً ، ولكنها لا تحمل الشهادات المطلوبة .

وأرى تعديل هذا القانون ، بحيث يتحوّل مجلس الجامعة صلاحية استدعاء اللامعين من العلماء في القطر وخارجه ، لتدريس المادة العلمية التي لمع اسمهم بها في مختلف العلوم والآداب والفنون ، فمن الحرام إبقاء كفايات علمية نادرة بحجّة الشهادات العلمية ، وتركها جانباً طاقات معطّلة لا تفيد الجامعات والطلّاب إلّا بطريقة غير مباشرة .

وأستطيع ويستطيع غيري تعداد أسماء علمية لها باع طويل في اختصاصها العلمي والأدبي والفني ، بعيدة عن المؤسسات العلمية ، لحرمانها من الشهادات ، بمقدورها بحق أن تكون أساتذة أصحاب الشهادات .

فما رأي الدكتور بهذا الاقتراح ؟

معجم المطبوعات العربية

في المملكة العربية السعودية

(٥٢)

مناع القطان :

أستاذ بكلية الشريعة الرياض ، مصري متجنس ، يقيم بالمملكة منذ حوالي عام ١٣٧١/١٩٥١ (٩) .

١ — الأسرة في الإسلام :

رسالة ، صدرت قبل الإسلام رسالة الاصلاح ، ينظر نظام الأسرة ...

٢ — الإسلام رسالة إصلاح :

٧٢ ص ص ١٣٨٣/١٩٦٤ — ٨٤ ؟

إن الدكتور حسين مؤنس قد استشاره عالم أو أكثر ، درسوا في مصر ، وحملوا على علمائها بحق أو بغير حق ، فصببت جام غضبه على مفانخرنا من العلماء الأعلام ، لأنهم حملوا على قسم من علماء مصر وغير مصر بحق دون تفريق بين مصري وغير مصري . والفارق بين الحملتين واضح للدكتور ولغيره من الناس ، فاستشارني بحملته وحملتي على هذا التعليق .

فشكراً لله ثم للدكتور على استشارته ، ومعدرة إليه إن جانبي التوفيق ، وبخاصة فإن حبي لمصر يعجز عنه الوصف ، وقد تعلمت كثيراً من علماءها ، ومكنت بين أهلها سنين معزلاً مكرماً ، وفضلها لا ينكره إلا أعمى البصر والبصيرة .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وما توفيقى إلا بالله

اللواء الركن محمود شيت خطاب

معجم المطبوعات العربية

في المملكة العربية السعودية

(٥٢)

مناع القطان :

أستاذ بكلية الشريعة الرياض ، مصري متجنس ، يقيم بالمملكة منذ حوالي عام ١٩٥١/١٣٧١ (٩) .

١ — الأسرة في الإسلام :

رسالة ، صدرت قبل الإسلام رسالة الاصلاح ، ينظر نظام الأسرة ...

٢ — الإسلام رسالة إصلاح :

٧٢ ص ص ١٣٨٣/١٩٦٤ — ٩٨٤

إن الدكتور حسين مؤنس قد استناره عالم أو أكثر، درسوا في مصر، وحملوا على علمائها بحق أو بغير حق، فصبت جام غضبه على مفاخرنا من العلماء الأعلام، لأنهم حملوا على قسم من علماء مصر وغير مصر بحق دون تفريق بين مصري وغير مصري. والفارق بين الحملتين واضح للدكتور ولغيره من الناس، فاستنارني بحملته وحملتي على هذا التعليق .

فشكراً لله ثم للدكتور على استنارته ، ومعدرة إليه إن جانبي التوفيق ، وبخاصة فإن حبي لمصر يعجز عنه الوصف ، وقد تعلمت كثيراً من علمائها ، ومكنت بين أهلها سنين معزلاً مكرماً ، وفضلها لا ينكره إلا أعمى البصر والبصيرة .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وما توفيقي إلا بالله

اللواء الركن محمود شيت خطاب

٣— تفسير آيات الأحكام :

وفق منهج السنة الثالثة في كلية الشريعة بالرياض . دمشق ، المكتب الإسلامي للطباعة ١٣٨٦ / ١٩٦٤ ، ٨ — ١٨٧ — ٢٠٠ ص .

وجاء في جريدة الجزيرة ٤ / ٨ / ١٣٨٤ « تفسير آيات الأحكام — كتابان . تأليف الأستاذ مناع القطان وفق منهج السنة الرابعة بكلية الشريعة بالرياض ، ويحتوي الكتابان على تفسير بعض آيات الأحكام موجزة ... طبع في دمشق — المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

٤— حكم المال في الإسلام :

رسالة ، صدرت قبل : الإسلام رسالة الإصلاح .

٥— مباحث عن علوم القرآن :

أعلنت عن الدار السعودية للنشر (في جدة) في ١١ / ٢ / ١٣٨٧ .

٦— نظام الأسرة في الإسلام :

مطابع دار الفكر بدمشق ط ١ ، ١٣٨١ / ١٩٦١ . دار الثقافة الإسلامية للطباعة والتوزيع والترجمة ، ٥٧ ص ويبدو أنه هو الكتاب رقم (١) أعلاه .

٧— نظرية التملك في الإسلام :

ذكر للمؤلف : في كتاب تفسير آيات الأحكام للسنة الثالثة ١٣٨٦ / ١٩٦٤ وقد يفهم أنه مطبوع بدلالة ما ذكر من مؤلفات له معه (الإسلام رسالة .. ، نظام الأسرة ...) .

٨— مزايا الثقافة الإسلامية :

ذكر للمؤلف ... الخ ينظر رقم (٧) .

فائدة :

صدرت له كتب أخرى بعد هذا التاريخ في « التشريع والفقه » وعن « الملك الشهيد

فيصل ... » .

منصور إبراهيم الحازمي :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٤ .

حصل على الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية بلندن عام ١٣٨٦ ، رسالته :
الرواية التاريخية في الأدب العربي (ما زالت بلغتها الانكليزية) / ١٩٦٦ .

عين مدرساً بقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة الرياض سنة ١٣٨٦ وتدرج
في السلم العلمي حتى صار أستاذاً ، وشغل العادة مرتين ... بعد التاريخ الذي حدده
المعجم لمادته ... واشترك كذلك في عدة مؤتمرات ... ولجان ...

شغل : رئيس تحرير «مجلة كلية الآداب» بجامعة الرياض ، وقد صدر المجلد الأول
١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

١ — محمد فريد أبو حديد كاتب الرواية :

تأليف الدكتور منصور ابراهيم الحازمي أستاذ مساعد بكلية الآداب — جامعة
الرياض .

الطبعة الأولى ، الرياض ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ، مطابع الجزيرة بالملز — الرياض ٥ —
١٠٩ — ١٣٤ .

وليلاحظ أنه نشر في العام نفسه ، في مجلة الآداب «محمد فريد أبو حديد كاتب
الرواية» ص ص ٣٤٧ — ٤١٧ — ٤٢٤ .

وفي المجلة وصف لرسالته للدكتوراه ص ص ٤٣٤ — ٦ .

فائدة :

صدر له بعد المدة المحددة للمعجم : معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب
والفكر في المملكة العربية السعودية ، صحيفة أم القرى من سنة ١٣٤٣ ، إلى سنة
١٣٦٥ / ١٩٢٤ — ١٩٤٥ ؛ مطبوعات جامعة الرياض (٥) ، الأدب (١) ،
٢٦٤ ص الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

وأعلن فيه عن الجزء الثاني : صحيفة صوت الحجاز ١٩٣٢ — ١٩٤١ تحت الطبع — ولا أحسبه صادراً ..

وأعلن عن «ديوان شعر» تحت الطبع كذلك ...»

وهو عضوفي اللجنة المشرفة على إصدار مجلة « الدارة » صدر عددها الأول في ربيع الأول ١٣٩٥ / مارس ١٩٧٥ وما زالت تصدر ...

ملاحظة :

في أوراق : منصور غازي العبدالله لهجات بادية الجزيرة ذو الحجة ١٣٩٠ / فبراير ١٩٧١ — وبالورقة حاجة إلى التثبيت . وهو يذكر هنا للفائدة ... ولا ، أحسبه سعودياً ؟

منظمة الصحة العالمية — المكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط — تقرير حول المختبر المركزي للصحة العامة . الرياض ١٩٦٤ ، ٢٥ ص ، ملاحق . (بالاستنسل) — شكري .

المنهل — مجلة المنهل ، أعدادها الخاصة — ينظر ، أعلاه ، صاحبها — رئيس تحريرها : عبد القدوس الأنصاري .

منير عبد القادر داغستاني :

١ — مع الفنانين (طارق عبد الحكيم ، طلال مداح ، عبدالله محمد ، غازي علي) .

جدة — المؤسسة العربية للطباعة ١٣٨٤ / ١٩٦٤ ، ١٢٧ ص — عناني .

ملاحظة — فائدة :

منير العجلاني — الدكتور ، سوري ، مقيم في السعودية ، مستشاراً للدولة وقد يكون ذلك منذ ١٣٨٣ / ١٩٦٣ أو ما حوله قليلاً .

وقد اطلع عن قرب على شؤون المملكة وتاريخها وشرع يؤلف في ذلك ، وكان منه :

تاريخ البلاد العربية السعودية . بيروت ، دار الكاتب العربي ١٩٦٦ — الجزء الأول : الدولة السعودية الأولى ، القسم الأول . ٤٧ ص . كتب عنه الأستاذ عبدالله بن خميس في مجلة العرب (الجزء الثامن — السنة الأولى صفر ١٣٨٧ / أيار ١٩٦٧ — ص ص ٧٤٩ — ٧٦٠) :

وبعد أن قال : (... بين أيدينا الآن الجزء الأول ... للدكتور منير العجلاني ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وأستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية سابقاً ، وكبير مستشاري وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية الآن ... برهن على موهبة وأسفر عن قدرة ...) .

شرع يسجل ما عرض له من لقطات يحسن التنبيه عليها ...

تاريخ مملكة في سيرة زعيم : فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية إمام المسلمين . بيروت ١٩٦٨ ، ٤٨٠ ص .

ومضى يوالي إصدار الأجزاء الأخرى من تاريخ البلاد العربية السعودية (بعد التاريخ المحدد للمعجم) ، ويرأس تحرير «المجلة العربية» (شهرية ثقافية مصورة) منذ ١٣٩٥ / ١٩٧٥ (٩) وما زالت توالي الصدور وبعد توقف سنة وأزيد أعقب صدور العدد الأول (في بيروت) سببه المباشر الاستعداد لإصدار المجلة في الرياض ، وقد صدر العدد الثاني في ٢٥ رجب ١٣٩٦ / ٢٢ تموز ١٩٧٦ ...

مؤتمّر :

فائدة :

كثّر عدد الأدباء في المملكة ، وهم يبحثون عن وجوه لإذاعة نشاطهم ، ويرون ويسمعون ما يعقد في البلاد العربية الأخرى من تجمعات وما يقام من مؤتمرات ومجالس ونوادي ... وكانت الدولة نفسها تحسّ بالحاجة إلى هذه المنافع وتسعى لتحقيقها بالسليل الممكنة ، وكان من ذلك فكرة «المجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون» برئاسة وزير

المعارف الشيخ حسن آل الشيخ ، ومن أغراضه : (تشجيع حركة التأليف والبحث والترجمة ... ونشر المخطوطات ... وإقامة محاضرات ومواسم أدبية وشعرية) — تنظر لائحة المجلس — مصطفى عطار — دليل ١٣٨٤ / ١٩٦٥ . وقد تحقق المجلس إلا أننا لم نلمس أعماله .

ويتنافى الشعور شعبياً ورسمياً ... ومن هنا كان « المؤتمر الأول للأدباء السعوديين » الذي دعت إليه جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وعقد في مكة المكرمة ما بين ١ — ٥ من ربيع الأول ١٣٩٤ .

وقد أصدرت جامعة الملك عبد العزيز « بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين » في خمسة مجلدات — مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

وكان من توصيات المؤتمر (إنشاء مجمع علمي سعودي) ، وهي توصية يرجع الاهتمام بها إلى عهد غير قصير . وقد كثرت الدعوة إلى هذا المجمع ، وكانت تقوى حيناً وتضعف حيناً (ربما بعامل اليأس الوقت) وإلا ففي البلاد من الإمكانيات التيسرة ما لا يقل عما في أقطار عربية أخرى ، أنشأت مجامع علمية (لغوية) ... وكان من المتحمسين في الدعوة — مبكراً — الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة « المنهل » ، ومن « الرافضين » لها في أيامها الأولى — في الأقل — الأستاذ حمد الجاسر — كان ذلك لدى الوقت السابق لأوانه في الدعوة^(١) .

ومن توصيات المؤتمر : (إصدار مجلة أدبية فكرية ثقافية من قبل المجلس الأعلى للفنون والآداب ..) .

ومنها : (تأليف دائرة معارف إسلامية) و(حصر مصادر الأدب السعودي) و(إصدار دليل سنوي بأسماء المؤلفين والكتاب والمحققين السعوديين في المملكة) . و(زيادة الاهتمام بالأدب السعودي في الجامعات وإنشاء مؤسسة تتولى نشر الكتاب السعودي) و(دعم دار الكتب الوطنية في الرياض لكي ... تضم كل ما أنتجه المؤلفون السعوديون من الكتب المطبوعة ، وذلك وفق نظام الإيداع) .

وقد مضى على هذه التوصيات سنوات ولم تتحقق على وجه رسمي بارز ، ولم يعقد مؤتمر ثانٍ ...

ولكن الجوّ العام يعكس الاهتمام بها . وأن محاولات جرت فرديةً فحذفت أجزاء منها ...

ان في البلاد ، (رئاسة عامة لرعاية الشباب) يديرها الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز . وهي إذ تعري النشاط الرياضي تمتدُّ إلى النشاط ... الأدبي . وفي مدار هذا الاهتمام الموسع دعا الأمير حوالي أربعين أديباً من مختلف مناطق المملكة لدراسة وتنظيم إحياء (سوق عكاظ) ، وسميت الدعوة (مؤتمراً) وقد استمر أربعة أيام رابعها كان في يوم الثلاثاء ٢٨ صفر ١٣٩٥ / ٢١ مارس ١٩٧٥ — تنظر ص ٥ من الكتاب السنوي لنادي جدة الأدبي ١٣٩٥ / ١٣٩٦ .

وأهم ما في هذا المؤتمر انبثاق فكرة « النوادي الأدبية » وتحقيقها (ينظر النادي الأدبي .



ونعود إلى مؤتمر :

١ — المؤتمر الإسلامي ... الثاني — ينظر : (يوم) .

٢ — مؤتمر البترول العربي الأول ، إبريل ١٩٥٩ . دليل البترول العربي ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ١٩٥٩ ، ٨٤ ص ... من مواد : المملكة العربية السعودية .

— ... الثاني أكتوبر ١٩٦٠ . مجموعة البحوث المقدمة إلى المؤتمر . بيروت ، جامعة الدول العربية ١٩٦٠ ، ٢ ج في ٢ مج ... من مواد البحث المقدم من مندوب المملكة ... حول مستقبل نقل البترول الخام في الشرق الأوسط ...

٣ — المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب : عقد بالكويت في ذي القعدة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ ، تقرير المملكة عن مشروع جدول أعمال المؤتمر . الرياض ، مطابع نجد التجارية ، د. ٨٧ ص .

٤ — مؤتمر حوض — وثائق ومحاضرات ، إعداد عبد الله الحسيني . بيروت ، دار

الكتاب الجديد ١٩٦٦ ، ٢٧٢ ص .

المؤتمر المنبثق عن اتفاقية جدة التي عقدت بين ... الملك فيصل ... والرئيس جمال عبد الناصر لإعادة السلام إلى اليمن .

٥ — المؤتمر الزراعي — الرياض (٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٤ / ٢٦ سبتمبر ١٩٦٤)
لدراسة العرض والطلب على المواد الزراعية ... قامت بتنظيمه وزارة الزراعة ومعهد الأبحاث الاقتصادية التابع للجامعة الأمريكية ببيروت . متعدد الترقيم .

٦ — مؤتمر الطائف ١٩٦٥ — نصوص ووثائق المؤتمر ، جمع زيد بن علي الوزير ، اتحاد القوى الشعبية ، د. ت ٧٢ ص . المقدمة بقلم إبراهيم بن علي الوزير رئيس اتحاد القوى الشعبية اليمنية . بدأت المفاوضات في ١١/٤ / ١٣٨٥ — ٧/٨ / ١٩٦٥ .

٧ — مؤتمر مكافحة الأمية الدولي — طهران تقرير عن مؤتمر ... سبتمبر ١٩٦٥ . الرياض ، وزارة المعارف ١٩٦٥ .

٨ — مؤتمر وزراء التربية والتعليم — المنعقد بطرابلس ليبيا ٣٠ مارس — ١٢ ابريل ١٩٧٠ ، ١٤ ص (تقرير توصيات المؤتمر . الخرطوم ١٩٧٠) المملكة من المشاركين .
ملاحظة : المعلومات عن عتاني عدا رقم (٤) عن شكري — ومنها ما تكرر في وزارة المعارف ، وزارة البترول ..

ملاحظة : مؤسسة الإعلام العربية — جاء في جريدة المدينة ٢٦/٨ / ١٣٨٦ / ١٩٦٦ «أصدرت ... كتيباً عن شهر رمضان المبارك وضمن بعض الأحاديث والأدعية المأثورة وإمساكية كاملة») — ولا أعرف مقر المؤسسة .

مؤسسة الخطوط الجوية السعودية :

١ — دليل المملكة العربية السعودية ١٩٦٥/١٣٨٤ .

٢ — مرجعاً بكم في المملكة العربية السعودية كتاب إعلامي بثلاث لغات (العربية ، الانكليزية ، الفرنسية) أعدته مؤسسة العلاقات العامة بجدة لصاحبها ومديرها عبد العزيز مؤمنة — عن جريدة المدينة ٢٩/٧ / ١٣٨٦ — ١٢/١٢ / ١٩٦٦ .

المؤسسة الصحفية : ينظر .. المطابع / الصحافة ... أسست المؤسسات الصحفية بموجب نظام صدر في ١٣٨٣/٨/٢٤ (ينظر ...).

المؤسسة العامة للبترول والمعادن :

- ١ — تقرير عام عن سير الأعمال الرياض ١٣٨٨ ، ٦٢ ص مصور — شكري .
- ٢ — المشروعات التي تنفذها المملكة العربية السعودية بالتعاون مع برنامج التنمية للأمم المتحدة الرياض ١٩٦٦ ، ١٣٠ ص مصور شكري ، عناني .

مؤسسة فوردي — السعودية :

- ١ — إجراءات حسابات الحكومة في المملكة العربية السعودية . الرياض ١٩٦٦ ، ١٥٤ ص (استنسل) شكري .
- ٢ — إجراءات الميزانية والمحاسبة . السنة المالية ١٣٨٥ — ١٣٨٦ . الرياض ١٣٨٦ ، ٨٨ ص — استنسل ، شكري .

مؤسسة النقد العربي السعودي :

- ١ — التقرير السنوي لعام ١٣٨٠ وهو التقرير الأول ، ١٣٨٠ (= ٢٥ يونيو ١٩٦٠ — ١٣ يونيو ١٩٦٠) .
- جدة ، مطابع دار الأصفهاني د. ت ٦٣ ص .
- ٢ — التقرير السنوي لعام ١٣٨١ — ١٣٨٢ (= ١٩٦٢) .
- صدر في ٢٠ ربيع الأول ١٣٨٣ / ١٠ أغسطس ١٩٦٣ .
- جدة ، مطابع دار الأصفهاني وشركاه ، ٣ + ١ - ٥٦ + اص .
- ٣ — التقرير السنوي لعام ١٣٨٣ — ٨٤ (= ١٩٦٤) .
- يشتمل على تحليل المظاهر التنموية الاقتصادية .

هذا هو التقرير السنوي الرابع . طبع سنة ١٣٨٥/١٩٦٥ ، د. ط ، د. م ، ٣ + ١ — ٥٣ ص .

٤ — التقرير السنوي لعام ١٣٨٥ — ٨٦ (= ١٩٦٦) .

تاريخ المقدمة ٢٠ ربيع الثاني ١٣٨٧ / ٢٧ يوليو ١٩٦٧ .
١ ، ٢ ، ٣ ، ١ — ٥٧ مع جداول ، د . ط .

٥ — التقرير السنوي لعام ١٣٨٦ — ١٣٨٧ :

جدة ، مؤسسة النقد العربي السعودي ١٣٨٨ ، ٦٩ ص .
وعن المنزل ، صدره عن : دائرة الأبحاث الاقتصادية (في المؤسسة) .

٦ — مؤسسة النقد العربي السعودي :

جدة ، مطبعة الفتح ١٣٧٢ / ١٩٥٢ ، ٢٣ ص بالعربية ، ٢٥ ص بالانجليزية —
شكري .

٧ — النشرة الإحصائية :

أ — جدة ١٣٨٣ — عن دائرتنا الأبحاث الاقتصادية والإحصاء — «المركزية» .

ب — العدد ١ ، رجب ١٣٨٦ / نوفمبر ١٩٦٦ — المجلد الرابع .

«تتضمن على عرض موجز للتطورات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية
والبلدان المجاورة بالإضافة إلى الإحصائيات» .

جدة ، مطابع شركة المدينة للطباعة ٥ — ٣٨ ص — عن دائرة الأبحاث
الاقتصادية في المؤسسة .

ج — لشهر رجب ١٣٨٨ .

تحتوي على ثلاثة فصول تتعلق بالتطورات الهامة في المملكة والبلاد المجاورة بالإضافة
إلى الأحداث العالمية التي لها علاقة — بالتطورات الإقليمية ... كما تشمل — على غرار
الأعداد السابقة الإحصائيات اللازمة ... تقع النشرة في ٤٦ صفحة من الحجم الكبير
وطبعت بمطابع الأصفهاني وشركائه بمجدة — عن المنزل ، والأديب البيروتية (بنابر
١٩٦٩) .

مؤسسة الوطن — الرياض :

١ — جداول الرياضة المالية الحديثة :

ط ١ ، ١٩٦٧ ، ملتزم الطبع والنشر ، مؤسسة الوطن/ الرياض ، شارع الملك عبد العزيز . (جداول تشمل اللوغاريتمات ... والفائدة المركبة والتأمين على الحياة) الرياض مطابع نجد التجارية .

فائدة: النادي الأدبي (النوادي) :

كان الشباب من أدباء الحجاز يلتقون هنا وهناك من البيوت والأماكن ، وكان مجلس الشيخ محمد حسين نصيف — بجدة — ملتقى ثقافياً ومنتدى أدبياً (ينظر) .

وكان الملك عبد العزيز في حذر من تجمع الأدباء . ويحدثنا الأستاذ محمد علي مغربي في كتابه « اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر » الصادر عن (إدارة النشر بتهامة) جدة ١٤٠١/١٩٨١ لدى كلامه على الحاج عبدالله علي رضا ص ١٤٤ — ١٤٥ : (ورد في أوائل الخمسينات ... كانت مجموعة من شباب جدة قاموا بتأسيس أول نادٍ أدبي في جدة ، وكانت الاجتماعات تتم في هذا النادي حتى قبل حصوله على الترخيص الرسمي بافتتاحه من الدولة . وكانت أغراض النادي ثقافية واجتماعية ، وكانت تلقى المحاضرات والقصائد ، وكان النادي يعقد بمنزل المرحوم عبد العزيز جميل ، ثم بمنزل المرحوم الشيخ صالح إسلام . وكان من أعضاء النادي الأستاذ حسن عواد (ينظر محمد حسن عواد) والأستاذ حمزة شحاتة (ينظر) والمرحوم أحمد لاري والشيخ حسن أبو الحمايل والأستاذ يونس سلامة وغيرهم وكان كاتب هذه السطور (ينظر) أصغر أعضاء النادي على الإطلاق .

ويبدو أنه نقل إلى الحكومة بعض أخبار هذا النادي بصورة مبالغ فيها ، في الوقت الذي كانت فيه ... فترة ابن رفاة ويبدو أن جلالته المغفور له الملك عبد العزيز أراد اتخاذ إجراء بالنسبة لهذا النادي وغيره من الناس ، ولكنه آثر إزجاء التصح والانداز قبل أي إجراء وعقد هذا الأمر اجتماع كبير ...)

وقد أقنع الحاج عبدالله علي رضا الملك ، في لباقة بأنه لا صحة لما نُعي إليه عن

النادي الأدبي ... ولكن النادي لم يُجرَّ.

وقد عاد الأستاذ مغربي إلى الحديث عن هذا النادي (أول ناد أُسس بجدة ...) لدى حديثه عن محمد حسن عواد ص ١٥٩ — ١٦٠ وزاد أن من أعضائه أنيس جمجوم ... (كان العواد أبرد شخصية في النادي لأنه كان أستاذاً لمعظم الأعضاء باستثناء الشيخ حسن ابو الجاهل الذي كان يدرس مادة الفقه في الفلاح ... وكان هذا النادي يتخذ له مقراً في دار المرحوم الشيخ عبد العزيز جميل بحارة اليمن ثم انتقل إلى دار المرحوم الشيخ صالح إسلام بجوار مسجد المعار ، وكانت تلقى فيه قصائد أدبية ، ومقالات وقصص .

وكان نشاط النادي اجتماعياً وأدبياً ولكن النادي لم يستمر ولم توافق الحكومة على الإذن بتأسيسه في ذلك الوقت) .

بدأ الأستاذ مغربي كلامه هكذا : (... فكر جماعة من الشباب المتعلم في مدينة جدة في تأسيس نادٍ أدبي وتقدموا للحكومة بطلب الترخيص لهذا النادي في أوائل الخمسينات ولكنهم باشروا نشاطهم فيه قبل أن يتلقوا الإذن بافتتاحه) :

ويبدو أن الشباب كانوا يتحییون الفرص للتجمع الأدبي ...

وإذا كنت لا أعرف الصيغة الرسمية لجمعية الإسعاف بمكة المكرمة — ويا حبذا لو عرفت ... — فأني أعرف أنها كانت نادياً ، وكانت باباً للمحاضرات — تنظر جمعية وقد طبعت مجموعة من هذه المحاضرات سنة ١٣٥٧ .

وكان للأدباء مكان من هذه المحاضرات (ينظر — منصور الحازمي : معجم المصادر الصحفية ص ٥٣) وهو يذكر تأسيسها سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م وأن محاضراتها امتدت إلى التاريخ والأدب والاجتماع ...

وربما — وبغير ريباً — كانت محاضرة حمزة شحاتة (ينظر) أخطر ما ألقى ، (مع شدة صلتها بالمعجم) — ذو الحجة ١٣٥٩ .

وكانت المحاضرة بحكم المفقودة إلا أنها نشرت أخيراً :

حمزة شحاتة — الرجولة عماد الخلق الفاضل ، مقدمة بقلم الأستاذ عزيز ضياء
(ينظر) جدة ، دار تهامة — الكتاب العربي السعودي — ٢٧ ، مطابع دار البلاد
١٤٠١ / ١٩٨١ ، ١١ — ٢٠ ، ٢١ — ١٢١ +.

وأشار الحازمي ص ٥٢ إلى نادي (الشباب العربي السعودي المتعلم) بالمدينة المنورة
ثم سمح بتأسيس نوادٍ للرياضة في المدن المهمة من المملكة ، وكان للثقافة والأدب مكان
بارز من هذه النوادي ، ومن مواسم محاضراتها ، وكأنها — في كثير من الأحيان — نوادٍ
أدبية مُقنَّعة (بالرياضة البدنية) .

ولا يعدم الأدباء — والشباب خصوصاً — من فرص أو أماكن للقاء ... (٢) في دور
الجرائد والمجلات مثلاً ، في بيوت الأدباء الشيوخ أحياناً ، وكنت أسمع أن الأستاذ محمد
حسن عواد (ينظر) في جدة ، يرعى الشباب رعاية خاصة ، وأنَّ للأستاذ عبد العزيز
الرفاعي ، في الرياض (ينظر) يوماً خاصاً من الأسبوع تستحيل فيه داره منتدى أياً (٣) .

هذا إلى ما كان ينشأ وينمو في المدارس والمعاهد ... والكليات من جمعيات
ويصدر من نشاط ... ربما جمع إلى بعضه فصدر في كُرَّاس أو عدد من مجلة ...
إنَّ هذه الحال الموصوفة بالنشاط الأدبي الثقافي الفكري ، الباحثة عن منافذ
ومجالات أوسع من التَّهَيُّءِ رسمياً وغير رسمي ... تُرْهِصُ حَتَمًا — بقيام النوادي الأدبية
على الوجه الرسمي ، والنطاق الواسع الشامل ، فالحاجة تدعو إلى ذلك ومع الحاجة لا بُدَّ
من حكمة سياسية تحتفظ لنفسها بالعلم والتوجيه إذ تقدم الرعاية والعون ... ولا ننسى ما
قام في الأقطار العربية من اتحادات أو جمعيات ... أدبية .

وقد علمت — وأنا أعمل في المملكة — قبل عام ١٣٨٨ / ١٩٦٩ باهتمام أمير
سعودي بالثقافة والأدب وأنه يعقد ندوات في داره يحضرها عدد من الأدباء ، وقد
يكون أغلبهم شباباً ...

وربما كان هذا الأمير هو فيصل بن فهد بن عبد العزيز .
أذكر هذا لما له علاقة بما بعده ، من أمر نشوء النوادي الأدبية .
فقد شغل هذا الأمير وظيفة (الرئاسة العامة لرعاية الشباب) .

وعن هذه الرئاسة آتيتُ الأندية الأدبية .
جاء في الكتاب السنوي لنادي جدة الأدبي ١٣٩٥ / ١٣٩٦ المطبوع في دار عكاظ
للطباعة والنشر — جدة :

(في آخر ... الشتاء ... وفي مدينة الرياض ... ولدت فكرة تأسيس الأندية الأدبية
... وهي :

نادي جدة الأدبي ، الرياض ، المدينة ، مكة ، جيزان ، الطائف .

ولدت هذه الأندية الستة في ساحة واحدة ، انبثاقاً من حوار جرى بين ... الرئيس
العام لرعاية الشباب ، وطائفة من الأدباء السعوديين الذين تجمعوا للسلام عليه في مكتبه
في مبنى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية هناك .

... كان ذلك الحوار الأدبي ... في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر صفر عام
١٣٩٥ هـ والواحد والعشرين من شهر مارس ١٩٧٥ » .

التكلم هو محمد حسن عواد — من جدة — ومعه عزيز ضياء وقد قدما طلباً
بتأسيس نادي جدة فأجيزا في ١٣٩٥/٢/٢٩ .

وتقدم في اليوم الثاني : أحمد سباعي ومحمد حسن فقي وإبراهيم فودة ، فأجيب
طلهم لتأسيس ناد بمكة .

وتقدم حمد الجاسر وعبدالله بن خميس بطلب فتح ناد في الرياض .

ثم توالى الأندية في الرياض والمدينة والطائف وجيزان .

وتكون مجلس إدارة نادي جدة من محمد حسن عواد ، عزيز ضياء ، حسن
قرشي ، محمود عارف ، عبد الفتاح أبو مدّين ، محمد علي مغربي ، عبدالله الحصّين ،
ود. عبدالله مناع ، الأمير سعود بن سعد بن عبد الرحمان ، الأمير عبدالله الفيصل .

وللنادي أن يقيم الندوات ويلقي المحاضرات ويصدر المجلة ... وينشر الكتب .

وصارت (النوادي الأدبية) إحدى مؤسسات الرئاسة العامة لرعاية الشباب ،
وواضح أن النوادي الأدبية لا تقتصر على الشباب فقد ضمت — كما رأينا من أسماء
مؤسسيها — الشيوخ .

ولقد قرأت أخيراً في مجلة الرياض (صفر ١٤٠٢/ كانون الأول ١٩٨١) كلمة يعاتب فيها كاتبها — وبحاسب — النوادي على أمور منها إعادة المطبوع وجهل الأعضاء — والقراء — بما يجري في النوادي من نشاط ... ويشير إلى أن عدد النوادي ثمانية — هي بالإضافة إلى ما تقدم ذكره : النادي الأدبي في القصيم وهذا النادي الأدبي في بريدة . والنادي الأدبي في أبها .

وأذكر — هنا — ما وصل إلى علمي من منشورات نادي المدينة الأدبي — على غير ترتيب :

- ١ — ذكريات طفل وديع — عبد العزيز الربيع (رئيس النادي) .
- ٢ — جداول وينايع — شعر عبد الرحمن سليمان رفة .
- ٣ — الجناحان الخالدان — شعر محمد هاشم رشيد .
- ٤ — ترانيم العودة (عودة الملك خالد) إعداد فوزان عبد الهادي الحجيلي وناجي محمد حسن عبد القادر .
- ٥ — الحفل الثقافي المسرحي سنة ١٣٩٦ .
- ٦ — الفصيليات شعر عبد الحميد ربيع .
- ٧ — رسالة إلى ليلى شعر أحمد فرح عقيلان (مدير النوادي الأدبية) .
- ٨ — همسات في أذن الليل شعر محمد العيد الخطراوي .
- ٩ — غناء الجرح — له .
- ١٠ — على ضفاف العقيق شعر محمد هاشم رشيد .
- ١١ — على دروب الشمس — له .
- ١٢ — في ظلال السماء — له .
- ١٣ — على أطلال ارم — له .
- ١٤ — غزوة بدر الكبرى — الشريف ابراهيم العياشي .
- ١٥ — الفنون التعبيرية (تقديم عبد العزيز الربيع — عدة كتب) .
- ١٦ — جرح الإباء شعر أحمد فرح عقيلان .
- ١٧ — شعراء من أرض عبق (جزءان) لمحمد العيد الخطراوي .

- ١٨ — بيت وشاعر لخالد يوسف .
- ١٩ — ثلاثة أعوام من مسابقة حفظ القرآن الكريم بالمدينة .
- ومن منشورات نادي الطائف الأدبي :
- ١ — أهازيج شعر محمد ابراهيم جدد .
- ٢ — هتاف الحياة شعر عبدالله جبر .
- ٣ — أغنية الشمس شعر ابراهيم الزيد .
- ٤ — المحراب المهجور — شعر له .
- ٥ — خطرات في الأدب والفلسفة — حمد الزيد .
- ٦ — مسكينة شعر (شعبي) .
- ٧ — ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي الجاهلي دراسة وتحقيق الدكتور حسن محمد باجودة .
- ٨ — سوق عكاظ في التاريخ والأدب — اعداد لجنة الآثار التاريخية .
- ٩ — البحث عن ابتسامة ... محمد المنصور الشقحاء .
- ١٠ — لكل مثل قصة — مناحي ضاوي القثامي .
- ١١ — شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم — محاضرات حمد الزيد .
- ١٢ — رحلة العمر — علي حسين الفيني .
- ١٣ — هل للشعر مكان في القرن العشرين — د. غازي القصيبي .
- ١٤ — فلسفة السلام — هشام ناظر .
- ١٥ — معاناة — محمد المنصور الشقحاء .
- ١٦ — المضيفات والمرضات في الشعر العربي — عبد الرحمن المعمر .
- ١٧ — ملف نادي الطائف الأدبي الأول .
- ١٨ — أجنحة بلا ريش (طبعة ثانية) — حسين سرحان .
- ١٩ — نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب — علي حسن العبادي .
- ٢٠ — رجل على الرصيف عبدالله سعيد جمعان .
- ٢١ — صور من الحياة والمجتمع — علي خضران القرني .

- ٢٢ — ذكريات — أحمد علي .
- ٢٣ — خواطر في التنمية (محاضرة) د. غازي القصيبي .
- ٢٤ — حديث في الإعلام (محاضرة) د. محمد عبده يماني .
- ٢٥ — البيت أولاً (محاضرة) هشام ناظر .
- ٢٦ — جوانب صحية في التشريع الإسلامي — محاضرة حمد الدعيج .
- ٢٧ — كتاب القصة (دوري) — محمد المنصور الشقحاء .
- ٢٨ — عذراء المنفى — إبراهيم الناصر .
- ٢٩ — المختصر من كتاب نشر النور والزهر ج ١ و ٢ تحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي .
- ٣٠ — ملف نادي الطائف الأدبي الثاني .
- ٣١ — معجم معالم الحجاز ج ١ — عاتق ابن غيث البلادي .
- ٣٢ — مذكرات الخط العربي — جلال أمين صالح .
- ٣٣ — في الأدب والحرب — حسين سرحان .
- ٣٤ — نافذة على الحائط المهدوم — هند صالح باغفار .
- ٣٥ — حكاية حب ساذجة — محمد منصور الشقحاء .
- ٣٦ — الرواد الثلاثة — عبدالله خياط .
- ٣٧ — من حديث الكتب — محمد سعيد العامودي .
- ٣٨ — دريد بن الصمة — مناحي ضاوي القشامي .
- ٣٩ — كتاب القصة .
- ٤٠ — مقالات في الأدب — اعداد النادي .
- ٤١ — ألوان من الأدب ج ١ — شعبان جبريل عبد العال .
- ٤٢ — كنز الأنساب ومعجم الألقاب — حمد الحقييل .
- ٤٣ — القصاص — عبدالله سعيد جمعان .
- ٤٤ — معجزات القرآن البيانية (محاضرة) د. حسن محمد باجودة .
- ٤٥ — الصمت والجدران — سباعي أحمد عثمان .
- ٤٦ — حين ينزف الأفق — إصلاح سهيل .

- ٤٧ — الطائر الغريب — حسين سرحان .
 ٤٨ — ملف نادي الطائف الأدبي الثالث .
 ٤٩ — في علم العروض د. عبد الهادي الفضلي .
 ٥٠ — المسحوق — محمد حمد الصويغ .
 ٥١ — سوق الخميس — خليل ابراهيم الفزيع .
 ٥٢ — دعونا نمشي (اعادة طبع) — أحمد سباعي .
 ٥٣ — الموسوعة الأدبية (ج٩) عبد السلام الساسي .
 ٥٤ — كتاب القصة .
 ٥٥ — أغنية الشمس — ابراهيم محمد الزيد .

ملاحظة : استعنت في اعداد هذه القائمة بما اعتاد النادي أن يثبته في مطبوعاته من منشوراته — وكان آخر ما وصل علمي إليه من مطبوعاته — وبه استعنت هو كتاب ديوان أحبيحة بن الجلاع ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

وأعرف من مطبوعات نادي جدة بدلالة «الكتاب السنوي لنادي جدة ١٣٩٥/١٣٩٦» : جدول الأضواء لكتاب النادي (طبع) .
 وذكر كتباً أخرى معدة للطبع أو إعادة الطبع .

أضيف إليها كتاب من الرسالة الخالدة لمحمد علي قدس (أمين سر النادي) ، جدة ، مطابع الروضة . وفيه قائمة «المنجزات الطباعية لنادي جدة الأدبي» الشعر : قم الألب ، الساحر العظيم ، عكاظ — الجديدة . وثلاثتها لمحمد حسن عواد . الشاطئ والسراة لمحمود عارف . من شعر الثورة الفلسطينية لأحمد يوسف ريموي ، أنين وحنين (شعر شعبي) للشريف منصور بن سلطان .

إسلاميات : «مُحرَّرُ الرقيق : سليمان بن عبد الملك» ، لمحمد حسن عواد المؤتمر الإسلامي خير بديل للخلافة الإسلامية لمحمد حسين زيدان . «المرأة كيف عاملها الإسلام» لحسن عبدالله آل الشيخ . «التراث العربي والإسلامي في الكوميديا الإلهية» — ياسر فتوي . «دور البيت الإسلامي في دعم التنمية» د. أحمد محمد علي «من وحي الرسالة الخالدة» .

إعلام : الكتاب السنوي . الإعلام والتنمية الوطنية في المملكة العربية السعودية .
د . سمير محمد حسين .

آداب وعلوم : موقفنا من الحضارة ضمن الإطار العالمي ، محمد كامل الخنجا .
موقفنا من الإعراب في القرن الخامس عشر ، غازي عبيد مدني . عالم البحار : الجزر .
الأسماك . الطيور بالصور للعقيد المتقاعد صالح بن محمد الحربي .

المنتجع الفسيح محمد حسن عواد ، طبيب العائلة د . حسن يوسف نصيف .
مذكرات طالب (ط ٣) له . بسمه من بحيرات الدموع (قصة) للأنسة عائشة زاهر
أحمد .

وأضيف إلى ذلك ما ورد في قائمة مستقلة بالمنجزات الطباعة الصادرة عن نادي
جدة منذ تأسيسه حتى جهادى الأولى ١٤٠٠ :

الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية ، التضامن الإسلامي ، المستدرك لمحر الرقيق
وثلاثتها محمد حسن العواد . دوائر الصمت (شعر حديث) لعبد الواسع سعيد عبده .
ثم من رسالة خاصة : شوك وورد (شعر) طبعة ثانية) لحسن عبدالله القرشي ،
شمعة على الدرب . عارف قياسية . أطراف العذاري (ديوان) ، لمطلق مخلد الذبياني . في
معترك الحياة لعبد الفاتح أبو مدين . — والثلاثة الأخيرة مما صدر سنة ١٤٠١ .

الحواشي :

(١) حول انشاء مجمع علمي :

ذكر أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر في الكلام على إنشاء مجمع علمي لغوي أنني من (الرافضين) للدعوة لإنشائه .

والأمر يحتاج إلى إيضاح هو أن أحد الإخوة الكتاب دعا إلى إنشاء مجمع لغوي ، فكتبت في إحدى الصحف ،
وتحدثت في الإذاعة بأنه لا يوجد — في ذلك الوقت — من علماء اللغة الذين يستطيعون تكوين مجمع لغوي ، بل
ليس بين الداعين لإنشائه من درس اللغة دراسة تعمق تُهيئه لبحث القضايا اللغوية ، التي أنشئت المجامع اللغوية
لبحثها ، ولا أزال عند رأيي هذا .

أما إنشاء مجمع علمي — على غرار (المجمع العلمي العربي) بدمشق — قبل أن يغير اسمه ، و(المجمع العلمي
العراقي) فلم أعارض إنشاءه ، بل على العكس من ذلك فقد حاولت أن يكون المقصود بالدعوة ، ودعوت إلى

جناية النشر المشوه

على تراث الفكر في اليمن

بينما كنت في حيرة أفكر في مصير التراث الفكري والديني ، والأدي والتاريخي في اليمن ، والذي ظلّ حبيس المكتبات والخزائن عدّة أجيال ، وأتذكر الفرحة التي غمرتني عندما سمعتُ أن (وزارة الأعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية) قد أعدت مشروع تحقيق ونشر مئة كتاب ، ورصدت ميزانيته .. ثم خيبة الأمل التي اجتاحتني عندما اطّلت على بعض ما نشرته (الوزارة) باسم (المشروع) ، وبطريقة لا أقول إنها خالية من أيّ تحقيق أو عناية .. بل ومفعمة بالتشويهات ؛ تحريفاً وتصحيحاً .. وكان آخر ما وصل إلى

إنشائه مراراً كان آخرها قبل بضع سنوات حين تقدمت في يوم ١٣٩٩/٦/٢٦ لإحدى الجهات العليا بطلب إنشاء ذلك المجمع ، ولا يزال الطلب يدرس .

(٢) وأذكر أن عدداً من الشباب منهم الأستاذ عبد المجيد شكيحي — وكان من أصغرهم سناً — والسيد علي حسن فد عتي ، والأستاذ حسين عرب ، والأستاذ صالح باخريّة ، والأستاذ عبد السلام الساسي ، وكان هذا — يجتمعون في بعض الأيام في بيت أخ يدعى (باخطمة) أنسب اسمه الأول كان موظفاً في الشرطة ، ويقع هذا البيت خلف (الحميدية) و(مطبعة أم القرى) .

ولا يعدو ذلك الاجتماع لقاء بعض القصائد ، أو الأبحاث ، أو قراءة بعض ما ينشر في الصحف المصرية من مناقشة بعض القضايا الأدبية ، وكانت تلك الأيام — سنة ١٣٥٢ — وحولها — زاخرة بالمباحث الأدبية وخاصة جريدة السياسة الأسبوعية .

وأذكر أن مما كنت نظمت في ذلك الوقت :

قضية العلم والأدب حُمد السعي والدأب
أنتم زينة البلا د، بكم تعلي الرب

— في أبيات — ألفاها الأستاذ حسين عرب .

وكان من ثمار تلك الاجتماعات (الفجّة) إصدار كتاب «نفثات من أفلام الشباب الحجازي» .

(٣) ولا زال متندى أبي عَمَّار — رعاه الله وفواه — عامراً ، يتنابه ويقصده أهل العلم والأدب في كل ليلة من ليالي الجمعة .

ولا يقتصر حضوره على فئة دون أخرى من الناس ، وقُلْ أن يقد إلى مدينة الرياض عالم أو صحفي أو أديب لا يزور ذلك المنتدى ، فتجد المكان على سعته خاصاً بالزوار ، الذين يلقي كل واحد منهم من لطف أبي عمار ، وحسن استقباله وكرم خلقه ما يحس به بأنه في كنف أقرب قريب ، أو أعز حبيب ، بالإضافة إلى ما يتمتع الفكر ، ويغذي العقل مما يدور من الأبحاث بين أولئك الحاضرين ، الذين هم في القمة فكراً وخلقاً وأدباً — في أنتم ، وبين قومهم .

حمد الجاسر

جناية النشر المشوه

على تراث الفكر في اليمن

بينما كنت في حيرة أفكر في مصير التراث الفكري والديني ، والأدي والتاريخي في اليمن ، والذي ظلّ حبيس المكتبات والخزائن عدّة أجيال ، وأتذكر الفرحة التي غمرتني عندما سمعتُ أن (وزارة الأعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية) قد أعدت مشروع تحقيق ونشر مئة كتاب ، ورصدت ميزانيته .. ثم خيبة الأمل التي اجتاحتني عندما اطلعت على بعض ما نشرته (الوزارة) باسم (المشروع) ، وبطريقة لا أقول إنها خالية من أيّ تحقيق أو عناية .. بل ومفعمة بالتشويهات ؛ تحريفاً وتصحيفاً .. وكان آخر ما وصل إلى

إنشائه مراراً كان آخرها قبل بضع سنوات حين تقدمت في يوم ١٣٩٩/٦/٢٦ لإحدى الجهات العليا بطلب إنشاء ذلك المجمع ، ولا يزال الطلب يدرس .

(٢) وأذكر أن عدداً من الشباب منهم الأستاذ عبد المجيد شكيحي — وكان من أصغرهم سناً — والسيد علي حسن فد عتي ، والأستاذ حسين عرب ، والأستاذ صالح باخريية ، والأستاذ عبد السلام الساسي ، وكان هذا — يجتمعون في بعض الأيام في بيت أخ يدعى (باخطمة) أنسب اسمه الأول كان موظفاً في الشرطة ، ويقع هذا البيت خلف (الحميدية) و(مطبعة أم القرى) .

ولا يعلو ذلك الاجتماع لقاء بعض القصائد ، أو الأبحاث ، أو قراءة بعض ما ينشر في الصحف المصرية من مناقشة بعض القضايا الأدبية ، وكانت تلك الأيام — سنة ١٣٥٢ — وحولها — زاخرة بالمباحث الأدبية وخاصة جريدة السياسة الأسبوعية .

وأذكر أن مما كنت نظمت في ذلك الوقت :

قضية العلم والأدب حُمد السعي والدأب
أنتم زينة البلا د، بكم تعلي الرب

— في أبيات — ألفاها الأستاذ حسين عرب .

وكان من ثمار تلك الاجتماعات (الفجّة) إصدار كتاب «نفثات من أفلام الشباب الحجازي» .

(٣) ولا زال متدبّي أبي عَمَّار — رعاه الله وفواه — عامراً ، يتنابه ويقصده أهل العلم والأدب في كل ليلة من ليالي الجمعة .

ولا يقتصر حضوره على فئة دون أخرى من الناس ، وقُلْ أن يقد إلى مدينة الرياض عالم أو صحفي أو أديب لا يزور ذلك المتدبّي ، فتجد المكان على سعته خاصاً بالزوار ، الذين يلقي كل واحد منهم من لطف أبي عمار ، وحسن استقباله وكرم خلقه ما يحس به بأنه في كنف أقرب قريب ، أو أعز حبيب ، بالإضافة إلى ما يمتع الفكر ، ويغذي العقل مما يدور من الأبحاث بين هؤلاء الحاضرين ، الذين هم في القمة فكراً وخلقاً وأدباً — في أنهم ، وبين قومهم .

حمد الجاسر

يدي من منشورات (الوزارة) — وقبل أن يكون وزيرها الشاعر اللوزي — هو كتاب «تاريخ الخيول العربية» تأليف عبدالله بن حمزة^(١) .. وهو في الواقع لا يحمل اسمه الأصيل ، ولا يؤرخ للخيول العربية بالمعنى الدقيق .. بل هو «أرجوزة» بديعة محكمة في صفات الخيل وألوانها ، وما يُحمد منها ، وما يُذمُّ نظمها الفارس الشاعر الامام عبدالله بن حمزة المتوفي سنة ٦١٤ هـ وشرحها ابنه الفارس الأديب أحمد بن عبدالله بن حمزة ، شرحاً تطرّق فيه إلى ذكر «أيام العرب» نقلاً من مظانها المعروفة .

وغلاف الكتاب جميل ، وورقه صقيل ، وكتلماته مشكّلة بالحركات ؛ لكنّه بأخطائه وتحرّيفاته وتصحيفاته ، لا يشجّع أيّ قارئٍ على متابعة قراءته ؛ فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من الأخطاء والغلطات المطبعية وغيرها . ، ولم تذكر (الوزارة) دار النشر التي طبّعته ، ولا من هو الذي تولّى مسؤولية الإشراف على تحقيقه وضبطه من العلماء والأدباء ، ولم يوّب ، ولا عُنِيتْ مواضيعه ، ولم يُزيّن بمقدمة ، ولا بأيّ فهرس ، لا للفصول ، ولا للمواضيع أو الأعلام أو البلدان . أو الأشعار والأخبار ، ولم تحقّق شواهد ، ولا عُرِفَ بصاحب الأرجوزة ، ولا بشارحها . وكان كل ذلك سهلاً ميسوراً بلّ وواجباً .. فخرج الكتاب «تاريخ الخيول العربية» اجّبع ، أثّر ، ينغى اليوم الذي قدروا فيه نشره وطبعه ، وإخراجه من وقاره ، وصمّته بين إخوانه في خزائن العلماء لا تُداعبه ، ولا تمتدّ إليه بين الآونة والآخرى ألا بدّ عارفٍ بالعلم عاشقٍ للأدب .

نعم بينما كنتُ في حيرة أفكر في مصير التراث اليمني ، والمأساة التي سيقع فيها إذا استمرّ نشره على الناس بهذا الأسلوب ، وأترحم على جهود الأفراد أمثال المؤرخ محمد زبادة ، الذي نشر بعض كُتب الشوكاني وغيره مصحّحة منقّحة ، وأفتش عمّن استنجد به لإنقاذ التراث وإلى من أرفع شكواه إليه ، وأناشده الرفق والرحمة به ؛ بل وأقول : إنّ ظلّمه ببقائه مهملاً محفوظاً ، مصوناً ، في تلك الخزائن والمكتبات أفضل ألف مرة من إخراج كتبه بهذا الأسلوب المشوّه ؛ لأن ذلك سيعطي القراء فكرةً بشعة عنها ، وتلاشي من الأذهان الصورة الرائعة الجميلة عن (التراث اليمني) الذي ما زلنا نسمع الأحاديث عنه من قبل علماء الشرق والغرب وأخشى أن يقول البعض : بأنّ نشر الكتب بهذه الطريقة الشوهاء تأمّر على ذلك التراث ، وكأنما يراد به أن يقال : هذا هو تراثكم أيها

البنين ؟ إنه تافه لا يستحق القراءة أو النشر .. وإذا نُشر فلن تستطيعوا أن تفهموه .. !

نعم بينا أنا كذلك ؛ وأفكر بأن أقترح على المسؤولين في اليمن عن الإعلام والنشر ، تأليف لجنة مكونة من العلماء والأدباء ، والمؤرخين الأفاضل أمثال عبدالله الشياحي ، وحسين السياعي ، واسماعيل الأكويع وأحمد شرف الدين ، ومحمد المنصور ومحمد علي الأكويع ، وإبراهيم الحضرائي ، وحسين العمري ، وعبدالله البردوني ، وعبد العزيز المقالح ، وعلي حمود عفيف ، وعبدالله الحبشي ، واضرابهم ، تكون مسؤولة عن الميئة كتاب ، التي يراد نشرها تحقيقاً وضبطاً وانتقاءً ، ولا يُسمح بنشر أي كتاب إلا بعد أن يُقر نشره من قبلها ... بينا أنا كذلك إذ وقع في يدي — هدية من قبل صديق عالم كريم — كتاب أنيق المظهر ، جميل الشكل ، أصدرته (دار الطليعة للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٨٠ م) اسمه : كتاب « الأساس لعقائد الأكياس » ، كتب على غلافه بخطوط ملونة أنيقة أنه تأليف — القاسم بن محمد بن علي الزيدي العلوي المعتزلي — المتوفي سنة ١٠٢٩ هـ — ١٦٢٠ م ، وحققه وقدم له الدكتور البير نصري نادر .

وما إن وقع نظري عليه حتى تَنَفَّستُ الصُّعْدَاءُ وقلت الحمد لله : ها هو أحد الكتب الجنيبة القيمة يخرج في مثل هذه الحلة القشبية ، ويتحقق (دكتور) ليس من اليمن ... فعسى أن يضرب المثل الجميل لإخراج وتحقيق المخطوطات ؛ وسمعتُ همسةً في الأعماق تقول : لو أن (الدكتور) قال : تأليف الإمام القاسم بن محمد المنصور ، وهو الاسم واللقب الذي اشتهر به صاحب « الأساس » لأغناه ذلك عن (الزيدي العلوي المعتزلي) .. ! ثم في إمكانه أن يتحدث عن النسب ، والعقيدة ، والمذهب ، في التوطئة ، أو كان في إمكانه — لأجل تعريف غير اليمنيين أن يضيف لفظة (اليمني) ؛ أما لفظة (العلوي) فقد تدل على معنى آخر غير النسب ، ثم إن الإمام القاسم كان زيدياً ولكنه خالف في كثير من أرائه (المعتزلة) ولا سيما حول (الإمامة) ، ولكنني قلتُ لنفسي : المحقق ليس يميناً ، وربما أنه لم يطلع على الخلافات التي بين أئمة الزيدية ، وعلماء المعتزلة ، وما كتبه الفطاحل أمثال حميدان بن يحيى ، والمرتضى ، ويحيى بن حمزة ، إلى ، الوزير ، والأمير ، والمقبلي ، والشوكاني ، ولا يعرف ما لمؤلف « الأساس » من شهرة وقيمة علمية وسياسية عند أبناء اليمن ... ومضيتُ أقرأ .. في لفظة وشوق واستطلاع .

لقد تأكدت — وأنا أقرأ التوطئة — أن معلومات المحقق عن اليمن نزره ، ولهذا فهو يذكر ما فرغ الناس من تحقيقه ، ! وقد ذكر في ص ٦ وهو يصف المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما أن العلامة الشيخ إبراهيم الكواضي (هكذا بالذال) له ردٌّ على «الأساس» يُسمّى «النبراس» . ! فتذكرتُ أن الإمام الشوكاني قد ذكر في «البدر الطالع» ذلك ، وأن اسم مؤلف «النبراس» هو إبراهيم بن حسن الكوراني (بالراء) وهو الشهرزوري ، الكردي المولود سنة ١٠٢٥ هـ والمتوفي سنة ١١٠١ هـ وقد أثنى على عمله وفضله وتبحره ؛ كما أن الشوكاني ذكر في ترجمته للعلامة اسحاق بن محمد العبدى الصّعدي المتوفي سنة ١١١٥ هـ بأن له كتاباً ردّ به على كتاب الكردي وسمّاه «الاحتراس» وأثنى عليه وقال : إنَّ حُجْجَهُ دامغة ؛ فقلتُ لنفسي لو رجعتُ المحقق الدكتور ألبير نادر إلى ذلك وإلى كتاب «حكام اليمن المؤلفون» للأستاذ عبدالله الجيّشي — طبع دار القرآن — بيروت — سنة ١٩٧٩ م لَعَرَفَ المزيد عن مؤلّف «الأساس» وكتبه وآثاره ؛ وعن نسخ «الأساس» ، وأين توجد في اليمن وغيرها من مكاتب العالم ، وقد يحدّوه ذلك إلى الاستعانة بنسخةٍ أخرى أكثر اتقاناً من نسخته البغدادية التي اعتمد عليها ؛ بل لا بد أن يفكر في الاطلاع على أحد شروح «الأساس» .. وهي كثيرة ، ليعرف ما غمضَ ، أو دقّ فهمه عليه ؛ ولو أنه عمِلَ ذلك لما وقع ، فيما وقع فيه من أخطاءٍ ، وتصحيحات .. لأسماء الأماكن في توطئته ؛ فقد حوّل اسم (شهاره) في ص — ٧ — إلى (نهاره) بالنون وسمّاها في ص — ١١ — «شَحَارا» ! وكذلك عمل في السطر الحادي عشر من نفس الصفحة ، وكذا في السّطرين — ١٣ — و — ٢١ — ، و (حديد) بالخاء جعلها (جديد) بالجيم في ص — ١١ — س — ٢ — وكذلك (القارة) المعروفة أصبحت (الكار) و (الأهنوم) في ص — ١١ — س — ٣ — (إهويم) ، وفي نفس الصفحة قال : جبال (خضور) بالخاء المعجمة ، وانما هي (حضور) بالخاء المهملة .. و (ثلا) حوّلها إلى (الثّولا) ، وسمّى (الحيمة) في ص — ١٢ — سطر — ٢ — (بجيا) !! ولو أنه اتّصل بسفارة اليمن في بيروت أو دمشق أو سأل أحد الطلبة في جامعات لبنان ، أو دمشق ، لصحّحوا له هذه الأسماء التي يعرفها كلّ يمنيّ ؛ وكان ذلك أجدى له .. لأن هناك الرجوع إلى «دائرة المعارف الإسلامية» — الطبعة الانكليزية ، (بروكلمان) .. لأن هناك خلافاً بين النطقين العربي والانكليزي ؛ ولا سيما في أسماء الاعلام والبلدان .

أما الخطأ الذي لا أجد له مبرراً ، ولا أدري كيف وقع فيه الدكتور ألبير نادر .. فهو قوله في ص — ١٠ — : (المنصور القاسم بن محمد بن علي بن رسول الله الزبيري العلوي) إلى قوله : (وهو من بيت الامام علي الهادي أبي جعفر محمد الجواد .. وهو الامام العاشر عند الشيعة الإثني عشرية ، وهو من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب) ثم قال : (ولذلك لُقِّب المنصور القاسم بن محمد بن علي ابن رسول الله) وهذا وهم لا أدري لماذا وقع فيه ، وقد جرّه إلى عدّة أخطاء ، ولو أنه رجّع إلى « البدر الطالع » للشوكاني ، أو إلى « أئمة اليمن » لزبارة لَوَجَدَ نسبَ الامام القاسم بن محمد مرفوعاً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليها السلام .. وَلَمَّا وقع في الوهم بأنّه من أولاد الامام العاشر علي الهادي ، وهو ما جعله يوهّم القراء بأنّ الامام القاسم من فرقة (الإمامية) ، دون أن يتبّه إلى أنّه قد قال : إنّه (زيدي) ، و(معتزلي) ؛ والفروق معروفة بين معتقدات وأنظار وأفكار تلك الطوائف .. والبحث الذي نقله عن الأستاذ فؤاد سيّد عن كيفية وصول كتب المعتزلة إلى اليمن مفيد ؛ لأنّ الأستاذ فؤاد سيّد رحمه الله كان عالماً مدقّقاً ، مطلعاً على تاريخ اليمن وآدابها ..

وفي بحث (المحقق) الموجز عن أصل الزيدية أخطاء ؛ مثل قوله في صفحة — ٢١ — (إنّ القاسم بن إبراهيم — طباطبا — تولى على صعدة من بلاد اليمن عام ٢٤٦ — ٢٨٠ هـ « ومن سلالة الامام يحيى (الهادي إلى الحق) ابن الحسين بن القاسم الرسيّ) الخ .. وهذا غلطٌ محض ، ووهم لا أصل له ؛ فالامام القاسم بن إبراهيم لم يخرج في اليمن إماماً ، ولم يملك صعدة ، وإنما كان قيامه أولاً داعيةً لأخيه محمد بن إبراهيم ، فلما استشهد عام ١٩٩ هـ دعا الإمام القاسم الرسيّ لنفسه بمصر ، فبايعه خلق كثيرٌ في مكة ، والمدينة ، والكوفة ، وبلاد فارس ، واشتد الطلب له من المأمون ثم من المعتصم ، وظلّ متنقلاً بين السودان ، ومصر ، والعراق ، وخراسان ، والحجاز حتى توفي بالرسّ قرب المدينة المنورة سنة ٢٤٦ هـ .. وإنما الذي خرج إلى صعدة وبايعه اليمنيون سنة ٢٨٠ هـ هو حفيده الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسيّ وبناءً عليه فإنّ سلسلة أئمة الزيدية في المشجّر الذي وضعه المحقق ليست سوى (مشجّر) لبعض أئمة أهل البيت الأوائل ؛ خلط فيه بين الأمامية والزيدية ، وهو ما جرّه إلى أن يظن بأنّ الامام القاسم (حُسَيْنِي) ، ومن أولاد الامام علي الهادي أبي جعفر محمد الجواد

الامام العاشر ؛ كما أن ترتيبه لائمة الزيدية في القائمتين من ص — ٢٦ — حتى ص — ٢٩ — لا تدلّان على أنه قد قرأ عن الزيدية ما يتحوّل الكتابة عنها ؛ وكان عليه أن يرجع إلى المصادر اليمنية ، أو كتب المحققين ؛ وأفضلها مما خرج حديثاً كتاب « الزيدية » للدكتور أحمد محمود صبحي أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعتي الاسكندرية وصنعاء ، وقد حدّد الدكتور ألبير نادر أئمة الزيدية في القائمة الأولى بثلاثة عشر ، وفي الثانية باثني عشر ، زاعماً أن ذلك حسب ما ورد في خاتمة كتاب « الأساس » وكلّ ذلك وهمٌ وخطأ ، إذ لم يذكر القاسم من ذكر في خاتمة كتابه .. إلّا لأن « أحاديث » قد وردت فيهم ؛ وليس على سبيل حصّر أئمة الزيدية في نظره .. ولو عاد المحقّق الدكتور ألبير إلى كتب التاريخ لوجد أسماءهم ، ومُدّد حكمهم مذكورة ، وقد جعلهم صاحب « اليمن عبر التاريخ » أحمد شرف الدين ستّة وستين إماماً من سنة ٢٨٢ هـ حتى قامت الجمهورية سنة ١٣٨٢ هـ سبتمبر/ ١٩٦٢ م وجعلهم العلامة عبدالله الشماحي في كتابه « اليمن الأرض والانسان » ثلاثة وسبعين اماماً .. وقد اقتصرنا على أئمة الزيدية الذين ظهوروا في اليمن وحكموها ، أمّا غيرهما مثل العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي في كتابه « التحف شرح الزلف ، والدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه « الزيدية » ، فقد تعرّضا لذكر أئمة الزيدية في سائر بلاد الإسلام ، وعدّ منهم الدكتور صبحي أربعة وتسعين اماماً ولم يذكر منهم الإمام عبدالله ابن أحمد الوزير . إمام ثورة الدستور سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .

هذا ما عنّ لي وأنا أقرأ توطئة « المحقق » ومقدمته ، وما كتبه عن أصل الزيدية وسلسلة أئمتهم .

ثم أورد بعد ذلك فصلاً سمّاه « تحليل الكتاب » وهو تلخيص حصيف لطيف مفيد ؛ لمعظم مسائل وأبحاث كتاب « الأساس » لكنه قد وهم حين ظن أن الإمام القاسم عندما ذكر في خاتمة كتابه بعض الأئمة .. أنه قد قصد بذلك حصّر من هم الأئمة من سلالة عليّ الذين لهم الحقّ الشرعي فيها « فما أظن أن ذلك قد خطر في بال القاسم وإنما أورد من أورد أسماءهم ، على سبيل الاستشهاد على قوله بأن الفرقة الناجية ^(٢) هي « العترة الطاهرة ومن تابعها » ص — ٢٠٩ — ثم أشار إلى ما ورد في الأربعة

المعصومين^(٣) — ويقصد أهل الكِسَاء ، لا ما تَوَهَّم المحقق بأن الرابع هو زين العابدين !. لأن القاسم قد ذكره بالاسم — فذكر بعض من وردت فيهم أحاديث شريفة رواها علماء أهل البيت ، ومنهم علي بن الحسين وزيد بن علي ، والنفس الزكية ، وصاحب فخ ، والقاسم الرُّسِّي ، والهادي ، والناصر الأطروش ، ثم قال : (إلى غير ذلك ، ومن أراد استقصاء ذلك فعليه بالسائط نحو كتاب «ينابيع النصيحة في العقيدة الصَّحيحة» للأمير الحسين عليه السلام .

كما أن «المحقق» قد وهم وأخطأ حين قال في ص — ٣٨ — من تحليله : (ولا يقر القاسم بشفاعة النبي لأهل الجنة يَرْقِيهِم بها الله من درجة إلى أَعْلَا مِنْهَا) فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا فَسَّرَ بِهِ الامام القاسم (الشفاعة) وأقره من معانيها ، إذ قال في «الأساس» — ص — ١٩٩ — (فصل الشفاعة : «أثمتنا عليهم السلام ، وجمهور المعتزلة : «شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الجنة من أمته ؛ يُرْقِيهِم الله تعالى بها من درجة إلى أَعْلَا مِنْهَا ، ومن نعيم إلى أسنى منه ، وَمَنْ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ فَهُوَ خَالِدٌ فِيهَا أَبَدًا ، أَي : أَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَجُمْهُورِ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَالْقَاسِمِ مِنْهُمْ وَلَمْ يَقُلْ بغيره ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي لَمْ يَبْقَرَهُ مَا قَالَتْهُ (المرجئة) من أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكون لأهل الكبائر من أمته فيخرجهم الله بها من النار إلى الجنة إلى آخر كلام «الأساس» ص ١٩٩ — ١١٠ .

والآن إلى «الأساس» : هذا ما أردتُ لفت النظر إليه بالنسبة لما ورد في توطئة ، وتقدمة ، وتحليل ، الدكتور المحقق أما بعد أن تجاوزتُ ذلك ، وشرعتُ في قراءة الكتاب ، فقد ذهلتُ أسفًا لكثرة غلطاته وأخطائه ، وفي أمور لا علاقة لها بجغرافيا ولا تاريخ ؛ إذ لا تكاد تخلو منها صفحة ، وأحياناً يكون الأصل واضحاً فيحرفه أو يصحّفه المحقق اجتهداً ؛ ولو ذَهَبْتُ أَنْتَعَبُ جميع الأخطاء لطال الكلام فيها لا طائل تحتها ؛ فنصيحتي إعادة تصحيح وتحقيق الكتاب ، وطبعه من جديد ، وهو ما أتوي القيام به ان شاء الله ؛ ولثلاً يظُنُّ بعض القراء أنني قد أغرقتُ ، أو بالغتُ ، أو تحاملتُ ، سأضرب أمثلة لبعض تلك الأخطاء والغلطات ، مما يمكن إبرازه في مقال كهذا ، لأن شرح بعض الأخطاء يدعو إلى الإطناب المملّ ... وفي نظري أن الأستاذ الفاضل

الدكتور ألبير نصري نادر ، قد تورط في تلك الغلطات لعدة أسباب :

أولاً : قلة معرفته باليمن وتاريخها وخطوط أبنائها وأساليبهم فيها .

ثانياً : لم يحاول التَّحري والتَّقييب المضني لاستخراج وجوه كُلِّ لفظة مرسومة .

ثالثاً : اعتمد على نسخة بغداد ، ظناً منه أنها الأفضل لأنها — في نظره — الأقدم .. ولذلك فما كان ينقله عن النسخة اليمنية في الهوامش كان يظهر في الغالب الأقرب إلى الذوق لغوياً ، والأكثر صواباً ، ويوافق النسخة الخطية التي استعرتها من الأستاذ حسين بن عبدالله العمري ، وهي قديمة أشار إليها صاحبها في كتابه النفيس : « مصادر التراث اليمني » في المتحف البريطاني ؛ حيث يوجد فيه نسختان من كتاب « الأساس » إحداهما برقم : ٣٨٥١ كُتبت سنة ١٠٤٤ هـ والثانية رقم ٣٩٧٤ . مؤرخة سنة ١٠١٥ هـ أي إنها كُتبت أيام المؤلف ، وهي أقدم من نسخة بغداد .

رابعاً : وليعذرني الدكتور إن قلتُ : إنه لا يتقن القرآن الكريم وليس له معرفة بأحاديث الرسول (ص) ، وليس ذلك لأنه من الطائفة المسيحية كلاً .. فنحن نعرف منهم من هو أكثر معرفة بالقرآن والأحاديث من بعض أدباء العرب المسلمين . وما ذكرته من تصحيحاته لأسماء الأماكن اليمنية يؤكد السبب الأول ؛ وهاك أمثلة أخرى :

١ — في الصفحة الأولى من كتاب « الأساس » ص — ٤٦ — جاء ما يلي : (فأشعلها سبحانه بمصابيح الأنوار القاشعة الحنادس عن نهج معرفته) وقال في الهامش : (ي : لسدول) . ولو تأمل ؛ لأثبتَ لفظة « سدول » ؛ إذ لا يستقيم المعنى بدونها ؛ لتكون الجملة هكذا : (القاشعة لسدول الحنادس) الخ ؛ وفي نفس الصفحة سطر — ٥ — (من عجيب صنعه) وإنما هي : (من عجيب صنعته) لكي تتطابق صيغ سبعيات خطبة المؤلف ؛ في قوله (حقّ معرفته) ، ثم قوله (بتقدير قدرته) و(شكر نعمته) و(في أمّته) و(أهل ملّته) ، وفي السطر رقم — ١٦ — نفس الصفحة — ٤٦ — « وأولها صدرا » والصواب : « وأولها سَطراً » .

٢ — ص — ٤٧ — س — ٦ — (عبايات الظلم) والصواب (غيايات الظلم) .

وفي نفس الصفحة سطر — ١٠ — أثبت العبارة هكذا : (وجزى السَّفينة ، وإني تارك فيكم) والصواب : (وَجَزَى : السَّفِينَةَ ، وإني تاركٌ فيكم) إشارة إلى الحديثين الشريفين : (أهل بيتي كسفينة نوح إلخ) ، و(إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلُّوا) إلخ . كما كان عليه أن يثبت ما في النسخة اليمنية : ي . وذكره في الهامش رقم — ٦ — و — ٧ — والأبيات الشعرية للمؤلف في نفس الصفحة : هذا الأساس كرامة فلَقَّه الخ نقل البيت الثاني هكذا :

واحذر نفساً من نفائس نشره جمعتُ تغوص في فُراتٍ صافي
وإنما هو هكذا :

واحرزُ نفساً من نفائسِ نثره جُمِعتُ بِغُوصٍ في فُراتٍ صافي
أو في «خضم» ؛ كما في (ي) وأثبت البيت الثالث هكذا :

جمعَ المهيمُنُ بيننا في دينه حقاً يني باصابةٍ وتصافي
وإنما هو (جَمْعاً يني) .

٣ — ص — ٥٠ — س — ١٠ — (أو لم يحضرها كذلك بباله) : والصواب (لم يُخْطِرْها) .. وفي نفس الصفحة — س — ١٢ — و — ١٣ — أثبت العبارة هكذا : (لو كان غيرها لصحَّ وجودها مع عدمه إذ هي إدراك لا يحصل إلا به) وفيها سقط ؛ والصواب هكذا : (لو كان غيرها لصحَّ وجودها مع عدمه ، وعدمها مع وجوده ، قلنا : لا يلزم صحَّة وجودها مع عدمه ، إذ هي (أي الضرورة) ادراك مخصوص لا تحصل إلّا به) ..

٤ — في ص — ٥٤ — س — ٩ — جاء في بيت الشعر الذي لم يحقِّقه : «تذكرتُ ريفاً» بالفاء وإنما هو «تذكرتُ ربعاً» بالعين .

وفي — س — ١٧ — من نفس الصفحة قوله : (راجحاً بغيب) وهو خطأ ، والصواب : (رَجَمَ بِالْعَيْبِ) .

٥ — في — ص — ٦٢ — س — ١٠ — : «وغير مانع للخير» والصواب :

«وغير مانع لِلْحَيِّزِ» أي المكان وفي — س — ١٣ البيت :

وبعضُ القول ليس له عناج كـمخض الماء ليس له إناء وهو خطأ لا ينتبه له إلا المدقق ؛ والصواب : «ليس له إناء» بالتاء المثناة من فوق ؛ أي ؛ لا فائدة منه ، وكان عليه أن يفسر لفظة (عناج) ؛ وأنه يقال : (قول لا عناج له أي : لا روية له كما في «القاموس المحيط») .

٦ — في — ص — ٦٦ — س — ٩ — (هما كالمبينات إذ لم تكن الزيادة) الخ .. وفي العبارة نقص وتحريف والصواب هكذا : (هما كالبنيات إذ لو لم يُمكن ثبت الزيادة) الخ ..

٧ — وفي — ص — ٦٨ — وردت العبارة هكذا : س — ٧ — (وكل قول محدث ، وإن لم يُقل فيه إنه محدث ، فلا وصف له حيثئذ ، فلا تسلسل) ؛ وفي مخطوطة العمري كما يلي : (وكل قول محدث . فان قيل فيه أنه محدث فذلك وصف له محدث ، وان لم يقل فيه إنه محدث فلا وصف) الخ .. وإذن فهناك سقط من الأصل .

٨ — في — ص — ٧٢ — سطر — ١ — (والبصر حقيقة) والصواب : (والبصير) .

وفي س — ١٢ — نفس الصفحة : (الأفة هي سبب) والصواب : (هي سلب) باللام .

وفي س — ١٩ — نفس الصفحة : (فيلزمكم) والصواب : (فلزمكم) .

٩ — في — ص — ٧٦ — و — ٧٧ — عدة أخطاء أهمها إسقاطه لقول أبي ذؤيب الهذلي الذي أشار إليه في الحاشية رقم — ٢٦ — مصحفاً — بأنه ورد في النسخة «ي» ونسب البيت : يحف بهم بيض الوجوه إلخ إلى أبي ذؤيب : وصواب العبارة هكذا .

«لأن الكرسي في أصل اللغة العلم ، ولُحِظ ذلك الأصل في استعمالها قال أبو ذؤيب : ولا يكرس علم الغيب مخلوق ..
أي : ما يعلم ، وقال غيره :

يَحْفَ بهم بيضُ الوجوه ، وعصبَةٌ كراسيُّ بالأحداث حين تَنُوبُ
 أي : أهل «كراسي» ، أي علوم ، ومنه قيل للصحيفة التي فيها العلم كَرَّاسَة الخ .
 وقد أخطأ المحقق فأثبت عجز البيت هكذا : «كراسي بالأحداث هُوَ بيت» فورد ولا
 معنى له وقد علق عليه بحاشية رقم — ٣٨ — وقال : إِنَّه لم يجد البيت في شعر أي
 ذؤيب ، مع أن صاحب «الأساس» لم ينسبه إليه بل قال : وقال غيره وأما قول أي
 ذؤيب فهو «العجز» الذي سقط عليه ، وهو موجود في النسخة «ي» كما قال ، وكان
 عليه أن يُثبت ، ويصحّحه ، ويبحث عن شطره ، ويقول : إنَّ معنى العجز : أهل علم
 ومعرفة بالأحداث حين تنوب وتُفاجيء الناس . ولكنه أعرض ... ومضى في
 الأخطاء ...

١٠ — في — ص ٧٨ — س ١ — أثبت العبارة هكذا : (حذب مردان
 الدويه) ، وهي أشبه باللغو ، وصواب العبارة هكذا : (خلافاً لمن قال : حَدَّثَ
 «إِهْذَمَنَّ» ، من فكرة «يزدان» الرديّة) .
 وفي س — ١٣ — نفس الصفحة : «إن أول ما خلق الله فتواً لاحواء» وقال في
 الهامش رقم — ٤٠ — : ي : فتى لا جوى . وكل ذلك خلطٌ وتصحيف ؛
 والصواب : (أن أول ما خلق الله سبحانه فتى الأجواء) . والجملّة في «نهج البلاغة» .
 ١١ — في — ص ٨١ — أورد العبارة في السطرين — ٨ — و — ٩ — هكذا :
 (الولد يستلزم الحلول ثم الاتصال ، ولم يحل في جسم ولا ينفصل عنه) .. والبحث في
 إنكار قول النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله ، وفي العبارة تحريف وحذف
 وصوابها كما يلي : (قلنا : الولد يستلزم الحلول ثم الانفصال ، ولا يُحَلُّ إلّا في جسم ،
 ولا ينفصل إلّا عنه) الخ .

وقد تصرّف المحقّق في هذه الصفحة وحذف ، وقَدَمَ ، وأخَر ، ولو فصلنا لطلال
 الكلام ؛ والموضوع حساس .

١٢ — في — ص — ٨٢ — س ١٠ — (تأثير اختيار وهو تأثير لخلقته ، وتأثير
 اضطرابه وهو إيجاب ذاته لصفاته) والصواب هكذا : (تأثير اختيار ، وهو خلقه

لمخلوقاته ، وتأثير اضطرابه ؛ وهو إيجاب ذاته لصفاته) . فهناك تحريف .

وفي — س — ١١ — (ولا يضطر إلا المخلوق المقتضي ، بل لأن المقتضي أوجب وجوده) وقد أخطأ القراءة ، وصواب العبارة هكذا : (ولا يضطر إلا المخلوق . المقتضي : بل لأن المقتضي) الخ . أي قالت (المقتضية) . وهي فرقة كما أظن ..

١٣ — في ص — ٨٣ — (ولرأينا آثار صنع كل إله واحد ولا رسلهم) وصواب العبارة : (ورأينا آثار صنع كل إله ، ولأتينا رسلهم) الخ .

١٤ — في ص — ٨٦ — س — ١ — : سقطت على المحقق بعد الآية (ولا يحيطون به علماً) ؛ الآية «وقد أحاط بكل شيء علماً» (١٢) [الطلاق] ؛ والتفسير : وقد أحاط بكل شيء علماً بمعنى : لا يغيب شيء عن علمه لا كإحاطة الأسوار ، هكذا في الأصل ؛ أما المحقق فقد أثبتنا هكذا (بمعنى لا يغيب عن علمه لا كإحاطة الأموات) وهو هراء غطاه بالحواشي والاهمال .

وفي — س — ٥ — من نفس الصفحة : (لا يحتاج إلى ثبوت ذلك) والصواب (إلى ثبوت ذات ذلك) .

في — س — ١٠ — من نفس الصفحة قوله : «قلنا : يستلزم الحاجة ، وقد مرّ بطلانها فلزم بطلان ما يستلزمها» وهنا سقط كثير ؛ والعبارة في الأصل : (قلنا : يستلزم الحاجة وقد مرّ بطلانها إذ لو لم تكن ثابتة لم يكن الله تعالى عالماً ولا قادراً ، وقد مرّ بطلانه فلزم بطلان ما يستلزمها) ؛ ولا ندري هل حذفت العبارة من الأصل الذي اعتمد عليه ومن النسخة الأخرى التي استعان بها ؟ أم تجاوز ذلك سهواً ؟

في — س — ١٧ — نفس الصفحة : (صفة الوجود به) وفي نسخة العمري : (صفة الجودية) .

١٥ — وفي — ص — ٩١ — تقديم وتأخير مثل إثباته في س — ١ — قوله (لغة : العبور والمجاز والطريق) . وصواب العبارة هكذا : (والمجاز لغة : العبور) الخ وجل ما في الهامش هو الصواب .

١٦ — وفي — ص — ٩٣ — س — ٤ — (أي محكوم عليهم) والصواب :

(المحكوم عليهم) ..

وسقط بعد الآية في السطر — ٧ — عبارة كاملة وهي : (أو باسم المُبدِّل عنه ؛ نحو أكل الدَّم ؛ أي الدية) .

في — س — ٨ — من نفس الصفحة — ٩٣ — قوله : (أو باسم ضده نحو قولك لبخيل: فيك عاهة) والصواب (فيك سماحة) والجملة تدل عليه ، وقد أشار إليه في الهامش وكان يلزم إثبات لفظة (سماحة) .

وفي س — ١٥ — من نفس الصفحة — ٩٣ — (صبغة المعذرة) وإنما هي : (صبغة ؛ المقدرة) الخ .

وفي س — ١٧ — من نفس الصفحة — ٩٣ — (والزيادة في القول) وإنما هي : (أو الزيادة) .

والهامش رقم — ٨٩ — هو للجملة التي سقطت عليه وذلك يدل على أنها ثابتة في الأصل .

١٧ — وفي ص — ٩٤ — س — ١ — (وعلى أحد وجهي معناه) والصواب : (على أحد) ، بلا واو .

وفي — س — ٢ — (زيد على) صوابه ما في الهامش ونسخة العمري : (زيد غير ذلك) .

وفي — س — ٣ — (إطلاق المَعْرِف عن المنكر) صوابه : (على المنكر) .

وفي — س — ٥ — من نفس الصفحة — ٩٤ — : (تسمية نجم الدين) الخ .. والصواب (وَيُسَمَّى نجم الدين) .

وفي — س — ٧ — من نفس الصفحة — ٩٤ — : (ما استلزم علاقة) . والصواب : (ما يَسْتَلْزِم) .

وفي — س — ١١ — من نفس الصفحة — ٩٤ — : أورد الآية هكذا (يَجْري بأعيننا) ، وإنما هي (تَجْري) .

وفي — س — ١٥ — من نفس الصفحة — ٩٤ — : وردت الجملة هكذا : (اليد المقدرة الحاضرة بذهن المخاطب عند سماعه قوله) وصواب الجملة كما في نسخة العمري : (اليد المقدرة الخاطرة بذهن السامع عند سماع قوله) .

١٨ — في ص — ٩٦ — س — ٣ — : (بل يجري لفظ رحمن مطلقاً) والصواب : (لا يجري) .

١٩ — في ص — ٩٨ — س — ٣ — : (أصل الله بمعنى مألوه) والصواب : (أصل الله تعالى أله بمعنى مألوه) ، وفيها — س — ٤ — : (من الأعلام العالية) : والصواب : (الغالبه) .

وفي س — ٥ — نفس الصفحة — ٩٨ — : (كالمصعق كان عاماً) ؛ والصواب : (كالصَّعق) .

وفي س — ٨ — نفس الصفحة — ٩٨ — : (قرب من دعوى علم الغيب) والصواب : (قريبٌ من دعوى) .

٢٠ — وفي ص — ٩٩ — س — ٦ — : (لمن يفعل ما وضعها لأجله) والصواب : (لمن لا يفعل ما وُضِعاً لأجله) .

٢١ — وفي ص — ١٠١ — س — ٣ — جملة : (والعدل ألا تنهه) . صوابها : (والعدل أن لا تنهه) .

وفي ص — ١٠١ — س — ١١ — : (من عاقبة قبل معرفة الشرع) والصواب : (من عاقبة قبل معرفة إباحة الشرع) .

٢٢ — وفي ص — ١٠٢ — س — ٥ — جملة : (العقل يقتضي به باستقباح) والصواب : (العقل يقضي باستقباح) .

وفي س — ١٠ — من نفس الصفحة — ١٠٢ — أورد الجملة هكذا : (أعنتنا ، عليهم السلام ، وموافقهم ، والمجبرة : بل لأباحة الشرع في حق العبد) ، وعلّق بجاشيتين مشوّشتين ؛ وبقليل من التأمل يتّضح أنّ أصل الجملة هكذا : (ائمتنا عليهم السلام وموافقهم ؛ ويُحَسِّنُ الفعلُ إذا عَرِيَ عن وجه القبح) البغدادية ، وموافقهم ، والمجبرة : (بل لأباحة الشرع) .

وفي س — ١٦ — نفس الصفحة — ١٠٢ — : (لا يفعل الله ذلك) . والصواب : (قلنا : لا يُعقل ذلك) وفي الصفحات — ١٠٤ — و — ١٠٥ — خلطٌ كثير .

وفي ص — ١٠٧ — س — ٢ — : (علمه تعالى سابق غير سابق) [هكذا] مع أن العبارة معروفة متداولة لدى طلبة علم الكلام وهي : (سابق غير سائق) .. وهكذا وهكذا لو ذهبت استقصي كلَّها عن ملاحظته ، وصحَّحته في نسختي ، وأنقله في هذا المقال لتضاعفت سطوره ، ومل القراء ، ولكن لعل سآرفه عليهم ، وعلى نفسي إذا استشهدت بتحريفات (المحقق) لتفسير الإمام القاسم للآية الكريمة : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلى إلى مضاجعهم) (١٥٤/٣) فقد أورده كما يلي : — ص — ١٢٧ — « قلنا : معنى الآية : الشهادة للقتلى (رحمهم الله) بصدق إيمانهم وبامثالهم لأمر الله تعالى ، أي : لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم متخلفين لم يكن القتلى من المؤمنين رحمهم الله تعالى ، بمتخلفين مثلكم اقتدوا بكم [هكذا] وعن الحرب مشطين [هكذا ؟] . ولا ساعين [هكذا] لكم ان تبطحوهم [هكذا] بدليل أول الكلام الخ ... هكذا نقل المحقق الفاضل الدكتور ألبير نادر كلام الإمام محرفاً مشوهاً : أما ما في « الأساس » وفي كل النسخ فهو كما يلي : (قلنا معنى الآية : الشهادة للقتلى بصدق إيمانهم ، وبامثالهم لأمر الله تعالى ، أي : لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم متخلفين ، وعن الحرب مشطين ، لم يكن القتلى من المؤمنين رحمهم الله بمتخلفين مثلكم ، اقتدأ بكم ، ولا بسامعين لكم إن ثبطتموهم ، بدليل أول الكلام وهو قوله تعالى حاكياً عنهم : (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) ..

وممَّا يؤكد السبب الرابع وهو أنه لا يتقن القرآن الكريم ما عمله أيضاً في الآية الكريمة : (سزيم آياتنا في الآفاق) ص — ١٢٩ — فقد توهم أن تتمتها (حتى يتبين لهم أنه الحق) ليست منها بل من كلام صاحب « الأساس » .

وممَّا يتعلق بجعله للقرآن وآياته ، ما صنعه مع آيات « وسعها » ، فن المعلوم أن اللفظة « وسعها » وردت في القرآن خمس مرَّات ؛ وعندما وصل إليها الدكتور « ألبير » في فصل التكليف واستشهاد المؤلف بقوله تعالى (لا يُكَلِّفُ الله نفساً إلَّا وسعها) الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة ؛ نقلها الدكتور هكذا ص ١٣٣ — س — ٥ — « ولا تُكَلِّفُ نفساً إلَّا وسعها » (١٥٢/٦ — ٦٢/٢٣) بدون ضبط .. وهو يقصد الآية رقم — ١٥٢ — من السورة رقم — ٦ — « الأنعام » وعندما رجعنا إليها وجدناه قد حَرَفَهَا فالآية هناك

هكذا (وأوفوا الكيل والميزان لا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فَحَوَّلَ «نُكَلِّفُ» إلى «تُكَلِّفُ» وغير الإعراب ، ورمزه برقمي (٦٢/٢٣) يقصد به الآية الثانية والستين من السورة الثالثة والعشرين «المؤمنون» وعندما رجعنا إليها نجد أيضاً قد عبث بها فنص الآية هو : (ولا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، ولدينا كتابٌ ينطقُ بالحقِّ) وإذْنُ ... فَإِنَّ الْحَقَّ الْفَاضِلَ بِمَجْرَدِ مَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى لَفْظَةِ (وُسْعَهَا) عاد إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.» «واختطف» إحداها دون أن يلاحظ السياق والاعراب ، ووضع إزاءها رقمين من أرقام . الفهرست ، ومضى لسبيله .. وما هكذا يعمل المحققون وخصوصاً مع آيات الكتاب العزيز ، ولا شك ان الإمام القاسم لم يقصد إلا آية سورة البقرة رقم ٢٨٦ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) كما في نسخة العمري ، وإذا كانت النفس قد وردت مضمومة في نسخة بغداد ، التي اعتمد المحقق عليها .. فهي آية البقرة الأخرى رقم — ٢٣٣ — وهي (لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) بدون واو . أما في الآيات الأخرى فالنفس منصوبة وكان عليه ملاحظة ذلك .

ومضي الدكتور ألبير في تحوطه من ص — ١٣٣ — حتى ص ١٥٤ — لا يملُ التحريف والتصحيح فيجعل (اللطاف) (التطافا) ، و(الفصد) بالفاء (قَصْداً) بالقاف ، وأهل (اللطيف) ، أهل (اللطف) ، و(ما نهاكما ربكما) الآية ، (ما نهاكم ربكما) ، وجملة : (الكتاب والسنة والاجماع) يجعلها : (الكتاب والسنة إجماعاً) ، ولفظة (القياس) يحرفها فتصير (العباش) كأنه رجل له رأي ، ويحذف الآية : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) في صفحة — ١٤٣ — ويرمز إليها بحاشية رقم — ٢٠ — ويحرف (فإن تنازعتم في شيء) فتصير : «فإن سارعتم» و(أبيي) صاحب القراءة المشهورة يصبح الفعل : (أتى) ! و(ابن مسعود) يصبح ابن سعود) في ص — ١٤٤ — ! و(المجتري) بالزاي (المجتري) بالراء مرتين ، و(الكفارة) : (الكفار) ، و(التحقيق) عند «المحقق» يصير «التخفيف» ، و(المأمور) (المأمون) بن الرشيد ! والقاسم العياني بالياء يصبح (العناني) ، ويصير (العتاني عليه السلام) في هامش ص ١٤٧ — إلى غير ذلك حتى يصل إلى ص — ١٥٤ — فينتزع بلا عقل ولا رحمة من قلب الآية الكريمة ، (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين) الخ ينتزع منها قوله تعالى فيها (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدهما جاءتهم اليبات بغياً بينهم ،

فهدي الله «الذين آمنوا لما اختلفوا فيه» .. نعم ؛ حذفها ، ولا أدري ما حمله على ذلك ؟ وهل لأنه من أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه ؟؟ لأنه أيضاً قد أثبتنا ناقصة في فهرس الآيات ص — ٢٢٣ ؛ وجعل «التحري» (تجريباً) بالجيم و(آية التطهير) ، آية الطور و(خيري السفينة ، وإني تارك) (خرق السفينة) ، و(المستردلة) (المسترزلة) ، إلى أن يصل إلى ص ١٧٠ — فيحذف البيت الثاني الذي ورد بعد أخيه :

ومن يكن القاضي له من خصومِهِ ، أضَرَّ به إقراره وجُحُودُهُ

وهو :

إذا ما ادعى حقاً له عادَ باطلاً ، ولو أنَّ كُلَّ العالمينَ شُهودُهُ

وهكذا وهكذا يجعل «المنتصب» (المنصب) و(الوصل) (الوصول) إلى أن يصل إلى الآية (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم ؟ قالوا كنّا مُسْتَضْعِفِينَ في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرضُ الله واسعةً فَتَهْجَرُوا فيها) (ص ١٧٩ — ١٨٠) فيخلط بينها ؛ ومعلوم أن رفقها : — ٩٧ — من سورة النساء ، وبين آية سورة النحل (الذين تَوَفَّاهُم الملائكةُ ظالمي أنفسهم) ، ويجعلها في الفهرس كذلك ، ويجعل تَتِمُّهَا آيةً أخرى . وكما قلتُ فَإِنَّ أخطاء الكتاب وغلطاته لا تُحصى .

ولن أزيد إلا القول بأنه قد أغفل بعض الآيات القرآنية ، وتوهمها من كلام الناس ، فلم يذكر أرقامها مثل قوله تعالى (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) ص — ٩٢ — (واسأل القرية) ص ٩٣ — (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) ص — ٩٣ — (ولا يظلم ربك أحداً) ص ١٢٠ إلى غير ذلك .. وفهارسه للآيات والأحاديث مملوءة بالأخطاء تحريفاً ، وتصحيحاً ، وترقيماً ، وكذلك فهرس الاعلام والفرق .

ومن التوارد أنه لم يعرف لقب الامام المستظهر بالله أحمد بن الحسين بن أبي هاشم المتوفي حوالي سنة ٤٢٠ هـ بالرِّيِّ وهو (ما نكديم) بكسر الدال وضم الياء ومعناه وجه القمر : فكتبه المحقق هكذا (ما نكدهم بين) ؛ دون أي تعليق أو تفسير .

إن إخراج كتاب «الأساس» بهذا الشكل المؤسف ، وبهذه الطريقة المؤلمة ، ليس

فقط تشويهاً لسمعة التراث البهني .. بل إنه بضراً بسمعة من أشرف على تحقيقه كعالم .. وهو الدكتور ألبير نصري نادر ، وليس ذلك فحسب بل ويؤذي سمعة (دار الطليعة للطباعة والنشر) لأنها قامت بنشرة وتوزيعه .

ولو كنتُ من الدكتور ، أو من الدّار .. لعملتُ فوراً على لَفِّ الكتاب من المكاتب .. لإعادة التحقيق ، وتهيته للطبع من جديد ، في طبعة مُتقنة ومع الاعتذار . ولهم الاستعانة بما ورد في هذا المقال الذي سوف أرسله إلى مدير دار الطليعة كي يدرسه ويعرضه على المحقق الدكتور ألبير نصري نادر . راجياً أن تدفعه الغيرة على الآثار العربية .. وإن لم يكن فالغيرة على سمعة الناشر والمحقق .. فيصيح ويُصغي إلى هذا الصوت ، ويرجع إلى الحقّ الذي هو من أسماء ربّ العزّة ، والذي هو أحقّ أن يتبع والسلام على من اتبع الهدى .

لندن : أحمد محمد الشامي



المواشي :

مركز تحقيق وتحقيق

- (١) إشارة العرب إلى رداءة التحقيق في جزء ذي القعدة سنة ١٤٠١ هـ — ص ٧٤٦ — .
- (٢) الفرقة الناجية وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ولا تنحصر في عترته الكريمة وكما قال أحد علماء اليمن :
- آل النسبي هُم أتباع ملئيه من الأعاجم والأنراك والعرب
لو لم يكن آله إلا بنوته صلى المصلي على الطاعني (أي لهب)
- (٣) القول بعصمة الأئمة — وإن قال به بعض علماء الزيدية — ليس ثابتاً بطريقة صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم على ما حققه علماء السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

الدكاترة والعيب بالتراث

رسالة مفتوحة

[هذه رسالة من الدكتور حمود الحادي — عقب بها على ما نشرته «العرب» مما تحدثت به عن عمله في كتاب «النواذر والتعليقات» للهجري ، طلب نشرها .

وأقولها كلمة حتى — لو اعتقدت أن منشئ هذه الرسالة هو الرجل الذي اجتمعت به في بيروت ، وهو الذي قام بما قام به حيال كتاب المهجري — لو اعتقدت أنه منشئ الرسالة ، ليأدرت بالاعتذار إليه ، ولأبدت الندم على موقعي منه هو فيما كتبت عنه خاصة ، لا ما يتعلق بنشويه الكتاب ، الذي هو جزء من تراث الأمة ، لا يسوغ لأي إنسان أن ينسأله أمام المساس به .

إني أنشر الرسالة التي بعث بها الأخ الحادي ، وانتظر منه التعليق على ما هو في صميم الموضوع — مما تحدثت عنه في أجزاء من هذه المجلة — وسأعيد الحديث عن الجزء الثاني من نشرة الحادي من كتاب المهجري .

ولا يفوتني تقديم الشكر لمنشئ الرسالة حيث نبهني على أخطاء نحوية وقعت في ثنايا كلامي .

وسأعلق — بإيجاز — على بعض من جاء في هذه الرسالة .



إلى حمد الجاسر :

تحية تقدير واعجاب . وبعد فأنا أعترف لسيادتك بأنه لا اعتراض لي على جملة التصويبات التي استغرقت ما يزيد على أربعين صفحة من «العرب» الزاهرة التي تصدر بإشرافك في مدينة الرياض من المملكة العربية السعودية . ولكن لي عتاباً على عصبية الأسلوب الذي عرضت به هذه التصويبات . لقد غلبت هذه العصبية على وقارك — فبا يبدو — وكان ينبغي أن يغلبها وقارك فلا يسقط قلمك في امتحان الأعصاب الذي يظل النجاح فيه شرطاً من شروط الفضيلة في العالم . ويبقى أفي استغضبتك فغضبت ولا أعرف أفي فعلت ذلك .

سيدي العلامة :

كنت أتمنى لو أنك ظلت في تصويباتك أستاذاً وظلت أنا طالب علم . أريد أن أقول : إن الأساتذة حقاً لا يتعقبون مواطن الضعف في تلاميذهم ، فيوسعونها تشهيراً

على نحو ما فعلت ، ولكنهم يتلطفون كثيراً في الإشارة إلى هذه المواطن ، وتلك سمة من سمات الفضل في العلماء بل هي خصيصة لا بُدَّ منها فيهم .

ثم ما الذي اقتضى هذه الغضبة ؟ وسوغ لأستاذنا الكبير أن يجرّد كاتب هذه السطور حتى من فضيلة الإسهام المتواضع في خدمة التراث ولو على هذا النحو الذي لا يقع كاملاً من كل وجه ؟

أمّا أني يوم زرت في بيروت كنت أبيتُ نية السطو على جهده الكبير مع « أبحاث الهجري في تحديد المواضع » فلك تهمة أنزّه علامتنا المفضال عن أن يتحمل مسؤوليتها الأدبية ، وما أفدته من هذا الجهد وراء الزيارة أشرت إليه باعتزاز وإكبار . ولعل الذي فأنني هو أن المحقق الكبير لا يطبق — فيما يظن — أن يقال في رأي ارتضاه : (أنه رأي لا يستند إلى دليل يمكن الاطمئنان إليه) وكان أستاذنا — أطال الله بقاءه — قد ذهب إلى أن الهجري لم يكن عربياً خالص العروبة وإنما كان واحداً من الموالى أو أبنائهم بدليل أن اسمه واسم أبيه من الأسماء التي لم يعتد العرب استعمالها في ذلك العصر ، يضاف إلى هذا أنه كان ذا عناية شديدة بالأنساب ، فإذا روى عن شاعر أو عالم حرص على أن ينسبه حتى ينتهي به إلى قبيلته ، وبلغت النظر — ونحن ما نزال ننقل كلام الأستاذ الجاسر — أن معنيا بالأنساب على هذا النحو ، حرصاً على ما يعرف منها لا نجد في كتابه أية إشارة إلى نسبه هو !

وكنت قد تجرأت أنا فقلت : (انني لا أميل إلى هذا الرأي ودليلي على ذلك أن بطون المراجع تضم الكثير من هذه الأسماء « كالأعلام » وأخبار ذي الرمة » ، و« لسان الميزان » ، و« بغية الوعاة » .. يضاف إلى هذا أن عدم وجود نص على نسبه في كتبه لا يدل على أنه ليس بعربي ، إذ أن جل مؤلفاته قد ضاع كما أن كتابه الوحيد « النوادر » لم يصل إلينا كاملاً . ومن يستعرض تراثه الذي روى فيه عن هذا العدد الكبير من أهل البادية يجد فيه اطلاعاً واسعاً ، واتصالاً عميقاً بسكان الجزيرة ، وحُباً صادقاً لهم ، وعناية بأنسابهم . وحرصاً على تسجيل ما يعرف منها ، مما يدل على شدة عصبية للعرب والعربية ، في عصر استفحلت فيه دعاوي الشعوبيين ، وهو تعصب يمليه الانتساب اليهم على الأغلب . وهكذا يكون انتسابه إلى العرب أقرب إلى الصواب في رأينا^(١) .

وكان أستاذنا — حفظه الله — قد ذهب أيضاً إلى أن الهجري من أهل القرنين الثاني والثالث : ثم عاد فَرَجَّحَ أن يكون من أهل القرنين الثالث والرابع ، ونحن لا نجد بأساً في هذا التحول من رأي إلى رأي كلما اقتضته قناعة موضوعية ، بل نحن نعدّه امتيازاً في رجل الفكر .

وكنّت قد تجرأت أنا مرة أخرى فذهبت إلى رأي مخالف يرجح أن تكون حياة الهجري في غضون القرن الثالث لا تتجاوزه إلى غيره ، وكانت لي على ذلك أدلة ذكرت منها أربعة لم أدّع لها العصمة من الضعف أو الخطأ^(٢) !

وإذا كان لي أن أتمنّى شيئاً هنا فأنا أتمنّى ألا يكون لهذا الهاجس الذي خطر لي نصيب من الصحة ، ذلك أنه على الرغم من أن الآباء يسؤوهم في الغالب أن يعرض الأبناء لآرائهم ولو بنقد بريء من الغرض السيء فيركبون في ردهم مركب تعزيز خشن ، أقول : إنه على الرغم من ذلك فأنا لا أريد لأستاذنا الشيخ الجاسر أن يساقط على هذا النحو من قنّته !

ويقع في باب التعزير الذي تنقبله من آباءنا برحابة صدر أن تتهم زيارتي لأستاذنا العلامة بأنها وقعت للانتفاع برأيه في اختيار موضوع « للماجستير » وأن ما دار بيننا من حديث في هذا الصدد أقتعه بأنّي رجل بعيد عن الجو العلمي !

أما لماذا أقتنع بذلك ؟ فلأنّي رجوته أن يكون الموضوع في الأدب أو اللغة وكان عليّ أن أحصر الموضوع في جانب من جوانب هذين العلمين ! وليس من الوقاحة أن نضع هنا كلمة « فتأمل »^(٤) !

والحق أنني يوم زرتّه في بيروت وكان ذلك عام ١٩٧١م فما أذكر ، كنت قد حصلت على درجة (الماجستير) في الآداب عن رسالتي التي أدّرتها حول « الشيبّي الكبير » فلا معنى إذن لأن أرجو موضوعاً لهذه الدرجة ، ولعل الأقرب إلى الواقع الذي نسيه علامتنا الفاضل أن زيارتي تمت للانتفاع بملاحظات له تناهي إليّ أن المواضع في تعليقات الهجري ونوادره كانت تستهدف لها طوال ربع قرن على وجه التقريب . وكان ذلك بعد أن ارتضيت تكليف أستاذه الكبير الدكتور رمضان عبد التواب في أن يكون موضوعي للدكتوراه تحقيقاً لمخطوطة هذه التعليقات .

والواقع أنني وجدت في علامتنا المفضل من عونہ الكريم في هذا الصدد ما شجعني على المضي في هذا الطريق الشائك ، ولا أجد غضاضة في أن أعترف مرة أخرى بأني انتفعت بمجهوده كل الانتفاع أما أنني سطوتُ على هذا الجهد وادعيته لنفسي وزعمت اطلاعي على كل مصادره دون الرجوع إليها فذلك هو الذي أجد غضاضة في أن أعترف به لأنه لم يقع !

هاجس آخر يخطر لي هنا كذلك الذي خطر لي هناك . أكان عليّ أو على غيري أن ننتظر ربع قرن آخر ليخرج كتاب للعلامة الجاسر في تحديد أنساب المخطوطة ؟ وربع قرن آخر ليخرج كتاب له في تحقيق نصوصها اللغوية (٥) ؟

صحيح أن نوادر المهجري وتعليقاته مخطوطة بالغة الصعوبة ، من حيث فهمها ، وصحيح كذلك أن تطاول الزمن أمر منطقي وسائع في تحقيقها على الوجه الأكمل ، ولكن الإسراع في وضع هذه النوادر المجهولة بين أيدي القراء ولو في محاولة تتعثر بعض التعثر هنا وهناك - أمر لا يعدم هو الآخر منطقاً مقبولاً .

ويظلّ اللقب الأجنبي وتظلّ الأخطاء !

أما اللقب فإن كاتب هذه السطور لم يرتزق به فهو بحمد الله مستغن بالقليل الذي يملكه ، وتلك حقيقة يعرفها الإخوة هنا في العراق . ثم هو لم يدخل الجامعة حتى هذه اللحظة ، وقصته مع اللقب قصة الطموح الذي يرفع بصاحبه إلى أن يستزيد أبداً من المعرفة . واستغفر العلامة أن أنخيل له مع اللقب قصة الذي يمعن في الكراهية لأنّ المحبوب يمعن في الصدود !

وأما الأخطاء فحسي أن أكون واحداً من هؤلاء الذين يشويهم المحقق الكبير على السّفود حتى كأنه يتلذذ بأن يقال فيه : أرايتُم هذا الشواء البارء ؟ :

يقرأ الدكتور صالح أحمد العلي (٦) ، مثلاً نصاً يرد في كتاب « السمهودي » محرّفاً فلا يهتدي إلى وجه الصواب فيه كما يقول الأستاذ الجاسر ! يقرأ : « اثبات الهمزة » وهو الصحيح « آيات الهمزة » وهو المحرف . وتجرح هذه القراءة إلى أن يقع في خطأ تاريخي يعرضه المحقق الكبير بالتفصيل في ص ٢٦٥ من كتابه « أبو علي المهجري وأبحاثه في تحديد

المواضع» وبأدب بالغ ، فلماذا تقوم قيامة العلامة الجاسر ولا تقعد إذا قرأت أنا بدلاً من «قف يا فتى» «قف ناقتي» !

أليس الجرحان من شَجَرَ ، والدمعان من واد ، كما يقولون ؟

ويحدد (الدكتور ابراهيم السامرائي) وهو من علماء اللغة (اللامعيين) في العراق — وفاة القاسم بن اسماعيل النحوي في حاشية (طبقات الأدباء) للسرياني بعام ٣٤١ هـ فيصَحِّح الشيخ الجاسر هذا التاريخ فيذهب إلى أنه ٢٤١ هـ ويعلل رأيه بأن القاسم هذا لم يعيش إلى الزمن الذي يفترضه السامرائي ، لكونه أخذ عن الأصمعي ، وتزوج التوزي أمه ، وكان أخيراً من أقران المُبرِّد ...

فلماذا لا يخطئ كاتب هذه السطور في تحديد زمان أو موضع أو نسب ؟

ويزعم (الدكتور الصديقي) الذي يمنحه الشيخ الجاسر طائفة من بركاته إضامة من أمداحه : أن «الحموي» في «معجم الأدباء» ذكر أن المهجري ألف كتاباً باسم «البادي» وأضاف أن ياقوتاً لا يعرف شيئاً عن هذا الكتاب !

ويعلق العلامة الجاسر على ذلك فيقول : «ومع تنبئي لكتاب «معجم الأدباء» لياقوت لم أجد ما ذكره (الأستاذ الصديقي) عن هذا الكتاب لا في ترجمة المهجري ولا في ترجمة غيره من التراجم والنسخة التي طالعها هي التي طبعت في مصر ووضعت فهارسها بغير ترتيب و(فوق كل ذي علم عليم) (٧) .

في أي باب من أبواب الأمانة العلمية إذن تقع هذه الفعلة ؟ ولماذا حين يتهم كاتب هذه السطور بأقل خطراً من هذا لا يرد على لسان العلامة الكبير و(فوق كل ذي علم عليم) إبراء للذمة ؟

ومع ذلك فنحن لا نرغب في أن نتهم هذه «المجاملات» بأنها تصدر عن اللسان ولا تنبع من القلب وأنها تشتهر أكثر مما تطهر ! نعم نحن لا نرغب في ذلك وإن ظلت تغرينا به وقائع يصعب أن نُحمل على الصحة .

سيدي العلامة ؟

تستوضح (الدكتور حسين نصار) عن عام ٢٧٥ هـ الذي يحدده لوفاة (عرام بن

الأصبع) فيجيبك في رسالة بتاريخ ١٩٦٧/١١/٣ بأن ذكر عرام يكثر في النسخة المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العراقي والمصورة من (مكتبة السيد حسن الصدر). وتتمجل أنت النقد فتسجل على الرجل أنه ينسى ذكر نسخة الكتاب الذي يتحدث عنه وتضع ذلك في معقوفتين ! ولو برئت الذمة لوجدته يتابع قائلاً في رسالته : « وخاصة في حروف العين والغين والضاد والسين وما يرد في هذه النسخة من العين » لقد نسي الدكتور الفاضل أن يضع العين الأخيرة بين قوسين أو هلالين ليشير بها إلى (عين) الخليل . والا فما معنى العين هنا اذن ؟

أُعِيذُ علامتنا المفضل أن يقال فيه : إنه وراء خبرته الطويلة في التحقيق تمكنت منه علة التشهير بالخطأ ولم يعد في طوقه أن يتخلص من (أناها) المريضة !

وبعد فقد نسي أن تُتهم بقلة الفهم وضحالة الثقافة وضعف التحقيق أما أن يقف علامتنا عند « مثني نجره بالألف » سهواً فيرى فيه كيباً من الضعف يطفح فذلك الذي نحن منه على حذر الاتهام بالمثل .

اتنا لن نقول في أخطاء علامتنا المفضل إلا أحسن القول ، فهي في نظرنا من التطبيع ، وان ابتعدت في الغالب عنه (٧) .

سنقول : ان من التطبيع أن يرد في الصفحة الخامسة والثلاثين من « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » ما نصّه : (....) بينما يروي عن أكثر من اثني عشر راوٍ من هذيل في أكثر من خمسة وأربعين مرة) .

يريد النص أن يقول : (اثني عشر راوياً) ، (وخمسة وأربعين مرة) وسنقول : أن من التطبيع أن يرد في الصفحة نفسها ما نصّه . (فقد روى عن أكثر من أربعة عشر راوٍ من هذه القبيلة) .

يريد النص أن يقول : أربعة عشر راوياً .

وسنقول : إن من التطبيع أن يرد النص الآتي في الصفحة الحادية والستين من الكتاب السابق : « شيخ بن جني وتلميذ ابن دريد » .

يريد أن يقول ابن جني باثبات الألف إذ لا يعرف وجه للتفريق في إثبات ألف ابن وحذفها في الموضعين^(٨) .

وسنقول : ان من التطبيع أن يرد في الصفحة الثالثة بعد المئة النص الآتي :
(ولن كان اللغوي الأندلسي العظيم ابن سيده قد استفاد منه ونقل عنه كثيراً إلا أن غيره من المؤلفين في اللغة) .

سنقول ذلك وان افتر النص فيما يبدو إلى جواب للقسم أو جواب للشرط ولم يكن للاستثناء أو لاستدراك معنى واضح فيه وسنقول : ان من التطبيع أن ترد «أنماط» في قوله : (ونرى من ذلك أنماط مختلفة) غير منصوبة وسنقول إن من التطبيع أن يشبه في الرعب بـ(سيف أبي زيد الهلالي) بعد أن استراح الإنسان فوق صدر القمر ! وسنقول : إن افتقار المحقق إلى الحس البلاغي لا ينطوي على خطورة في مجال التحقيق موصولاً وصلاً وثيقاً جداً باللغة .

سنقول كل ذلك دفاعاً عن سمعة العلامة وحرصاً على ألا ترقى إليها الشكوك ولكننا كنا نرجو ألا ينحسر في النقد والتوجيه معركة الأخلاق : أخلاق العلماء ألم يكن أشرف من هذا كله لو كتب في «العرب» يقول : (بني هذه مستدركات على تحقيقك للتعليقات والنوادر أرجو أن تأخذ بها في الطبعة الثانية تعزيزاً للتراث واحياء له على أحسن وجه) .

إذن لظل الشيخ الجاسر راهب فكر حقاً لا تستزله من صومعته النقية لحظات ضعف تشوه الروح وتمسخ الفضيلة^(٩) .

بغداد : حمود ع. . الأمير الحمادي

التعليقات على الرسالة :

(١) لم أقل إن المهجري لم يكن عربياً خالصاً العروبة وإنما قلت في كتاب «أبو علي المهجري» — ص ١٧ — ما هذا نصح : (ونميل إلى أن المهجري لا ينتسب إلى قبيلة من قبائل العرب ، وأنه قد يكون من الموالي) انتهى .
فأنا لم أجزم بهذا بحيث يقال عني : (قد ذهب) الخ ولم ترد كلمة (خالص العروبة) في كلامي ولم أقل : (وإنما كان واحداً من الموالي) ولكن قلت : — ص ١٧ : (وقد يكون من الموالي) ومنشأ الرسالة يريد المخالطة بين الصيغتين ويحاول ستر هذه المخالطة بقوله بعد هذا : (ونحن ما نزال نقل كلام الأستاذ) والواقع أن ما فعله محرف ومغتر .

- (٢) ص ١٥/١٤ — من الجزء الأول من «التعليقات والنوادر» .
- (٣) ص ١٨/١٦ — نفس المصدر . وأقول : أنونا حائر في تحديد زمن المهجري فثارة يجعله يروي عن ذي الجادين الزني الذي توفي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك — فهو على هذا من أهل القرن الأول المهجري . وأخرى يجعله يروي عن أحد معاصري كافور الأنشيدى — من أهل القرن الرابع . وثالثة فإنه يجزم بأنه لم يتجاوز القرن الثالث .
- (٤) ولا أزال أعتقد أن الرجل الذي عبث بكتاب المهجري أبعد ما يكون عن الأمر الذي تصدّى له ، وشواهد عمله تغني عن الاستشهاد برأي أستاذنا الجليل إبراهيم السامرائي وقوله عنه : (لقد اقتحم الدكتور هذا الأمر اقتحاماً لم يتهدأ له ، ولم يحسب له الحساب) — العرب — س ١٥ ص ٨٠٥ .
- (٥) ومن قال هذا ؟ لقد كنت منذ اطلاعي على المخطوطة أبحث من أنوسم فيها القدرة على تحقيق كتاب المهجري ، للقيام بهذا الأمر ، الذي لا يسارع بالإقدام عليه — بدون استعداد — سوى جاهل بقيمة هذا العمل ، أو إنسان له غاية خاصة من ورائه .
- (٦) هو من علماء التاريخ في العراق ورئيس مجتمعه العلمي اليوم (هذا ما قال صاحب الرسالة) .
- (٧) علق صاحب الرسالة على هذا قائلاً : (فأنتي أن أشير في كتاب «التعليقات والنوادر» إلى أن هذه الملاحظة هي للشيخ حمد وليست لي) وأضيف : ما أكثر ما فأنك وستكشف لغريك بمن يقارن بين مؤلفي عن المهجري ، وعن مقدمته أنك لو قبل لكل نصٍّ أوردته ، ولكل رأي أبديته — عُدْ إلى مكانك لم يبق لك شيء .
- (٨) لا ... أنا أسر حين أعرف أخطائي ، لأنني بحاجة إلى إصلاحها ، ولست بحاجة إلى جمالة أو خداع . ولهذا فأني أعترف بأن ما ورد هنا هو خطأ . وأحمد الله على أنني سريع الفطنة إلى الحق عندما يتضح لي ، وأنتي بلغت حالة أحسن الراحة عندما أصلح خطأ وقع مني ، أكثر من إحساسي بمن يحاول بإبراز ما يقع مني من أخطاء على غير حقيقتها لأمر من الأمور .
- (٨) الواقع أن الإملاء في مقال الأستاذ الجاسر المنشور في «العرب» يقع لا قرآنياً ولا عادياً ... كذا وردت الحاشية في الرسالة . والواقع أنني لا أتقيد بقواعد الإملاء في بعض الكلمات ، لأنني أرى القواعد وسيلة لصيانة اللسان عن الخطأ ، وليست غاية ، فالغايات مقدمة على الوسائل ، وهناك من متقدمي العلماء من يرى كتابة الكلمة كما تنطق ، وفي المخطوطات القديمة أمثلة كثيرة لذلك .
- (٩) لست بحاجة إلى أن ينظر اليّ أحد النظرة التي لا أستحقها ولا أن أظهر أمام من يثير في نفسي بسوء عمله — بالنسبة إلى تراث الأمة — بمظهر المتهاون المتساهل . ولقد تجاوزت — فباكتبت — ما جاء في مقدمة الكتاب المنشور ما يتعلق في خاصة ، وتناولت العمل المتعلق بما أرى الغيرة عليه ، والحرص على صيانه من أوجب واجبات طلبة العلم .
- ومع كل ما تقدم فأنا بَشَرٌ أخطئ . وأصيب ، وأسوأ ما أنصف به طغيان العاطفة عند اشتداد سورة الغضب ، طغياناً قد يجنب عني رؤية الطريق السوي ، والكمال لله جل وعلا ، والعصمة لأنبيائه .

جدة القديمة .. وسكانها

[نشرت في جريدة «المدينة» في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٢]

سعدت بتلقي الدعوة الكريمة من الأخ المهندس محمد سعيد فارسي — أمين مدينة جدة — لزيارة مركز المعلومات والأبحاث في تلك المدينة ، حين قرأت جريدة المدينة عدد يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الثاني سنة ١٤٠٢ هـ .

وقد أحسست بالعجز عن أداء ما يجب أن أقابل به تلك الدعوة من الشكر فاقصرت على التعبير عن جزء منه بكتابة كلمة لها صلة بالمركز المذكور حول تاريخ مدينة جدة — لأنني أدرك أن الأخ الجليل يسره أن يعرف الكثير مما يتعلق بتاريخها ، ولعل من أهداف إنشاء (مركز المعلومات والأبحاث) العناية بهذا الجانب الثقافي .

لقد قرأت في بحث مطول نشرته جريدة « الجزيرة » — ع ٣٤٤٦ في ١٥/٤/١٤٠٢ بعنوان : (جدة : أمس واليوم وغدا) ما نصّه : (ذكرت إحصائية أصدرتها إحدى الشركات الاستشارية بأن أول استيطان تمّ في مدينة جدة كان قبل سنة ٢٥٠٠) وأوضحت النشرة — بناء على مصادر تاريخية موثوقة بها — بأن هذا الاستيطان الأول كان من قبل قبيلة (كوذاه) ثم تبعها أقلية من التجار القدماء وأطلق عليها اسم (مدينة الميناء) والتي أحيطت بسور ، كما يعتقد بعض المهتمين بالتاريخ المتعلق بمدن السواحل بوجود (قبر حواء الاسطوري) في مدينة جدة ، وهو المشتق منه اسم هذه المدينة الحالي) .

إن أول ما يجب أن يلاحظ في هذا الكلام هو أن أغلب الشركات الاستشارية في بلادنا لا ينبغي التعويل على كثير مما تقدمه لنا مما يتعلق بتاريخ هذه البلاد لأنها تكون غالباً بعيدة كل البعد عن معرفة كل ما يتعلق بماضي هذه البلاد وهي قد تتدرع بملامسة عواطفنا وتترلف إلينا بما يرضينا هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فليس من اختصاص الشركات الاستشارية على ما أعلم أن تقدم لنا من الدراسات المتعلقة بماضيها ما نحن

أدرى به وكما قيل في المثل : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

وليس معنى هذا الابتعاد عن الاستفادة وعن تلقي العلم ممن هو أهل لأن يفيد وأن يأتي بعلم جديد .

ولكن الكلام الذي نسب إلى الشركة الاستشارية يدل على الجهل بتاريخ مدينة جدة وأن معلوماتها مما لا يصح الأخذ به .

وها هو الإيضاح :

جدة موجودة قبل آلاف السنين

إذا تعمقنا في دراسة التاريخ وجدنا نصوصاً كثيرة تدل على أن جدة كانت مسكونة منذ عصور موغلة في القدم ، وذلك شأن كل موطن يتصف بما يجتذب السكان ويرغبهم في الإستيطان من وسائل الحياة .

فوقع جدة في منبسط من الأرض على ساحل البحر وهذا المنبسط تتجه إليه سيول سلسلة من الجبال كونت منذ القدم لها مجاري (أودية) اتصفت بالخصب وكثرة المياه ولهذا أصبح ذاك السهل وما حوله من الأمكنة المرغوبة التي تتوفر فيها جميع الوسائل التي تجتذب الراغبين في الاستيطان يضاف إلى هذا وقوعها على شاطئ صالح لرسو السفن ، واقع بين أقاليم كثيرة السكان .

وإذا أردنا أن نستوضح التاريخ وجدنا أن اسم جدة موغل في القدم .

ف نجد إمام المؤرخين المسلمين محمد بن جرير الطبري ينقل في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن محمد بن اسحاق عالم السيرة المكي المشهور أن أهل التوراة قالوا : أهبط آدم بالهند وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة .

ويتكرر مثل هذا الخبر في كتب المتقدمين حتى تنشأ خرافة وجود قبر حواء في جدة والخرافات غالباً ما يكون لها أصل وان لم يكن وجود هذا الأصل دليلاً على صحتها من كل وجه .

ولكن الذي يستفاد من اقتران اسم حواء باسم جدة هو مجرد قدم الاسمين وأن هذين

الاسمين ذكرًا مقترنين في التوراة التي هي من أقدم الكتب ، فجدة عند مدوّني هذا الكتاب كانت معروفة فهي إذن في قدمها سابقة لتدوينه ومعروف أن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولكن التوراة وصلت إلينا محرفة ومغيرة .

وقال الشيخ عبدالله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في « مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم — في الكلام على أصنام قوم نوح — : فلما بعث الله نوحاً وغرق من غرق ، أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة ، فلما نصب الماء بقيت على الشط ، فسفت الريح حتى وارثها . وكان عمرو بن لحيّ سيد خزاعة كاهناً ، وكان له رثي من الجن ، فأتاه فقال عبّجّل السير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، اثت جدة ، تجد فيها أصناماً معدة ، فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب ، فأثي جدة ، فاستثارها ، ثم حملها حتى أوردها تهامة ، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه . انتهى .

وهذا منقول عن هشام بن محمد الكلبي ، صاحب كتاب « الأصنام » ومثله في « السيرة النبوية » لابن هشام .

وهذا الخبر يفهم منه أن جدة كانت معروفة منذ عهد الطوفان الذي يقدر مؤرخو العرب أنه وقع منذ نحو أربعة آلاف سنة .

والواقع أن تحديد تلك الأزمان بالنسبة إلى عصرنا قائم على روايات إسرائيلية لا يصح الاعتماد عليها ما لم تثبت بنص صريح من القرآن الكريم أو خبر صحيح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ووقوع الطوفان في عهد نوح عليه السلام من الأمور الثابتة بنص القرآن الكريم ، ولكن تحديد الزمن بينه وبين عصرنا هو موضع النظر .

والغاية الاستدلال على قدم جدة بالنسبة لعهد الطوفان .
وتحديد زمن عمرائها بـ (٢٥٠٠) أو قبل هذا بزمان يسير ليس صحيحاً .

سكنى قضاة في جدة

لا أدري ما هي المصادر التاريخية الموثوق بها التي ذكرت الشركة الاستشارية أن

الاستيطان الأول لمدينة جدة كان من قبل قبيلة (كوادة) ثم حددت الزمن بـ (٢٥٠٠) ؟!

ثم من هي قبيلة (كوادة) ومن الذي ذكرها من المؤرخين وما هي مصادر التاريخ الموثوق بها التي ذكرت ذلك ؟!

لقد ذكر المتقدمون أن من أقدم من سكن مدينة جدة قبيلة قضاة .

وأكد أجزم أن اسم (كوادة) ما هو سوى تحريف لاسم (قضاة) فحرف (الضاد) لا وجود لها في غير اللغة العربية فإذا حاول الأعجمي نطقها أبدلها (دالاً) كما أن الأعجمي يبدل (القاف) (كافاً) عندما ينطق بكلمة عربية فيها هذا الحرف .

واستيطان قضاة في جدة ونواحها أمر معروف عند قدماء مؤرخي العرب .

وتحديد زمنه بنحو (٢٥٠٠) من عصرنا تحديد ينقصه الدليل ، فقد يكون أكثر أو أقل من ذلك التحديد ، وليس بين أيدينا من المصادر ما يحدد لنا أزمان استيطان القبائل العربية ، لمازلمهم في جزيرتهم في العصور التي سبقت العهد الإسلامي .

قال أبو المنذر هشام بن محمد المتوفي نحو سنة (٢٠٤ هـ) : ويحده ولد جدة بن جرم ابن ربان بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاة ، فسمى جدة باسم الموضع . وقال : ولما تفرقت الأمم عند تبلبل الألسن صار لعمر بن جنادة بن معد بن عدنان وهو قضاة ، لمساكنهم ومراعي أغنامهم ، جدة من شاطئ البحر وما دونها ، إلى منتهى ذات عرق ، إلى حيز البحر ، من السهل إلى الجبل ، فترلوا وانتشروا فيها ، وكثروا بها .

ونقل هذا كثير من المتقدمين كأبي عبيد البكري في كتاب «معجم ما استعجم» وياقوت الحموي في كتاب «معجم البلدان» وغيرهما ممن لا نطيل بذكره .

جدة ومدينة الميناء

ثم القول بأنه تبع (كواده) أقلية من التجار القدماء وأطلق عليها اسم مدينة الميناء والتي أحيطت بسور .

ليس لهذا القول فيما أعلم من أصل تاريخي يصح التعويل عليه .

ولم أر فيما اطلعت عليه من المؤلفات من أطلق اسم (مدينة الميناء) على جدة .
 يذكر المؤرخون المتأخرون أن الفرس استوطنوا جدة وأن منهم تجار ولكن تاريخ
 استيطان هؤلاء لم يحدد زمنه تحديداً دقيقاً ومجمل ما قالوا — على ما في كتاب «حسن
 القرى» لابن فهد: — في كلامه على جدة : (وبها آثار قديمة تدل على قدم
 اختطاطها ، وأنها كانت مدينة كبيرة ، ويذكر أنها كانت من زمن الفرس ، سكنها سلمان
 الفارسي وأهاليه ، لأنهم كانوا قوماً تجاراً وبنوها . ويقال : إنها بناية جروبر وبرين ؟)
 ابن ذكرشهر يار بن بهرام ، والمشهور أنها من بنين الفرس ولما بنوها سوروها أتقن بناء ،
 فجعلوا عرض الحائط عشرة أشبار ، وجعلوا له أربعة أبواب — ثم ذكرها — انتهى .
 فهو أورد الخبر بصيغة (يذكر) و(يقال) .

وما أرى الفرس استقلوا بسكنى البلدة وحدهم .

وأول من رأيته أشار إلى سكنائهم هو رحالة فارسي يدعى ابن المجاور قدم جدة حول
 سنة ٦٢٨ وقد طبع كتابه أحد المستشرقين ونسب الكتاب خطأ إلى سمي له يدعى ابن
 المجاور دمشقي متأخر عن عصره — وقد أوضحت هذا منذ نحو ربع قرن من الزمان في
 جريدة «البلاد السعودية» .

تسمية جدة

القول بأن اسم جدة مشتق من وجود قبر حواء الأسطوري في هذه المدينة قول باطل
 فجدة موجودة قبل نشوء هذه الخرافة .

فالاسم مشتق من جد النهر أو البحر والجد هو الشاطئ ، قال صاحب «القاموس»
 (الجد) شاطئ ، النهر كالجد والجددة بكسرهما ، والجددة بالضم ، ووجه الأرض كالجددة
 بالكسر — إلى أن قال — : وبالضم ساحل البحر بمكة كالجددة وجددة لموضع بعينه منه)
 وكذا قال غيره من علماء اللغة ، بل منهم من أشار إلى قدم اسم (الجد) وأنه مأخوذ من
 لغة الأنباط — كالأصاغاني في كتاب «التكملة» .

ولم أر أحداً من علماء اللغة ولا من العلماء المتقدمين من قال بأن اسم جدة مشتق

من حواء التي هي جدة العالم وأقدم من رأته ذكر هذا هو الشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكي المتوفي سنة ٨٨٥ هـ فقد نقل عنه حفيده الشيخ محمد بن عبد العزيز بن فهد المكي في كتابه «حسن القرى في أودية أم القرى» نقل عنه أنه ذكر في مسودة «بلدانياته» أن سبب تسميتها بجدة لأنها نزلتها أم البشر حواء ودفنت بها فهي جدة جميع العالم .
ولكن ابن فهد الحفيد بعد هذا القول أورد كلام ابن الأثير في «النهاية» الجدة :
بالضم شاطئ النهر والجدة أيضاً وبها سميت المدينة التي عند مكة جدة . انتهى ، فكأنه لم يرتض قول جده عمر بن فهد .

جدة والشَّعْبَةُ

وقبل أن أختم هذا البحث أحب أن أشير إلى خطأ وقع فيه كثير من المؤرخين القدماء وهو القول بأن أول ما اتخذ جدة ميناء لمكة هو عثمان بن عفان — رضي الله عنه — سنة ٢٦ قال مؤرخ مكة تقي الدين القاسبي في «شفاء الغرام» : جدة الآن ساحل مكة الأعظم ، وعثمان — رضي الله عنه — أول من اتخذها ساحلاً بعد أن شاور الناس في ذلك لما سئل في سنة ست وعشرين من الهجرة ، وكانت الشعبية ساحل مكة قبل ذلك .

فالمفهوم من هذا أنها قبل عثمان لم تكن ميناء لمكة وهذا ترده أخبار كثيرة تدل على اتخاذها ميناء قبل عهد عثمان .

ففي عهد قريش لما أرادوا بنيان الكعبة نقلوا أخشاباً من سفينة غرقت في ميناء جدة للروم على ما جاء في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام — ج ١ ص ١٩٣ — .

وروى ابن هشام في كتاب «السيرة النبوية» في الكلام على فتح مكة في سنة ثمان من الهجرة — عن عروة ابن الزبير ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ، ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك . فقال صلى الله عليه وسلم : هو آمن قال : يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمتني . قال : صدق ، قال : فاجعلي فيه بالخيار شهرين . قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

وذكر ابن سعد في كتاب « الطبقات » في حوادث سنة تسع من الهجرة . ما نصه : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل جدة ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزر في ثلاث مئة ، فأنهى إلى جزيرة ، وقد خاض إليهم البحر ، فهربوا منه .

فهذه الأخبار وغيرها تدل على أن جدة كانت ميناء لمكة قبل عهد عثمان — رضي الله عنه — .

قد يقال بأنها هجرت — فبا بين سنتي ٩ و ٢٦ — وفي هذه الحقبة القصيرة — ١٧ سنة — اتخذت الشعبية ساحلاً ، ثم إن عثمان رضي الله عنه اتخذ الشَّعْبِيَّة في سنة ٢٦ ميناء لمكة .

— وعن موقع الشَّعْبِيَّة أنظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة » لكاتب هذا —

وبعد فإن الفضل في استعادة هذه المعلومات يرجع لذلك الشهم الكريم الذي حياني على البعد ، وأفضل علي بالدعوة لزيارة مدينة أوضحت في كلمة تحدثت بها في (جامعة الملك عبد العزيز) مدى تعلقي بها ، وجانباً من ذكرياتي الحبيبة إلى نفسي أثناء إقامتي فيها .

انه الأخ الكريم المهندس الأستاذ محمد سعيد فارسي — أمين مدينة جدة — فإليه مع تقديري واعترافي بفضلله أوجه هذه الكلمة تعبير شكر وعرفان بالجميل .

حمد الجاسر

العُقَيْر .. أقدم ميناء للأحساء

... ولعلكم تُمَيِّدُونَ قُرَاء «العرب» بذكر أقدم ميناء في منطقة الأحساء . فقد جرى نِقَاشٌ في الموضوع ، حيث ذكر أَحَدُ الْمُعَيِّنِينَ بِالْأبحاث التاريخية أنه (عَيْنِينَ) الْجُبَيْل الآن .

القטיפ : جواد عبد الحميد

أَرَى أَنَّ أَقْدَمَ ميناء للأحساء عُرِفَ في العهد الإسلامي هو الْعُقَيْرُ ، الذي لا يزال في موانئ تلك المنطقة ، إلا أنه ضعف بعد عُمران الظهران ، وإيجاد موانئه القوية ، كالدمَّام والخَبَر ورأس ثُورَة وغيرها .

وما يدلُّ على ما لِلْعُقَيْر من قَدَمٍ ومن أثرٍ في الحياة الاقتصادية باعتباره أهمَّ موانئ الأحساء وأقواها ما ورد في رسالة ابن الرَّجَاج الْعُبَيْدِيِّ حين استولى على جزيرة أوَّال (البحرين) ونزعها من القرامطة ، واستقلَّ بها فكتب إلى الدولة العباسية في بغداد ، يَسْتَعِجِدُهَا لِيُجَارِبَ القرامطة وَلَكِنَّ تِلْكَ الدَّولة كَانَتْ مشغولة بخلافاتها الداخلية ، فكانت أضعف من أن تُنْجِدَ أَحَدًا ، وذلك في العقد الثالث من القرن الخامس .

جاء في تلك الرسالة التي نشرتها «العرب» س ١٦ — ص ١٦٩ — ما نصُّه : (وقد تَجَرَّدَتْ لِمَنَاصِبِ القرامطة — خَدَلَهُمُ اللهُ ، ومحاربتهم في ذات الله ، فَعَمِدَتْ إلى طرفٍ من أطراف مملكتهم يعرف بـ (العُقَيْر) وهو دِهْلِيزُ الأحساء ، ومَصَّبُ الْخَيْرَاتِ مِنْهَا ، وكثرة الانتفاعات التي جُلُّ الاعتماد عليها ، فَخَرَّبَتْهُ ، وبالحَضِيضِ الْأَسْفَلِ الْحَقِيقَةِ ، وَقَطَعَتْ الْمَادَّةَ عَنْهُمْ ، وَضَيَّقَتْ فِجَاجَ مَا كَانَ يَتَسَّعُ لَهُمْ) انتهى .

فوصفه بأنه دِهْلِيزُ الأحساء ومَصَّبُ الْخَيْرَاتِ مِنْهَا — كان ذلك قبل ما يقارب عشرة قرون .

وقد تحدثت عن الْعُقَيْر — في الجزء الثالث من (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم

الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وها هو نصٌ ما وردَ في ذلك الكتاب :

العُقَيْر :

— بضم العين وفتح القاف بعدها مثناة تحتية ساكنة وآخره راء تصغير العُقَر ، ومعنى العقر على ما نقل ياقوت عن الخليل : سمعت أعرابياً من أهل الصَّمَّان يقول : كلُّ فُرْجَةٍ تكون بين شَيْئَيْنِ فهي عَقَرٌ وَعُقَرٌ — لغتان — قال : ووضع يَدَيْهِ على قائمَتَي المائدة ونحن نتغذى ثم قال : ما بينها عَقَرٌ . قال : والعقر القصر ، الذي يكون معتمداً لأهل القرية قال كَيْبُذ :

كَعَقَرِ الهاجرِيَّ إِذَا ابْتَنَاهُ بِأَشْبَاهِ حُذَيْنَ عَلَى مَثَالِهِ
— وذكر معاني أخرى للعقر —

وفي «معجم البلدان» : العُقَيْرُ : قرية على شاطئ البحر ، بجذاء هَجَرَ . والعُقَيْرُ باليمامة نخل لبني ذُهَل بن الدئل بن حَنْفِيَّة ، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي ، الذي كان واليَّ اليمامة في أيام بني أُمَيَّة .
والعُقَيْرُ أيضاً : نخل لبني عامر بن حنيفة . كلاهما عن الحَفْصِيِّ .

وفي رسم (العقيرة) قال : وقال الحازميُّ العُقَيْرَةُ : مدينة على البحر ، بينها وبين هجر ليلة انتهى .

ولكن الذي في كتاب الحازمي في (باب الفقير والفقير والعُقَيْر) : وأما الثالث أوله عين مضمومة ثم قاف مفتوحة — : مدينة على البحر بينها وبين هجر يوم وليلة . انتهى والحازميُّ نقل نصًّا ما في كتاب نَصْرِ فالاسم (العقير) لا (العقيرة) .

وقال الأزهري^(١) : العُقَيْرُ قَرْيَةٌ على شاطئ البحر ، بجذاء هجر . انتهى .

ومثله في كتاب «التكلمة» للصاغاني^(٢) .

وقال في كتاب «المناسك» وهو يتحدثُ عن البحرين^(٣) : وبالعُقَيْرِ مَنِيرٌ لبني الرِّجَاف ، من عبد القيس ، وهي فرضة الصَّيْنِ وَعُمَانِ والبَصْرَةِ واليمن . على ساحل البحر . انتهى .

وبنو الرّجاف ورد ذكرهم في «شرح ديوان ابن مقرب»^(٤) : الزحاف وساق نسب رئيسهم : العريان رئيس بني مالك ، وهو العريان بن إبراهيم ابن الزحّاف بن العريان ابن مورك بن رجا وساق بقية النسب — ولا شك أن إحدى الكلمتين مصحفة عن الأخرى .

وقال الهمداني — بعد كلامه على القَطِيف^(٥) : (ثم العُقَيْر من دُونه ، وهو ساحل وقرية دون القَطِيف ، من العُطَف ، وبه نخل ، ويسكنه العرب من مُحارب) انتهى . ومُحارب من العمور من عبد القيس .

ويُظْهر من التَّصْوص المتقدمة أنَّ العُقَيْر كانت في القرن الثالث وما قبله أقوى منها في القرن الرابع ، فصاحب كتاب «المناسك» يَعدُّها من مَنابر البَحْرَيْن ، أي بلدة ذات إمارة ومُنِير ، وفُرْصَة كبيرة .

ويصفها نَصْرٌ بأنها مدينة ، وهو ينقل عمن قبل زَمَنه .

أما الازهريُّ وهو ممن عرف المنطقة ، فيقول عنها إنها قرية .

ولا عَرَابَة في كل ما تقدم فالقرى تقوى وتَضَعُفُ وتختلف أحوالها وتتغير بتغير ظروف السكان وأحوالهم .

وليس من المستبعد أن تكون العقير في عصر ما قبل الإسلام كانت على درجة من القوة ، فالعالم الأثري الأمريكي (كرونوال) شاهدَ بقربها آثاراً ، بحيث ظَنَّ أنها (الجرعاء) التي ورد ذكرها في بعض المؤلفات القديمة^(٦) .

وذكر ياقوت في «معجم البلدان» أن سابور ذ الأكتاف نقل العرب من شَطَّ القُرَات إلى بَقَّة والعُقَيْر^(٧) .

وفي خلال القرن الثالث وأول الرابع — أثناء حكم القرامطة لهذه البلاد . كانت ميناء العُقَيْر المنفذ الوحيد ، لاتصال القرامطة ببحراً بالعالم الخارجي ، في شؤون التجارة ، بعد استيلاء بني العياش على موانئ الخط (القطيف) .

ولهذا كان من أسباب القضاء على حكم القرامطة أنه لما استولى أبو بهلول العوام بن

محمد بن يوسف بن الزجاج من عبد القيس — على جزيرة أوال (البحرين) ، في عشر
الثلاثين بعد الأربع مئة ، خَرَّب مِيناءَ العُقَيْر ، أثناء محاربته مع القرامطة .

وكانت في ذلك العهد ، على حالة قوية من العمران والقوة ، على ما يفهم من
وصف ابن الزجاج لها ، بأنها (دهليز الأحساء ، ومصبُّ الخيرات منه إليها) على ما جاء
في الرسالة التي بعث بها إلى ديوان الخلافة العباسية .

وهذا نص ما جاء في تلك الرسالة ^(٨) :

(وقد تَجَرَّدْتُ لمناصبِ القرامطة ، خذلهم الله ، ومحاربهم في ذات الله ، فَعَمِدْتُ
إلى طرف من أطراف مملكهم يُعْرَفُ بـ (العُقَيْر) وهو دِهْلِيزُ الأحساء ، ومَصْبُّ الخيراتِ
منه إليها ، وكثرة الانتفاعات التي جُلُّ الاعتماد عليها ، فخرَّبْتُه ، وبالحضيض الأسفلِ
أَلْحَقْتُه ، وقطعتُ المادَّةَ منه عنهم ، وَضَيِّقْتُ فجاجَ ما كان يَسَّعُ لهم وعليهم ، وحميت
ارتفاع موارد ارتفاعات دُورِها .. وَعَدَوْتُ بالمدد إلى ناحية (الخط) وتعرف
بـ (القَطِيف) وقد حصل فيها صَنَمٌ من أصنامهم) إلى آخر ما ذكر .

ثم لما استولى ابن عيَّاش ^(٩) على القطيف وجزيرة أوال ، وأزال منها حكم ابن
العَوَّام ، جرت بينه وبين عبدالله بن علي العيوني الذي أزال حكم القرامطة من الأحساء
— جرت حروب ، كان النصر فيها حليف عبدالله بن علي ، الذي أخرجه من
القطيف ، ثم تبعه جيشه بقيادة ابنه الفضل بن علي إلى جزيرة أوال ، فانكسر ابن
عيَّاش ^(٩) ، وهرب إلى العُقَيْر ، وجمع جُنُوداً من البوادي ، وتوجه بهم إلى القطيف ،
فلقيه عبدالله بن علي في الطريق ، فقاتله ، فَقَتَلَ ابنَ عِيَّاش في هذه الواقعة وتفرق
جنده ، وتمَّ استيلاء عبدالله بن علي على القطيف وجزيرة أوال — على ما جاء في « شرح
ديوان ابن مقرب » في قصيدته الميمية ، عند قوله :

وَلَمْ يَنْجُ ابْنَ عِيَّاشٍ وَمُهْجَتُهُ بَمَ إِذَا مَا رَأَى النَّاطِرُ ارْتَسَا

— في أبيات مذكورة في رسم (ناظرة) .

وكانت العُقَيْر — إلى ما قبل العنور على النَّفْط في عشر الستين من القرن الرابع عشر
— أقوى مما هي عليه الآن . حيث كانت مِيناءَ الأحساء إلى سنة ١٣٦٥ .

ثم لما أنشئت الموانئ الحديثة في الدمام والخبر ورأس ثُورَة . استغني بها عن ميناء العقير ، فضعفت البلدة .

وللعقير ذكر في غزوات الدولة السعودية في أول عهدها ، فقد ذكر ابن غنّام ^(١١) — في حوادث سنة ١٢٠٢ ما نصه : سارَ سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه من أهل (الخرج) ، وقد أمره عبد العزيز أن يغزو (العقير) — في الأحساء — فلاقى في طريقه ، عند ماء (حرض) عويس بن غفيان ^(١٢) — العبد الفارس الشاعر المشهور — ومعه جيش لأهل البجامة ، وكانوا نحو الخمسين ، خرجوا من الأحساء يريدون الهجوم على بلاد المسلمين . فنازلهم سليمان بن عفيصان ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم انتصر عليهم وقتلهم جميعاً ، وأخذ ما معهم من إبل وسلاح .

وتابع سيره حتى وصل (العقير) ، فأخذ ما فيه من الأموال ، وأشعل في بيوته النيران . انتهى .

وجاء في كتاب «دليل الخليج» ^(١٢) بعنوان (بر العقير) :

العُقَيْرُ : وينطق الاسم الدارج (العجير) ^(١٣) وهو — أي بر العقير — جهة ساحلية في ولاية الحسا ويشمل ميناء العقير .

ويمتدُّ برُّ العقير على البحر من تل الزينات ، في الجانب الجنوبيِّ لمدخل دوحه رحوم ، حتى رأس الصغيرة وهي بُرُوزٌ من اليابس ، داخل إلى البحر في مواجهة الطرف الجنوبي لجزيرة الرخنونية ويبلغ طوله من شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الشرقي حوالي ٣٨ ميلاً وامتداده إلى الداخل غير معروف ولكنه قليل .

ونورد فيما يلي المميزات البارزة للساحل مرتبة حسب الترتيب الأبجدي :

رأس (أبو العجل) :

رأس يقع على بعد ٥ أميال شمال ميناء العقير .

تلُّ البرخة :

تلُّ صغير ، يقع على بعد ١٧ ميلاً جنوب شرق ميناء العقير في مواجهة جزيرة

الزخنونيّة ، في جهة طرفها الجنوبي .

ظَلُوم :

خليج يمتد من رأس القرية إلى شمال رأس المضبة ، في الجنوب لمسافة سبعة أميال تقريباً .

تَلُّ الحَمِيدِيَّة :

تَلُّ رملي يقع على بعد ميلين ونصف شمال غرب رأس (أبو العجل) .

جزيرة العظم (Idhaim) :

تقع على بعد ميل واحد شرق الطرف الجنوبي لجزيرة الزخنونية .

رأس المذبح :

رأس يكون الطرف الجنوبي لدوحة ظَلُوم ، يقع على بعد يتراوح من ٦ إلى ٧ أميال جنوب رأس القرية ، ومسافة ٧ أو ٨ أميال شمال غرب تل الحميدية .

دوحة المَمْلَحَة :

خليج يمتد من تل الزبنات على المدخل الجنوبي لدوحة دحوم إلى رأس القرية ، ويمتد مسافة ثلاثة أميال من الشمال إلى الجنوب ، ولا يمتد نحو الداخل .

رأس القرية :

يقع على بعد ٤ أميال جنوب الجنوب الشرقي لتل الزبنات ، وهو رأس يَكُونُ الطرف الجنوبيّ لدوحة المَمْلَحَة والطرف الشمالي لدوحة ظَلُوم .

رأس السفيرة :

رأس يقع على بعد ثلاثة أميال شرق تل البرخة ، وينتهي بَرِّ العَقِير جنوب هذا المكان .

جزيرة الزخونية :

على بعد ميلين من ساحل بر العقير وعلى بعد عشرة أميال شرق جنوب شرقي ميناء العقير .

ميناء العقير :

ويسميه الأتراك (أسكلة العقير) واسمه المألوف أو الدارج هو (العجير) ويقع ميناء العقير في بر العقير في ولاية الحسا على بعد حوالي ٦٤ ميلاً جنوب شرق مدينة القطيف و٢٤ ميلاً غرب الجنوب الغربي للطرف الجنوبي للجزيرة البحرين .
وتقع الهفوف على مسافة ٤٠ ميلاً تقريباً في اتجاه الجنوب الغربي .

ويقع العقير في جهة الجنوب الغربي لشاطئ خليج يمتد إلى الداخل في اتجاه الشمال الغربي مسافة حوالي أربعة أميال والمكان حول الخليج عند رأس (سيا) منخفض و يبلغ اتساع مدخل الخليج في ناحية الجنوب مسافة تتراوح ما بين ٢٠٠ — ٣٠٠ ياردة كما يتراوح عمق قناة مدخل الخليج وجزء منه نحو الداخل ما بين ٣ و ٤ قامات ، ولكن الخليج ضحل في بعض أجزائه ، وخطر بالنسبة للسفن .
والمباني الوحيدة في العقير هي قلعة ومكان يبيت فيه المسافرين كل واحدة مجاورة للأخرى .

والقلعة ذات مبانٍ قديمة و(الحان) متسع فسبح يبلغ طوله ١٥٠ ياردة وعرضه ٨٠ ياردة ويتكون من حيطان يبلغ ارتفاعها ١٦ قدماً وبداخل الحان ثلاث مظلات مسورة بحائط يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف .
ويوجد في الحان ثلاثة محلات تجارية صغيرة والمسافرون المارون بالعقير يستريحون في الحان .

ويوجد الماء في أحساء في أرض رملية في مكان يُسمى (أبو زهمول) جنوب غرب القلعة بقرىها ، وإذا كان المطلوب ماءً عذباً يمكن إحضاره من آبار (سواد) ؟ في منطقة البياض .

والعُقَيْر مِيناء واحة الحسا ، ويعتبر بطريقة غير مباشرة ميناء جنوب نجد ، وأهمُّ
الواردات هي الأرز والقهوة والسكر وحجم التجارة كبير ، ويقدر المتوسط بأحمال ٢٠٠
— ٣٠٠ جمل ترنحل من العقير كل أسبوع إلى داخل البلاد .

والعُقَيْر مركز لإدارة ناحية في قضاء الحسا . انتهى .

وكانت العُقَيْر — في الأزمان الأخيرة — قبل استتباب الأمن مَسْرَحاً لإغارة البدو
ونَهَبهم ، فضعفت ، وَقَلَّ سُكَّانُهَا .

وفي وصفها يقول الشيخ عبدالله البيهوشي الكرديُّ — من أهل القرن الثالث

عشر: —

نَزَلْنَا (عُقَيْرَ) السَّوءِ ، يَاسِرَ مَنَزِلٍ طَعَامِي فِيهَا (كَتَعْدُ) وَ(صَبُورُ)^(١٤)
أَهْجُرُ لَيْلِي ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَنْ لَصَبُورُ^(١٥)

الحواشي :



(١) : «التذيب» : ٢٢١/١ .

(٢) : ١٢٤/٣ .

(٣) ص ٦٢٠ .

(٤) المخطوطة المأجدية في شرح قول ابن مقرب :

إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ تَلَاقُوا مَسْئِلًا لَأَقَى بَنُو الْعِمَاشِ وَالْعَمَرِيَّانِ
(٥) وصفة جزيرة العرب : ٢٧٩ .

(٦) تقدم كلامه في رسم (الجرعاء) ص ٣٧٩ .

(٧) ج ٦ / ٤١٠ — الطبعة المصرية .

(٨) أنظرها في مجلة «العرب» جزء رمضان سنة ١٤٠١ بعنوان (من تاريخ جزيرة أوال البحرين في القرن
الخامس) .

(٩) في كثير من النسخ المخطوطة من «شرح ديوان ابن مقرب» : عباس .

(١٠) تاريخ نجد — ص ١٧٠ — .

(١١) في «عنوان المجد» ص : ٩٣ وعيسى ابن غفیان .

(١٢) القسم الجغرافي ص ٢٥٨٢ .

(١٣) وأكثر أهل الجهة الشرقية من الجزيرة يبدلون القاف جيم في هذا الاسم فيقولون (المجيم) كما يقولون في الحقيق
(الحققي) وكلمات أخرى كثيرة .

(١٤) الكند والصبور نوعان من السمك .

(١٥) : تاريخ الأحساء : ٢١/١ .

ترجمة الهمداني

صيغة جديدة

[كنت كتبت ترجمة للعالم البني المشهور الحسن بن أحمد الهمداني صاحب «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» وكتاب «الجهنمين» وغيرها من المؤلفات. مقدمة لكتابه «صفة جزيرة العرب» الذي نشرته (دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٩٧ هـ .

وها هي ترجمة أخرى كتبها الدكتور يوسف محمد عبدالله ، الأستاذ في (جامعة صنعاء) وقد عرفت الدكتور عبدالله طالباً في الجامعة الأمريكية في بيروت في قسم الآثار — واستعنت به في حلّ رموز كتابات صورت لي من ضُحُورٍ في جبال وأمكنة في منطقة القرىات وععرع — وأشرت إلى ذلك في كتابي «في شمال غرب الجزيرة» — ص ٦٤ — ثم اجتمعت به أثناء انعقاد (مؤتمر المستشرقين) في باريس في جادى الثانية سنة ١٣٩٣ هـ — وهو يُعَدُّ الدراسة لنيل درجة الدكتوراه — «رحلات حمد الجاسر» — ٣٠٥ — فعرفت فيه الشابَّ الحاذق .

ولعل فيها كتب عن الهمداني — في هذا الفصل وفي غيره — ما يكشف جوانب من حياة هذا العالم . لا تزال مجهولة لدارسي حياته .

ومما لا أرتضيه لأي باحث كان — ولأحبائنا من أبناء اليمن بصفة خاصّة — أن ينظروا إلى الهمداني نظرة ترفعه إلى درجة فوق ما يجب أن يوضع فيها بين علماء عصره ، وذلك بمحاولة إضفاء المحاسن عليه من جميع النواحي ، وتعليل أخطائه تعليلاً متأنراً بالعاطفة أكثر من اعتياده على ما عُرف من ذلك العالم بطريقة لا ينطرق الشك إليها من مؤلفاته هو مثل قصيدته «الدائمة» وشرحها ، التي كتبت أود أن حبيبنا الدكتور عبد العزيز مقالح — درسها دراسة تعمق ونجود — قبل نشر مقاله حول تعصب الهمداني في جريدة «الثورة» أثناء انعقاد (ندوة الهمداني) التي أقيمت في صنعاء في العام الماضي .

وقد أنحف قراء «العرب» بحث الدكتور يوسف هذا الصديق الكريم عبد الرحمن جابر .

• • •

استهل العلامة حمد الجاسر ترجمته القيمة للحسن بن أحمد الهمداني في المقدمة التي تصدرت كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني بتحقيق القاضي محمد علي الأكواع بقوله : (يحتاج الهمداني إلى دراسة واسعة لا تتسع لها هذه الصفحات ولا أبلغ إذا قلت بأنه بحاجة إلى كتابة مؤلف واف حافل بكل ما يتصل بحياته ، وهذا ما علمت بأن القاضي العلامة الأستاذ محمد بن علي الأكواع يقوم به ولهذا سأكتفي بإشارات موجزة عنه ، حتى تصدر دراسة أستاذنا الأكواع أو غيره) .. ويكاد قول الشيخ حمد أن ينطبق

على هذه المحاولة التي تقدم هنا ضمن أبحاث ندوة علمية متخصصة وفي اطار مناسبة خاصة بصاحب الترجمة .

أما كتابة مؤلف واف حافل بكل ما يتصل بحياة الهمداني فيحتاج إلى معلومات ثرية تفوق حجم النبد القصيرة التي أوردها الذين ترجموا له ، ونحتاج إلى استقراء دقيق ومثاق لمؤلفات الهمداني المعروفة ، وربما نحتاج أيضاً إلى تفاؤل حسن بالعثور على المفقود منها ، وفي سبيل ترقب تحقيق الأمانة قد يكون من المفيد صياغة ترجمة مكثفة ومتكاملة تجمع شذرات الرواة ولحات الدارسين المحدثين وتفيد من الاشارات العابرة التي وردت في ثنايا مؤلفات الهمداني المتوفرة وخاصة تلك المعلومات الجديدة في المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة » للهمداني المفقود والتي نشرها القاضي محمد بن علي الأكوخ عام ١٩٧٩ .

— كما قيل لي إذ ليس عليها تاريخ — ونوه بما فيها من دلالات جديدة تلقي الضوء على بعض ما خفي من حياة الهمداني ، ومنها نقل الشيخ حمد الجاسر استناداً إلى مخطوطة المقالة حقائق جديدة عن مولده وسجنه . أما الأستاذ (أوسكار لوفجرن) فقد نقل عن الأكوخ التنويه بتاريخ الميلاد ولكن لم يتسن له الافادة من المقالة المذكورة غير ذلك — عندما كتب مادة الهمداني « في دائرة المعارف الإسلامية » .

وكان المعول في كتابة هذه الترجمة على ما كتبه محمد بن علي الأكوخ في مقدمة الجزء الأول من كتاب (الاكلیل) وغيرها من مقدمات الكتب التي نشرها للهمداني ، وعلى ترجمة حمد الجاسر للهمداني في مقدمة كتاب (الصفة) وعلى مقالة (لوفجرن) في دائرة المعارف الإسلامية . ولعل تلك الترجمات من خير ما كتب المحدثون عن حياة الهمداني والذين اعتمدوا في ذلك أهم الترجمات السابقة كترجمة صاعد بن الحسن الأندلسي (ت ٤٦٤هـ) في كتابه (طبقات الأمم) وعلي بن الحسن القفطي (ت ٦٤٦هـ) في كتابيه : إنباء الرواة على أنباء النحاة و«طبقات الأطباء» وعلي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ) في كتابه (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن) .

غير أن ذلك لا يعني أن أغفل غيرها من الترجمات الأخرى القصيرة والملاحظات المفيدة حول حياة الهمداني قد نيمها وحديثها ، بل إن كثيراً من ذلك قد أسعف على إبراز

الصورة وزاد في جلائها .

صاحب الترجمة هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني . كان أهله يقطنون المراشي من شرق اليمن وهي منطقة تقع في الجزء الأعلى من مساقط الجوف يجمع سكانها بين عيشة التبدي والتحضّر قديماً وحديثاً . وتكون اليوم ناحية من قضاء برط وتتبع إدارياً محافظة صنعاء . وقد نسب بعضهم الهمداني إلى آل الدمنة والأصح على الأرجح هو أن يقال آل الدمنة ، وهم إلى اليوم من سكان ناحية المراشي وفرع من ذوي محمد القبيل الكبير هناك . وقد انتقل جده داود وابنه يوسف إلى الرجة شمال مدينة صنعاء ثم سكن يوسف صنعاء في آخر عمره وسكن بها أولاده من بعده .

ويستدل من (المقالة العاشرة) أنه ولد بصنعاء يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠ هجرية أي حوالي ٨٩٣ ميلادية ، ورغم أن النص لم يصرح باسمه ولم يقطع بالحجة إلا أن كل القرائن توميء إلى ذلك وتدلل عليه وكان القاضي الأكوخ أول من تنبه إلى ذلك فوه به في ملحق مقدمة الجزء الأول من (الأكليل) الذي نشره عام ١٣٦٩ هـ بالقاهرة وقد بقي تاريخ مولده غير معلوم علم اليقين حتى كتب الشيخ حمد الجاسر مقدمة (الصفة) المذكورة وترسخ الأمر في أذهان المعنيين من الدارسين منذ أن نشرت (المقالة العاشرة) متضمنة النص الذي أسند إليه ومجملة :

فمن ذلك أنا اختبرناه ببعض التسييرات المشهورة الفروع ، فيما شاهدناه وعابناه ولم نرجم فيه بالغيب ولم نتبع به التعليل ، لمولود ولد في الإقليم الأول في المدينة التي عرضها ١٤ درجة ونصف وظل رأس الحمل بها ثلاث أصابع وست دقائق .. وكان ذلك يوم الأربعاء يوم ١٩ من صفر سنة ٢٨٠ لعشر ساعات مستوية من النهار .. يكون الطالع من الميزان أحد عشر جزءاً ونصف بالتقريب .. ثم يذكر النص تحقيق ما ظهر من دلائل الطالع وهو أن المولود يصاب بنكبتين عظيمتين من الأعداء ثم يؤرخ لأحدهما يوم الثلاثاء يوم أحد عشر من رجب من سنة ٣١٥ ولثانيهما بيوم الاثنين من شهر شوال سنة ٣١٩ .

فالمولود هو الهمداني نفسه هو صاحب النص وهو الذي خير وعابن ولم يرجم بالغيب . والمدينة المشار إليها هي صنعاء فاليمن عند بطليموس في الإقليم الأول . وعرض

صنعاء على ما وجد أهلها على حد قول الهمداني أربع عشرة درجة ونصف والنكبتان هما سجنه مرتين في صعدة وصنعاء . وسياق الأحداث في حياة الهمداني تقتضي أن يكون مولده في حوالي الربع الأخير من القرن الثالث الهجري . ويوافق سنة مولده خروج الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين من الرس في أرض الحجاز إلى اليمن في خرجته الأولى بدعوة من بني فطيمة من خولان صعدة وهي الخرجة التي وصل فيها إلى الشرفة من بلادهم ، شمال شرق صنعاء ويبدو أن في السنة نفسها ، كان علي بن حسين المعروف (بجفتم) بصنعاء عاملاً من قبل بني العباس وذلك إبان خلافة المعتضد العباسي ..

ولا نعرف شيئاً عن أول حياة الهمداني سوى أنه حدثت به علة ليست بشديدة وهو في الخامسة من عمره . وأنه منذ بلغ السابعة بدأ يحدث النفس بالأسفار . وقد كان أبوه رحالة دخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر . كما كان لأجداده بصر بالابل منذ أن كانوا في مشرق اليمن . ولما تركوا البداوة واستقرّوا في صنعاء اشتغلوا بالجمالة . وإن كان منهم من عني بالصناعات كالتعدين .

ويستدل أن بعض أهلهم حل بصعدة وحيث كانت الجمالة مزدهرة بحكم موقع المدينة على طريق التجارة والحجيج ويبدو أن الهمداني شارك أهله في عملهم وهو نقل الحجيج والتجار إلى مكة من صعدة ، ثم انتقل إليها واستقر بها وهو آنذاك في الخامسة عشرة من عمره .

قال الهمداني في المقالة العاشرة : ولأن الزهرة كانت في السابع نقلت المولود حينئذ ، (أي حين بلغ خمس عشرة سنة) من وطنه إلى بلد آخر فقطن فيه واسترّف عيشه وحسنت أحواله . وفي صعدة بلغ سن الرشد وجنح إلى متع الحياة ولذائدها وتعود مخالطة الغرباء واكتسب من ذلك الرفق والتسامح . وبعد زمن (أي حوالي عشرة أعوام) — من استقراره فيها وحوالي ١٥ عاماً من اتخاذ صعدة محطة ينزل بها في قدماته إلى مكة مع أهله إبان صباه) أشقاه الكد والترحال فاكتسب حدة الطباع ونال من معارضة الخلفاء وعداوتهم ما شجعه على السفر الكبير فارتحل إلى مكة طلباً للعلم المكتسب للأجر .

وقد جاءته علة شديدة وهو في رحلته تلك ، شارفت به على الموت . وكان الذي هاجها أنه كان في بلد حار وهجير من النهار فطلب التبريد بالماء فشن على بدنه فنازلته العلة . وكانت رحلته إلى مكة في سبيل العلم وهو في الخامسة والعشرين من عمره أي حوالي عام ٣٠٥ وفي مكة أطال الإقامة وجاور بها أكثر من ست سنوات . ورغم أنه عدم في مكة رفاهية صعدة ولذاتها ، وتعرض لأذى حر مكة وهجيرها إلا أن فترة مكة كانت من أخصب سني التحصيل لديه حيث تفتحت له آفاق المعرفة وانفتح له فيها باب نفيس من المنطق فازداد منه ، وانكشط عنه كثير من الجهل واتسعت بسطته في العلم فعلم شيئاً من علم الأخبار وكتب صديقاً من الحديث والفقه ورواه ومال إلى مذهب الجماعة .

كما قال ذلك بنفسه في المقالة العاشرة . وكانت مكة في ذلك العهد من مراكز العلم حيث يفد إليها كثير من علماء البلدان الإسلامية لأداء فريضة الحج أو للمجاورة فتسنى للهمداني أن يتلقى العلم عن بعضهم مثل الخضر بن داود . وذكر الهمداني في « شرح قصيدة الدامغة » أنه اجتمع به سنة ٣٠٧ هـ وقد روى عنه (السيرة) عن ابن اسحاق . ومنهم أبو علي الهجري الذي أشار إلى الهمداني في « النوادر والتعليقات » ويرى حمد الجاسر أن الهمداني نقل عنه بعض النصوص الشرعية في (صفة جزيرة العرب) ويظهر أنه أثناء مجاورته بمكة اقتنى بعض الكتب كدواوين الشعر ومؤلفات ابن الكلبي في الأنساب وغيرها .

وفي حوالي ٣١١ هجرية رجع إلى اليمن ونزل صعدة مرة أخرى ، وهي إذ ذاك كورة بلاد خولان وقاعدة أئمة الزيدية ومحطة هامة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام ، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية فحبد الهمداني سكانها مرة أخرى بعد أن خلص من حرارة مكة وكانت تؤذيه وتضر بصحته ومال إلى الاستقرار فيها وعمر داراً وامتلك عقاراً واستطاب المقام بها .

وكان قد توفر لصعدة استقرار نسبي خلال فترات الهادي وابنيه المرتضى والناصر خاصة إذا ما قورنت بصنعاء في الفترة نفسها حيث شهدت صنعاء آنذاك اضطرابات سياسية وتعرضت للنهب والعدم وكثر تناقل الحكام فيها السلطة وقد أدى الاستقرار في

صعدة إلى استقطاب كثير من الناس من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم وكذلك التجار من داخل اليمن وخارجه ، فقامت فيها حركة أدبية وفكرية وانتعشت فيها التجارة فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها كما أسهم فيها بنصيب وافر ولا سيما في علوم الأخبار والأنساب والشعر .

ولم تكن صعدة قبل ذلك من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث كصنعاء فلم تنتشر أخبارها وقل وقوف النسابة على أنسابها وقبائلها وبطونها من خولان . فأطل الهمداني فيها على أخبارها وأنسابها ورجلها إطلالة العارف المتمكن فقرأ بها سجل محمد بن أبان الخنفرى المتوارث من الجاهلية وأخذ عن علماء صعدة ومما خيره رجالها ورووا له واستشده منهم لذلك وسم الهمداني بالعلم بين أهلها وعرض جاهه ورفع قدره واكتسب رضا رجال القبائل من خولان وما جاورها من همدان وحمير .

وكان استقرار الهمداني في صعدة أيام الإمام الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي تولى الأمر بعد تخلي أخيه المرتضى عنه في عام ٣٠١ هـ والذي بقي في الحكم حتى توفي عام ٣٢٢ هـ .

وذلك بعد خروج الهمداني من سجن صنعاء بفترة وجيزة . وكان يحكم صنعاء في الفترة نفسها آل يعفر من آل ذي حوال الحميريين وأميرهم هو أبو حسان أسعد بن أبي يعفر وكان مقره بكحلان وهي (كحلان) خبان في شرق مدينة يريم الحالية . وأما زبيد فكان يحكمها (ابن زياد) ولعله اسحق بن ابراهيم بن زياد وهو الذي يشير إليه الجزء الأول من الاكليل بقوله :— « ان اطلاق الهمداني (أي من سجن صنعاء) كان من جهة ابن زياد صاحب زبيد» ...

والى جانب هؤلاء الحكام كان هناك عدد من زعماء القبائل وخاصة آل الدعام من بكيل وآل الضحاك من حاشد . قال الهمداني في آل الدعام : ان سؤدهم عظيم وأخبارهم كثيرة — ونعت أبا جعفر أحمد بن محمد ابن الضحاك بأنه سيد همدان في عصره . وقال عن حاشد وبكيل : إنها قبيلة همدان العظيمة . أما في صعدة نفسها فكان نفوذ القبائل للفظيميين والاكيليين وكلا القبيلتين من خولان .

وكانت تلك القوى تتنازع السلطة في اليمن وشهد اليمن في أواخر القرن الثالث

المهجري ومطلع القرن الرابع الهجري اضطراب سياسي شامل شاركت فيه كل القوى المذكورة بما فيها القرامطة . ورغم القضاء على القرامطة إلا أن ذلك الانقسام السياسي استمر إلى الفترة التي نحن بصدددها وهي فترة الهمداني في صعدة .

ولم يكن ذلك الشتات في اليمن غير امتداد للتمزق والخلاف السياسي الذي اعتري الدولة الإسلامية كلها حيث انحسرت سلطة الخلافة وضعف أهلها فاستقل كل بما لديه حسب قوة نفوذه . وكانت صعدة من المراكز التي ورثت ذلك الخلاف السياسي والتنازع على السلطة . واتخذ ذلك الصراع في صعدة صوراً متعددة منها عودة ذلك الخلاف القديم والحظير بين قبائل عرب الشمال وقبائل عرب الجنوب ذلك الخلاف الذي نشأ في القرون الأولى للهجرة نتيجة تداخل الحضارتين الإسلامية الجديدة واليمينية القديمة لدى مشاركة أهل اليمن في الدعوة إلى الدين الجديد والإسهام في موجة الفتوحات وفي تمصير الأمصار وفي إرساء ثوابت الدولة الإسلامية . وكان خلافاً معلوماً يدور حول مسألة الخلافة واحقيتها ، وقد تنازع فيه الناس بالسنين وتجادلوا بالحجة واللسان فأدى ذلك إلى بروز موروث تاريخي ملحمي عن حياة العرب قبل الإسلام وخاصة عن حياة عرب اليمن . فكان أن انعكس ذلك الصراع على الحركة الأدبية والفكرية في صعدة وأدكى عودة الخلاف القديم أواره .

ولم يكن بوسع الهمداني أن يتجنب مثل ذلك الصراع إذا كان صميم الأمر فهو شخصية أدبية مرموقة ، وعالم شغوف باستقصاء أخبار وطنه وله صلات عديدة برجال خولان في صعدة وهمدان في أرضها . وقد جمع كثيراً من أخبارها ووقائعها ومفاخرها فحاض ذلك الصراع المحتدم الذي كان قائماً في صعدة منذ أن وطد الإمام الهادي مركزه فيها . وكان أبرز ما في المجال الأدبي من صراع هو كتابة الأشعار التي تذكى الحمية وتعبي من العصية ثم نوع من المفاخرة الشعرية كان الكميث بن زيد الأسدي قد بدأه قبل حوالي قرنين في قصيدته الموسومة بالمذهبية حيث يحرص كل جانب على تبيان مناقبه ومثالب معارضة .

وكان في صعدة عدد من الشعراء الذين يمثلون جانب عرب الشمال منهم أبو العساف الحسين بن علي وأبو أيوب بن أبي الأسد السلمي وأيوب بن محمد بن محمد اليريمي ،

وكانوا في شعرهم كما قيل يتعصبون على قبائل اليمن . ويبدو أن الأمر تفاقم بين الهمداني وبين أولئك الشعراء فكتب قصيدته التي ينحو فيها منحى الكيت ويحيب بها عنه وسماها « الدامعة » فاستغلها خصمه فكان أن فتحت عليه أبواب الطعن وسبل الاتهام واثار عليه السلطان والناس كما قال الهمداني نفسه في المقالة العاشرة وسجن الهمداني أثارت ذلك وكانت نكبة عظيمة ومشهورة ولكنها خفيفة ومتجاوزة ولم تعد عشرة أيام وذلك يوم الثلاثاء يوم أحد عشر من رجب سنة ٣١٥ هـ .

وقد عمل على فك الهمداني من سجن الإمام الناصر بصعدة بعض كبار رجال القبائل من خولان ومنهم يحيى بن عبدالله سيد اكيل ورجل خولان ولسانها وهو الذي مدحه الهمداني بقوله :

زر خير أبناء مالك حسبا ومفخرا ان عدت مفاخرها
يحيى بن عبدالله مقلة خولا ن وانسانها وناظرها

على أن الإمام الناصر توعده الهمداني ان عاد إلى مثلها فخرج على اثر ذلك من صعدة إلى صنعاء مسقط رأسه ، طامعاً في أن ينعم بحمي أميرها بالجاه العريض والقدر الرفيع . وكان أن أتى له ذلك إلى حين ومن الجائز أن اتصاله الوثيق بأبي نصر محمد بن عبدالله الیهري قد تم بصنعاء في هذه الفترة . وهو العالم الذي وصفه الهمداني بقوله : شيخ حمير وناسها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها ، وقارئ مستندها والمحيط بلغاتها .. ويشهر بصنعاء واليمن بأبي نصر الحبصي .. قال الهمداني : وما زال لنا معولاً في المشكلات وربما وردت منه بجرأ لا تُكدره الدلاء ولا تلوب دونه الظماء فأغناني نهله دون علله ، وأوسعني كفاية البعض دون كمله . وكان بجائه قد لقي رجالاً ، وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية ، ويذكر الهمداني في الجزء الثاني من الاكليل أن أبا نصر هذا كان على قرابة تسعين من عمره ، وذلك لدى تأليف ذلك الجزء من الإكليل في مطلع العقد الرابع من القرن الرابع الهجري .

ويستدل من بعض الاشارات على أن الهمداني ربما كان هو مؤلف (شرح الدامعة) وأنه كتب ذلك بصنعاء بدءاً من عام ٣١٦ هـ ، وكان الإمام الناصر قد توعده الهمداني ان عاد إلى ما اتهم به سلفاً (أي تفضيل عرب الجنوب على عرب الشمال) . ولكن

الهمداني لم يأبه إلى ذلك فانطلق يكتب الأشعار ويجمع مفاخر قحطان وألف (شرح الدامغة) في صنعاء وظن أنه في حمى آل يُعْفِرَ الحميريين ، وأنهم لا ريب مانعوه . ولما بلغ الناصر أن الهمداني لم يكف وقيل أنه تنقصه أيضاً في بعض أشعاره ، كتب إلى أسعد ابن أبي يعفر يعرفه بما بلغه من ثلب الهمداني ، وكان بين الناصر وأسعد مودة شديدة ووافق عريض ، فورد كتاب أسعد إلى أبي الفتح الخطاب بن أخيه أمير صنعاء ، يأمره فيه أن يأمر بجبس الهمداني وتحديدده فحدد وضمن الحبس .

وخاب أمل الهمداني في أسعد الحميري ، وساء ما صنعه به وهو الذي كان ينتظر موازرتة ، ولم يلق الهمداني بالآ إلى موقف الوفاق السياسي بين الحاكمين . فكتب إلى الأمير أسعد معاتباً (قصيدة الجار) التي مطلعها :

خليلي إني مخبر فتخيرا بذلة كهلان وحية حميرا
عذيري من قحطان إني مشتك عواريكما ظلما وخذلا فأنكرا
ثم يشير إلى سوء تدبيره حيث أقام في حمى أسعد بصنعاء هرباً لما لقاه في صعدة فيقول :

ويسقط ضعفي ذاك عن حي حمير وسيدها المنظور فيها ابن يعفرا
أنحت به خوف العداة وغدرهم فالفيتة فيهم على الأمن أغدرا
فلكهم مني مناط قلادتي وأسلمني فيهم بأذني وأدبرا
وبعد ذلك يشير إلى استغلال الأمير أسعد لحادثة سجن الهمداني حفاظاً على مودة الناصر واصلاحاً لما قد فسد بينهما فيقول :

واصلح بي ما كان من قبل بينه وبين قريش الأكرمين تغيرا
وقد ذل من جارى بذمة جاره وأسلمه مما يخاف فأخفرا
وفي ختام القصيدة يشير إلى خطاه ونزوله في حمى آل يعفر الحميريين في صنعاء بدلاً من بقاءه في صعدة واحتمائه بجولان القبيلة التي منعتة وحمته لدى سجنه الأول ، وهم قادرون على ذلك رغم وعيد الإمام الناصر :

ولو ضربت ما بين خولان قبتي لآمن سرحي ان تسندو عرا
وعاين شخصي مسك النجم كل من تربع من ذي غيلة وتمضرا
ولكنني أصبحت في دار غربة أجاور من بين البرية حميرا
وقد اختلط الأمر على الرواة في أمر سجن الهمداني حيث مزجوا بين سجنه لمدة
قصيرة في صعدة على يد الناصر ، وبين سجنه الطويل في صنعاء على يد آل يعفر ، أي
بين سجنه عام ٣٢٥ هـ وسجنه عام ٣١٩ هـ .

وفي المقالة العاشرة تفصيل دقيق لوقائع سجنه الثاني يستله بقوله :

« نريد أن نثبت قضية في السجون معروفة مشهورة . رجل غضب عليه الملوك في
المدينة التي عرضها ١٤ درجة ونصف من الإقليم الأول يوم الاثنين ٢٤ شوال سنة
٣١٩ هـ . والملوك المعنيون هم الإمام الناصر والأمير أسعد وربما أيضاً أبو الفتوح
الخطاب وإلى صنعاء . وفي الجزء الأول من الإكليل يذكر الهمداني أنه سجن بيد أسعد
وان آل بني فطيمة من خولان طلبوا فيه الناصر فأعلمهم أنه لم يسجنه وان أسعد سجنه
في جرم أجرمه . ولما ذهبوا إلى الأمير أسعد اعتذر لهم وقال إنما كتب إليّ فيه الناصر أن
أسجنه له فهو في سجنه عندي .

وكان السجن لدى الهمداني نكبة ثقيلة وألمية .. أنت عليه بالضيق والفضنك ووقع له
اليأس ، خاصة وان « الملوك » تأكدوا من تعميره في السجن ، وأجريت على ذلك
الايمان . ولكنه رغم ذلك ظل يكتب الأشعار معاتباً ومستنجداً وبجانب قصيدة الجار
التي عاتب فيها أسعد كتب قصائد يستنجد فيها كبار رجال القبائل وخاصة من آل بني
فطيمة ومنهم زيد بن أبي العباس الذي كتب إليه الهمداني يقول :

يا زيد زيد الخير يا ابن محمد ما كنت لاسمك إذا عرفت بناسي
بل كنت أول من هتفت به إلى إحياء نفسي ساعة الإيلاس
فابدر إلى نقذ الغريق فانه إلا تحب يعموم عوم الناسي

وقد بادر إلى نجده بعض رجال القبائل فطالبوا به بالحسنى والشدة قال الهمداني في
المقالة العاشرة « كثر بهذا الحبيس الطلبة من الاشراف وذوي النجدة الذين يأخذون في

الطلب من جهة المغالبة والمكابرة والغضب ..» .

وبدأت الجهود المبذولة لإخراجه من السجن تؤتي أكلها ، فكان ان سمح له في إتيان مسكن يتسع فيه . وفسح له في زيارة الإخوان وقضاء الحوائج وذلك بعد مضي سبعة أشهر وأربعة عشر يوماً .. وبعدها أبدل بالقيود الثقالة قيداً خفيفاً .. وانهدم جانب من حائط السجن الذي هو فيه فحول إلى سجن القاضي وأصحاب الديون وذلك بعد تسعة أشهر وأربعة أيام ونصف .. ثم أطلق من القيد الخفيف بعد أربعة وعشرين يوماً .. ونقل من السجن العظيم إلى ما هو في عداد المنزل .. ثم تبدلت به الحال الرضوية إلى حال ضيق فنقل من بلد إلى بلد وطيف به مصفداً إلى موضع غربة فلقى من ذلك الأمرين .. وكان ذلك بعد ستة عشر شهراً وأربعة عشر يوماً من مدخله السجن . ثم أدخل عليه بعض الراحة بعد سبعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .. واحترك في الطلب فيه العظماء من الناس ففدّت فيه الشفاعة وأذن بإطلاقه وأخرج ثم رد إلى السجن ثانية فلم يبق فيه يوماً ثم أطلق فحير ، ثم أطلق من الموضع وبعث به مغرباً مع حفظة أينا وصلوا من قرية سجنوه . فأقام على ذلك ثمانية أيام ثم فلت من النهج الذي قصد له به ، وملك نفسه وذلك بعد ستائة ٢٢ يوماً تكون شهوراً تامة ٢١ شهراً و١٩ يوماً .. ثم كان وقوع الهمداني في مأمنه وخلوده للراحة بعد فلتنة شهرين ويومين .

وبذلك يكون قد أذن بإطلاق الهمداني من السجن في ٢٧ شعبان من سنة ٣٢١ هـ ولكنه لم يبلغ مأمنه بعد إفلاته من حفظته في الطريق ثم اختبائه إلا في حوالي ١٧ ذي القعدة من عام ٣٢١ هـ وكان مأمنه على الأرجح ريدة من بلاد قاع البون ، وهي شمال صنعاء وعلى الطريق إلى خمر وصعدة . وبها قضى الهمداني بقية عمره ..

وقد يكون أهم سبب دعاه للبقاء فيها هو وجود سند عائلي وقبلي . فقد كان سكان ريدة من اللعويين ومنهم آل القاسم العثاريون أصهار آل جد الهمداني الأول يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الذي نعته الهمداني برهطه ورهط الهمداني من بكيل وينمون وفق سلاسل النسب عنده إلى همدان وكانت قاع البون آنذاك هي بلاد همدان ويذكر الهمداني ريدة في كتابه صفة جزيرة العرب ويقول : إنها من قرى همدان في نجدتها وبها البئر المعطلة والقصر المشيد وهو (تلفم) وربما كان الأصح كما هو في النقوش تلفم وكان

بها علي بن المفضل وجه اللعوين في عصره وكليمهم المنظور إليه منهم وله شرف وسؤدد تقدمه عند «الملك» كما كان بها سيد همدان آنذاك . أبو جعفر أحمد بن الضحاك الذي مدحه الهمداني وقيد أيامه وكان منه خل وصاحب وابن الضحاك الذي تعمّر طويلاً عرف بكثرة الوقائع والأيام بين حزبه وبين الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأولاده من بعده .

ومن أسباب استقرار الهمداني في ريدة وقوعها على مقربة من كثير من مواقع الآثار اليمنية القديمة التي عني الهمداني بزيارتها واستقراء مساندها ويتكرر في مؤلفاته ذكر قراءته لمساند ناعط وتلقم وريدة وعمران . كما أن الهمداني قد ذكر بأنه نقل كثيراً من أخبار البونيين عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى عالم أهل البون والأرجح أنه اتخذ أيضاً من ريدة منطلقاً لتتقلاته العديدة في أنحاء اليمن وفيها اشتغل بالتأليف الغزير فكتب (الإكليل) بأجزائه العشرة ليكون موسوعة الحضارة اليمنية القديمة وقد أشار بضع مرات إلى فترة اشتغاله بتأليفه فذكر عام ٣٣٠ هـ أو نحوه كما أنه يذكر عام ٣٣١ هـ في المقالة العاشرة من كتاب سرائر الحكمة وتفيد الإحالات في كتاب صفة جزيرة العرب إلى الإكليل أنه ألف بعد كتاب الإكليل أما الكتب الأخرى مثل العسوب والأيام والقوى والزيج فيستدل من الاحالات أيضاً أنها ألفت قبل عام ٣٣٠ هـ .

ورغم أن بعض كتب الهمداني قد رويت عنه مختصرة أو منقحة مما قد يبعث الريبة في بعض الحالات وصنعاء بالجمع والتحصيل . وتوفي الهمداني في ريدة وبها قبره وبقية أهله وقبره اليوم مجهول وتاريخ وفاته غير ثابت وفيه خلاف . قال صاعد أنه توفي عام ٣٣٤ هـ وفي رواية الخزرجي أنه تعمّر ستاً وخمسين سنة أي أنه مات عام ٣٣٦ هـ .. ويرى الأكوع أنه عاش إلى ما بعد ذلك بدليل أنه قال شعراً في تشييع جثمان الأمير أسعد إلى قبره في شاهرة بعد أن نقل من كحلان إلى ذمار فصنعاء عام ٣٣٧ هـ وكان أسعد قد مات قبل ذلك بخمسة سنوات أي عام ٣٣٢ هـ ولا ندرى مدى صحة نسبة الأبيات المذكورة إلى أسعد .

كما أنه قد يفهم من النص أن الأبيات قيلت عند موته وليس عند نقل جثمانه بعد

ذلك بسنوات . كما يرى الألكوج أنه مات بعد الحوادث عامي (٣٤٤ — ٣٤٥) بين ابن الضحاك والامام القاسم المختار ودليل ذلك أن الهمداني قال شعراً في تلك الحوادث وقيد فيها أيام الضحاك والأرجح أن الهمداني قال شعراً في تلك الحوادث التي دامت تسع سنوات ووقعت بين ابن الضحاك والقاسم بعد وفاة الناصر أي منذ ٣٢٢ حتى ٣٣٠ أما حوادث ٣٤٤ و ٣٤٥ فمجمليها : وصول القاسم إلى ريدة حيث خرج إليه ابن الضحاك من صنعاء واستمد منه التولية على صنعاء فولاه وفي سنة ٣٤٥ حبس ابن الضحاك المختار في ريدة ثم قتله ..

أما النص الذي ورد في الجزء الثاني من الإكليل ويذكر فيه قول أبي محمد عبدالله بن سليمان الحكيمي : رويت عن محمد هذا سنة ست وخمسين وثلثائة وهو من عمره في ثمانين وكتبت عنه وقتل في سنة ٣٦٠ مما قد يفهم أن الهمداني عاش إلى ما بعد ٣٦٠ أي أنه تعمر ثمانين عاماً فلا ندري ما إذا كان ذلك من زيادة النساخ ورواة الاكليل إذ أن المرة لا يكاد يسمع خبراً عن الهمداني وهو العلامة المشهور بعد العقد الرابع من القرن الرابع .

وبعد فأننا نرى أن الهمداني عاش إلى ما بعد ٣٣٤ بسنوات وربما بعد ٣٣٦ أيضاً ولكن ليس هناك دليل قاطع بذلك .

وهذه محاولة سريعة لإعادة صياغة ترجمة الهمداني دون التعرض لمؤلفاته وتقييم مسار حياته ورغم ذلك فأننا نزعم أنها قد تفتح آفاقاً رحبة لدراسة سيرة الهمداني وتعين على حسن تقييم أعماله .

د : يوسف محمد عبدالله

صنعاء

بلدة البير

حسناً فعل الشيخ حمد الجاسر — أمد الله في عمره وأعانه على إكمال ما لديه من أعمال عظيمة — نحو جغرافية وتاريخ بلادنا ونحو اللغة والتراث ، فقد قام هو وزملاؤه بتأليف « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ولو زودت تلك المؤلفات بخرائط للمواضع التي تطرقت لها لكان أشمل وأنفع . ويرجو القراء أن يتم ذلك قريباً ^(١) .

ولما كان الشيخ يريد من كل من لديه شيء لم يرد في تلك المعاجم — أو ورد مختصراً — عن بلده أو منطقته أن يوضحه وينشره فقد رغبت في كتابة شيء عن (البير) — مسقط رأسي — كما يقولون لعل في نشره فائدة ..

البير :

إحدى قرى المِحْمَل التي هي ثادق — قاعدة المحمل — وكان لها شأن إبَّان حكم الملك عبد العزيز وقبله . والبير ، والرؤيصة ، ورغبة ، والصُّفْرَات ، والمشاش .

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن خميس البير في « معجم التمام » صفحة (١٩٢ و ١٩٣) من المجلد الأول وصفحة (٤٣٣ و ٤٣٤) من المجلد الثاني .

وتقع البلدة في فسيح من الأرض تحيط بها جبال من بُعد وأهم تلك الجبال قارة (العونية) جنوب البلدة وهي قمة جبل مرتفعة تُرى من بُعد تشبه (الغُرابة) المظلة على (ثادق) ورغبة إلا أنها أصغر منها .

وبالقرب من قارة (العونية) طريق قديم قال لي عنه الشيخ عبدالله بن خميس : إنه يتفرع من الطريق العام (طريق الحج بين العراق ومكة) بعد حَضْر العُتْكَ وينزل مع ضاحك ثم يمر الصفرة والبير ثم عُبَيْرَان ويأخذ ذات اليسار حتى يعارض طريق التمام ويخرج على الغُزَيْرِ إلى أن يتجاوز (حَدِّبَا قَذْلَة) ويترك القويعة والعرض على يساره ثم يخرج على بلدة (الشعرا) ويعارض الطريق العام من عند طخفة ، وفي هذا العام أنشأ أهل البير طريقاً يربط البلدة بطريق حَرَيْمَلَاء فآلَقَصَب ، في أعلى شريح البير ، فوجدوا

أكواماً كثيرة من الأحجار في أعلى الجبل الذي يفصل بين شعيب الشريح ووادي عُيْثَان في أعلى ثادق . هذه الأكوام أصبحت سوداء من الشمس والسنين ، وهي في حدود عشرين كومة إحداها كبيرة والبقية أصغر منها (أنظر الصورة رقم ١) وهذه الأحجار نقلت قديماً من الطريق وأصبح مكانها طريقاً سالكاً لا أحجار فيه على طول الجبل . وقد سمعت أن الشيخ الشديّ قال لما سمع عن هذه الأكوام : إنها من أعمال الأتراك أثناء وجودهم في هذه البلاد . كما سمعت من الشيخ عبد العزيز بن قاسم أن هذا الطريق مَهْدَتْهُ زُبَيْدَةُ لحجاج الأحساء ولعل لدى الشيخ حمد ما يقوله عن هذا الطريق ، وعن مساجد كثيرة من الأحجار . وُضعت في أعلى جبل بين وثيثة وثرمدا نسيت اسمه (وها هي صور تلك المساجد في أعلى الجبل صورة رقم ٣) .

وشمال البير يقع جبل يُسمَّى (ضلع أبو مصافح) فيه طريق وعُرْكان يذهب منه الناس على أرجلهم ودوابهم إلى شعيب (المظل) وإلى (المزبرة) وهي مكان يتجمع فيه السيل ولا يخرج منه يزرعونه بَعْلًا ، ولا زالوا إذا بكرالله بمطر الوُسمي . وشرق البلدة جبل صغير له رأسان على شكل (شيداد) اسمه الخصى) ومثله جبال في عدّة مواضع من الجزيرة العربية على شكل نَهْدَيْن يدعونها النَّهْدَيْن ، وأقربها الواقع في (أراط) قرب ثادق .

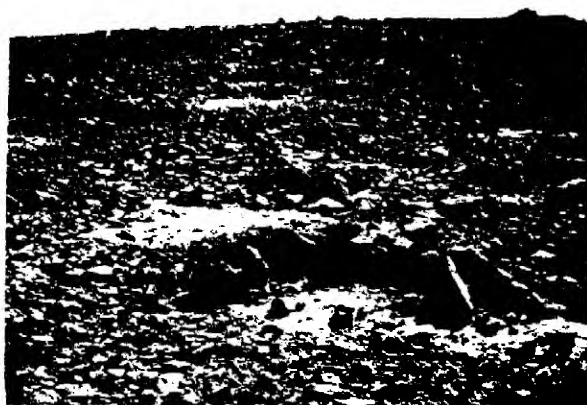
مركز تحقيق بحوث ودراسات

أين تقع بلدة البير؟

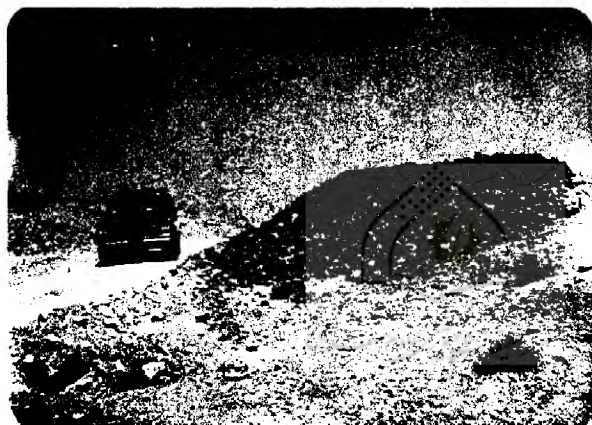
تقع البلدة بين ثادق والصفُرات وحرملاء . بينها وبين ثادق عشرة أكيال ، وبينها وبين الصفرات أقل من ذلك وبينها وبين حرملاء ٣٠ كيلاً . وتقع شرقاً عن ثادق ، وغرباً عن الصفرات ، وإلى الشمال الغربي عن حرملاء والرياض وبينها وبين الصفرات جبال عالية . والطريق بينها وبين كل من حرملاء وثادق لا زال تُرابياً ولكن الثاني مُدْرَج في جدول الطرق بوزارة المواصلات ، ولما كان طريق حرملاء إلى القصب الذي يجري العمل فيه الآن يَمُرُّ قرب البير (١٤ كيلاً) فقد شقَّ الأهالي طريقاً يربطهم بذلك الطريق .

والبير يبعد عن الرياض ١٢٠ كيلاً عن طريق حرملاء و١٤٠ كيلاً عن طريق سُدير مع الطريق المعبّد .

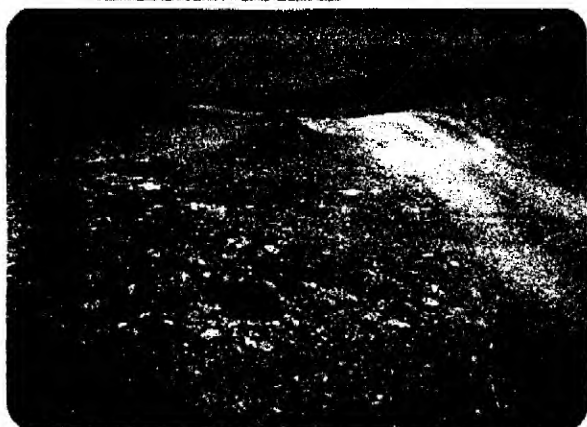
منظر المساجد في قمة الحبل الواقع
بين اثيشية وثرمدا .



منظر للكومة الكبيرة من تلك
الأحجار .



منظر لأكوام الي ورد ذكرها في
المقال عن بلدة (البر) .



أودية البير :

أودية البير تأتي من الجنوب والغرب وتتجه شمالاً وهي :

١ — أبا السُّدُر : وكان لا يَمُرُّ بالبلدة . ولا يستفاد منه فَقَبِّرَ أهل البلدة مجراه ، وحفروا نَقْعاً في أحد المرتفعات ، وسدُّوا طريقه الأول فأصبح يسقي قسماً من النخيل والمزارع ، ويقولون : إن شخصاً واحداً هو الذي حفر هذا النفق ، وأنه — للجهـد المتواصل الذي بذله — لما فكَّ رباط وسطه (المِحْزَم) سقط الجزء الأسفل من ثيابه لطول المدة التي ظل فيها (المحزم) مربوطاً . وقبل ذلك كان شخص مرَّ بالبـير فقال : (ياوَيَّ ذِيْرَةٍ كَوَ فَحَلَّهَا يَدُكَ فِيهَا) .

٢ — البِسْمَى .

٣ — أبو عشيرة — تصغير عشرة —

٤ — أبا الرمل .

٥ — المديق .

٦ — أبو فحیحیل وسیله لا يمر بالبلدة .

وكل هذه الأودية تجتمع في وادي البير ، الذي يتَّجه شمالاً مسافة عشرين كيلاً بمحاذاة وادي الصفرات ، قبل أن يصل طريق سُدَيْرٍ ويفيض في بطن العنك (أم العناش) .

شعاب البير :

ومن الشعاب (الشعبان) التي تصب في وادي البير بعد اجتماع أوديته .. ما يلي :

٧ — شعيب الضو

٨ — الوسيقة

٩ — المظل

١٠ — المويهات

١١ — شعبة عمر الكبرى

١٢ — شعبة عمر الصغرى

١ — شعيبات الحصان

٢ — الخُوَيْشَات

٣ — أم الدراهم

٤ — أم الرباع

٥ — أم الرمل

٦ — الناصفة

- ١٣ — أم القلات
١٤ — أم الخزا
١٥ — الرديني
١٦ — الأوسط
١٧ — صوار
١٨ — قويرات الجراد

معالم البير :

ومن معالم البلدة :

- ١ — قارة العونية — المتقدم ذكرها —
- ٢ — الطريق القديم الموجود قرب قارة العونية — وتقدم ذكره —
- ٣ — الطريف .
- ٤ — المقيصرة ، وهي ثنية إذا علاها الشخص القادم من الشمال مع وادي البير رأى البلدة ، وسميت بذلك لأنهم يرتاحون فيها إذا تعبوا (قَصَّروا) عندما يعودون من إحضار الحطب أو الزرع أو علف البهائم (الحشيش) أو نحو ذلك . وقد توسطها الطريق المعبد وأزال المكان المخصص للاستراحة .
- ٥ — أم قويرة .
- ٦ — ثنية الجناح في المظل .
- ٧ — ثنية آل صبيح .
- ٨ — المزريعة .
- ٩ — ثنية صوار .
- ١٠ — آبار قديمة في (أبو فحجيل) .
- ١١ — جبال مربق العبد .. وهي أكمة مرتفعة ، تحيط بها الرمال تقع في أسفل وادي البير ، ولهذا المرقب قصة .. وهي أن شخصاً من أهالي البير كان يحفر بئراً في الوادي بمحاذاة هذا المرقب — ما زال مكانها معروفاً — وكان شجاعاً لم يستطع قطاع الطرق (الحشَّش) الوصول إليه أو منازلته لأنه أوكل إلى رجل حراسته ، فإذا رأى أحداً أخيره فخرج من البئر وصدهم ، أو قضى عليهم ، وهذا شأنه وفي مرة من المرات نام الحارس (العبد) فاغتم اللصوص الفرصة وقتلوه ، وجاءوا إلى الرجل واسمه (صبيح) فقتلوه في بئره .

رجال .. من البير :

ومن أعلام البير ورجاله :

١ — الشاعر عبد العزيز بن الشيخ حمد بن عبد العزيز بن الشيخ محمد .. جاء في «معجم الإمامة» أنه من أهل ثادق ، والصحيح أنه من أهل البير إلا أن أباه الشيخ حمداً عين قاضياً في ثادق فسكنها . ذكر لي ذلك خالي عبدالله بن حمد الأبراهيم وهو قريب الشاعر ، وذكر أيضاً أنه في آخر حياته ، عاد إلى البير وكانوا يحملونه عندما مرض ويوقفونه في الصفّ لينشد لهم القصائد الحماسية (الحزبي) في (العرضة) عندما يتصدّون لطرد البدو ، أو لاسترجاع ماشيتهم من قطاع الطرق واللصوص ، أورد الشيخ ابن خميس نبذة عنه ونماذج من شعره وذكر خالي عبدالله أنه شاهد رزمة أوراق فيها شعر الشاعر عبد العزيز وأنه أحرّقها في آخر أيامه رحمه الله وجُلّه في الغزل ، وله قصائد جيّدة في الغزل والحماسة والمهجاء ، ولا يوجد الآن من شعره إلا القليل في صدور الرجال . وقد حرصت على مقابلة ابنه محمد منذ عامين . فوجدته قد نسي أكثر شعر والده . وكان والد الشاعر قد حاول تنيّه عن قول الشعر ومنعه من الإختلاط بالناس وذلك يعدّ رؤياً رآها تنذر بأن ابنه سيقول الشعر إلا أن ذلك لم يمنعه من الانطلاق في قول الشعر في شتّى الأغراض .

توفي الشاعر حوالي عام ١٣٦٨ هـ بعد أن أصيب بالفالج (الشلل) .

٢ — الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .. كتبت عنه كلمة متواضعة بعد وفاته رحمه الله نشرت في هذه المجلة (الجزء الرابع من السنة السابعة لشهر شوال ١٣٩٢ هـ) وكتب عنه الشيخ حمد الجاسر كلمة في المجلة نفسها (الجزء بين الأول والثاني من السنة السادسة عشرة لشهري رجب وشعبان ١٤٠١ هـ) وله أولاد .. أكبرهم عبدالله ثم محمد ثم عبد العزيز (توفي) وأحمد وسليمان وناصر وسعد وحمد وللشيخ محمد جهود في البحث وإتمام ما بدأه والده .

٣ — عبد الرحمن بن محمد بن براك .. طالب علم عينه الملك عبد العزيز إماماً للجامع البير ، حضر موقعة (تربة) ودرس على عدة مشايخ في الرياض ، أمثال عبد الله بن عبد اللطيف وسعد بن عتيق وحمد بن فارس .

٤ — حمدان بن علي الحمدان .. طلب العلم على بعض المشايخ في الرياض وعين إماماً لمسجد جامع البير. توفي في وقت مبكر.

٥ — عبد الرحمن بن علي الحمدان .. طلب العلم على المشايخ في الرياض عبدالله بن عبد اللطيف وسعد بن عتيق وحمد بن فارس وغيرهم .

وحضر مع الملك عبد العزيز موقعة (تربة) وعينه يومها إماماً ومرشداً للبلدة (تربة) وقد حاول الاعتذار عن هذه المهمة لأنه يريد مواصلة طلب العلم ، فأثنى الملك عبد العزيز وهو يصلي آخر الليل ورجاه أن يعفيه فوافق ، وعينه بعد ذلك إماماً لهجرة (رؤيغب) وبقي فيها عشرين عاماً . ثم عينه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد — قاضي الجمعة آنذاك — إماماً للجامع (تُمير) وبقي فيها حوالي عشرين سنة أخرى إماماً للجامع وقائماً بالعمل المنوط بالأئمة في ذلك الوقت وهو كتابة الوثائق والمكاتبات بين الأهالي وعقد النكاح والإفتاء والتعليم . أصبح ضمن هيئة التدريس في المدرسة الحكومية التي أنشئت في البلدة عام ١٣٧١ هـ إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٧٤ هـ في تُمير ودفن فيها خلف بعض الكتب والمخطوطات بخطه وخط غيره .

٦ — عبدالله بن عبد الرحمن الحمدان .. والده عبد الرحمن المتقدم ذكره .. طلب العلم على بعض المشايخ في الرياض وعين إماماً لمسجد (سَلَام) بالرياض (مسجد الأمير عبدالله بن عبد الرحمن آل سعود) ، توفي عام ١٣٦٦ هـ وهو في ريعان الشباب بعد أن أصيب بمرض في رأسه . وكان رحمه الله ورعاً تقياً شجاعاً حصلت له قصص بطولة مع معاصريه ممن اعتدوا على والده .. إذ أخطب معه عصاً غليظة قصيرة أثناء صلاة الجمعة أخفاها في عباة . وبعد الصلاة خرج إلى الساحة وقد تجمع فيها الناس فلما قرب من (غريمه) شهر عصاه وقال : (صَبَّي التوحيد وأنا أخو من طاع الله) فضره ضربة جندلته أرضاً وذهب لحال سبيله ، وقبل غروب شمس ذلك اليوم كان بهم بإحضار إبله من ضواحي القرية فحذره أحد أقاربه من أن أولئك يتربصون به فلم يكثر ، فلما ذهب للصحرى لحقوا به ليثأروا منه فدافع عن نفسه وأعانته الله عليهم وانهمزوا . ومن تقاه أنه حين يبدأ ضيوفه أو ضيوف والده في الكلام غير المفيد يعمد إلى القراءة بصوت مرتفع . وحديثي عمي عبد العزيز أنه وهو يدرس وإياه في الرياض اشترى سجادة

(زولية) لينام عليها إلا أنه لم يستيقظ تلك الليلة إلا مع أذان الفجر وفي الصباح أمره ببيع السجادة لأنها جعلته ينام عن قيام الليل .

٧ — محمد بن عبد الله الحمدان (كاتب هذه السطور) .. والده عبدالله المتقدم ذكره ولد عام ١٣٥٧ هـ وتوفيت والدته وهو ابن سنتين ثم توفي والده وهو ابن تسع ، فرعاه جده عبد الرحمن المتقدم ذكره وأعمامه (إخوان أبيه) . درس في (الكتاب) ولما افتتحت المدرسة الحكومية في (تُمَيْر) حيث يعمل جده عبد الرحمن — التحق بها ثم بمعهد (إمام الدعوة) في الرياض وتخرج من (كلية العلوم الشرعية) في الرياض عام ١٣٨٣ هـ . والتحق بالوظيفة الحكومية . وله مقالات في الصحف والمجلات السعودية المحتجة والموجودة . واشترك في سلسلة (المكتبة الصغيرة) بكتيب «بنو الأثير الفرسان الثلاثة» ، واشترك في مؤتمر الأدياء السعوديين الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ ببحث عنوانه (نجد .. في الشعر) سيخرجه في كتاب ولديه كتاب عن العَرَل في الشعر الشعبي في عدة أجزاء ويعمل في جمع ودراسة شعر حُميدان الشوير وجمع بعض مقالاته في كتاب أسماء (من أجل بلدي) ، وينوي إصدار كتاب عن المرأة عنوانه «الجنس اللطيف» . وكتاب بعنوان «تأملات في كتاب الله» .

٨ — محمد بن أحمد بن مُحَيِّدٍف .. شخصية فكهة .. له قصص طريفة مع بعض الأعراب الذين كان يتعامل معهم في التجارة في (رُؤَيْغ) . منها أن أحدهم مرض فطلب ذووه من صاحبنا أن (يقرأ) عليه فأخذ ينفث عليه وبينما هو كذلك إذ تساءل المريض : (يا محمد يقولون إن وعاوغ سال) — وعاوغ وادِ قرب رُؤَيْغ — فتعجب ابن مُحَيِّدٍف من هذا المريض الذي نسي مرضه وفكر في السيل ، ولكن صاحبنا واصل القراءة وأردف (تَفَّ .. يموت الحمار ولا يموت ضراطه) .

٩ — محمد بن حمد بن ربيعة . وإبراهيم بن حمد بن ربيعة .. اشتهرا بالشجاعة والإقدام والفروسية والقوة البدنية وكانا فقيرين شهد الكثيرون بشجاعتهما وإقدامهما ..

١٠ — محمد بن عبدالله بن ربيعة وناصر الزايدي ومحمد بن سلامة وعبد العزيز بن موسى ومحمد بن عبدالله الحمدان .. هؤلاء من البَنّائين المشهورين الذين بنوا بعض قصور الرياض المبنية بالطين في المَرَبِّع والشمسية وغيرها ويسمون واحدهم (ستاد) .

١١ — عبد العزيز بن موسى وعبد العزيز بن نصار ومحمد بن خميس وعبد العزيز الحمدان والمهندس محمد المحيذيف وعبد الرحمن الجريسي ومحمد بن عبيد ومحمد بن صبيح .. من رجال الأعمال في الرياض .. وبعضهم شارك بماله في تطوير البلدة .

١٢ — الدكتور عبد العزيز بن ناصر بن صقر ، نال (الدكتوراه) في العقل (الالكتروني) (الكمبيوتر) ومن أعضاء هيئة التدريس في (جامعة البترول) .

١٣ — صبيح البرّاك .. من رجال الأعمال في الكويت ويقم هناك من صفه . وغير هؤلاء من الرجال ممن لم تحصرني أسماؤهم .

أمثال عامية تتعلق بالبير :

هناك أمثال عامية متداولة في المنطقة منها :

١ — جَمَشَةُ بَيْرٍ .. (الجمشة قطعة الطين اليابس) وقصة هذا المثل هي أن ابن مُعَمَّر غزا البير — ذكرت قصة هذه الغزوة في «عنوان المجد» فجلس رجاله تحت جدار من جدران البلدة ، فانهدم عليهم الجدار ، ولم يسلم منهم إلا القليل حتى أن أحدهم هرب لما أحسَّ بذلك فشاء الله أن جمشة من الجدار تنطلق في إثره (؟) وتصيبه ولذا قيل : (جَمَشَةُ بَيْرٍ) يضرب للشيء الذي يصيب هدفه .

٢ — وَجَبَةُ أَهْلِ الْبَيْرِ : فسر المثل على ثلاث طرق ، الأولى : أن أهل البير يطعمون ضيوفهم ثلاثة أيام بينما قد لا يفعل غيرهم ذلك بسبب الفاقة ، الثانية : أن وجبة أهل البير دسمة مغذية في حين قد لا يتوفر ذلك عند غيرهم . الثالثة : أنهم لا يطعمون ضيوفهم سوى وجبة واحدة في اليوم .

٣ — وَجَاهَةُ أَهْلِ الْبَيْرِ .. الوجاهة هي العزم على الشخص ومحاولة إقناعه وإلزامه بقبول شيء ماء ، بأية وسيلة من وسائل الإقناع وغالباً ما تكون الإلحاح أو الرجاء أو التهديد .. ويقولون : إنَّ أهل البير حين يتوجهون على شخص يستعملون أيديهم بوكروه في خاصرته أو غيرها إضافة إلى الإقناع بالكلام وهنا لا بُدَّ للمتوجَّه عليه من الموافقة إن أراد إيقاف الوكر ومن هنا يقول أحدهم لمن يريد من أحد شيئاً ويمانع : (تراي أبنتوجّه

عليك) وهنا يذكر ذلك الشخص أن المتكلم من أهل البير فيسارع بالموافقة . وإذا لم يكن الشخص من أهل البير فإنه يقول : (تري أبتوجه عليك وجاهة أهل البير) .

٤ — وهناك أمثال أخرى قد يسبب إيرادها شيئاً من الحرج أو عدم الرضا من يرون فيها منقصة لهم أو لبلدتهم ، ولست أرى ذلك على أي حال . ولكن عدم ذكرها أفضل . من باب ارتكاب أدنى الضررين لدفع أعلاهما .. وحتى تسميني لذلك الجبل باسمه (الخصي) لن تعجبهم فقد اقترح أحدهم أن أسميه (الشيداد) اسم جديد لا حرج فيه) ، وها أنا أسميه بذلك .

ولو أردت ذكر شيء من تلك الأمثال التي لا يعجبهم ذكرها لقلت (عَرْضَةُ أهل البير) ولكني لن أفعل !! ورزقي على الله !

مدرسة البنين (الكتاب) :

وقبل افتتاح المدرسة الحكومية للبنين كانت هناك مدرسة للبنين (كتاب) يتلقون فيها القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية ، وكانت تسمى (المجمع) بفتح الميم . ومن علم فيها فهد بن مقرن وعبد الرحمن بن زومان ، والدراسة بالطرق البدائية (اللوح) والمحبرة المحلية المصنوعة من الخشب . والخبر عبارة عن (سِنُونُ) وهو الرماد الذي يبلصق (بالمقرصة) الحديدية) . والقلم من أغصان الشجر وبالذات شجر (المرخ) .

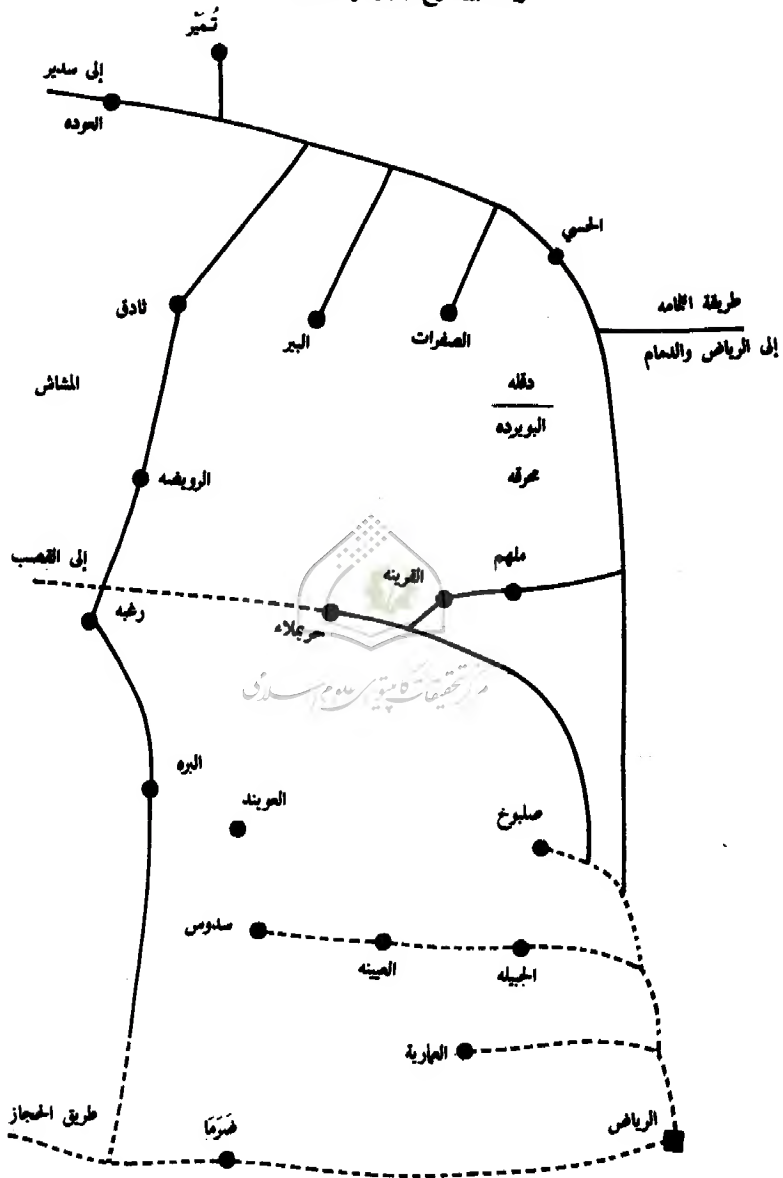
مدرسة البنات :

كما أن البنات يتلقين دروساً في القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية على يد المطوعة لطيفة (رحمها الله) يذهبن إليها في بيتها .

الطريق بين البير وحرملاء :

ولا أنسى ذكر الطريق الموصل بين البير وحرملاء ٣٠ كيلاً فقد فتحه الأهالي على

خريطة بين موقع (البر) في المنطقة



حسابهم عام ١٣٧٣ هـ مع الجبال الفاصلة بين البلدين برئاسة وجهود الشيخ محمد بن قاسم . وأتى معه الملك سعود عندما زار البير ضمن جولته في بلدان المنطقة التي أقيمت له فيها الإحتفالات .

معلومات عامة :

وفي البير من الدوائر الحكومية : الإمارة .. ومدرسة الأولاد .. ومدرسة البنات .. والمستوصف .. وهيئة الأمر بالمعروف . ويكثر فيه النخيل ويشتهر بنوعين لذيين نادرين من التمور هما : الحُلَى (جمع حلوة) والدُّخْنِي ، إضافة إلى المقفزي والمِسْكَاني والسَّلْج بنوعيه — سلج قطّار وسلج عيش — والحفاقي والصَّقعي والخُضري : (ميت الخضري شهيد) .

وينبت الحمض (الرْمَث) خارج جدران البلدة مباشرة ويتشجر حولها ، والرْمَث حطب جيد ، زكي الرائحة ، ^(٢) وهو في نفس الوقت غذاء مفيد للإبل والبقر والغنم .

الرياض — البير : محمد بن عبدالله الحمدان

الحواشي :

(٥) العرب : الحج العراقي له طريقان يقعان شمال العارض أقربها منه طريق حاج البصرة المارّ بالنباج «الأسياح» في القصيم .

(١) ما تمّ نشره من أجزاء «المعجم» يعتبر المرحلة الأولى ، وهي مرحلة الجمع والتأليف ، وتتلو هذه المرحلة الثانية : مرحلة التنقيح والتصحيح ، وإدماج جميع المواد في كتاب واحد مرتب على الحروف — لأن ما طبع وإن كان مرتباً على الحروف إلا أنه مقسّم على المناطق . وفي المرحلة الأخيرة يتم وضع المصورات الجغرافية (الخرائط) وهذه المرحلة والتي قبلها ليست وفقاً على أحد من الباحثين دون أحد ، بل هي عامة ، يرجي من كل مثقف من أبناء هذه البلاد أن يشارك فيها بقدر استطاعته (العرب) .

(٢) ولهذا قال أحد شعراء نجد من أبناء البادية في صدر الدولة الأموية :

إذا يقولون ما يشفيك ؟ قلت لهم : دُحَانٌ وَرُثٌّ مِنَ الشُّرَيْرِ يَشْفِي
مما يَصُمُّ إلى عَمْرَانِ حَاطِبُهُ إلى الجَنِينَةِ جَزْلاً غير مَوْزُونِ
في قصة أوردتها في كتابي «معجم خيل العرب» (العرب) .

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم

حول كتاب :

« المعجم الجغرافي » — قسم شمال المملكة —

تمتعت بقراءة كتابكم القيم « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » : شمال المملكة ، واستفدتُ منه الشيء الكثير . ومن الأمور التي استهوتني كثيراً في هذا الكتاب ما أورد فيه من شعر فصيحاً كان أم عامياً . على أن هناك أبياتاً قليلة جداً يبدو لي أنها تحتاج إلى إعادة نظر .

١ — ورد في القسم الثاني (ص ٦٥٣) :

عَسَى الوُصْمُ إِذَا بَكَرَ مَدَاهِيلَهُ السَّبْعَانَ حيثُ لمقرون الحجاجين مِدْهال
ولعل صحة هذا البيت :

عسى الوسم إلى بكر مدهيله السبعان كما أنه لمقرون الحجاجين مدهال

٢ — وورد في القسم الثالث (ص ٩٢٦) :

يا (ولاد قنّاص) شذروا كل منون ما تذبحون اللي بشره بلاكُم؟
ويبدو أن الشطر الأول من هذا البيت غير مستقيم الوزن .

٣ — وورد في (ص ٩٩٨) :

مراراً فنّها يوم بزاخته ومنها القصيم ذو زهي ودعاء
والشطر الأول من البيت غير مستقيم الوزن ، ولعلّ صحته : مراراً فنّها كان يوم بزاخته .

٤ — وورد في (ص ١٠٠٣) :

لمن الديار [قد] أقفرتُ بغياء لو شئتُ هيجتُ الغدّاة بُكاني

وذكرتم في الهامش أن كلمة [قد] ليست في الأصل . ويبدو لي ، أيضاً ، أنه ينبغي

تخفيف همزة (أفقرت) لكي يستقيم الوزن .

٥ — وورد في (ص ١٠٠٨) :

ديرة لنا ما هي بديرة لغيرنا الأجتابُ لَر حنّا بعيدُ نهابها
ولعلّ صحة البيت :

دار لنا ما هي بدارٍ لغيرنا الاجتاب لو حنّا بعيد نهابها
أو
ديرة لنا ما هي بديرة لغيرنا الخ ..

٦ — وورد في (ص ١٢١٢) :

من وبلها (ندفا) ووادي المراسيل والضلعة التي ضاع باسمه ولدها
ولعلّ هناك خطأ مطبعياً أبدل كلمة « التي » العامية بكلمة (التي) في الشطر الثاني من
هذا البيت .

٧ — وورد في (ص ١٢٨١) :

لا واهني من ورد مسنوة من ماها ياخذ قراطيع
ويبدو أن الشطر الثاني من البيت هو :
من ماه ياخذ قراطيع

٨ — وورد في (ص ١٢٩٧) :

أشرفت أنا طغسٍ ميقوعٍ وطيئت من عرض من طبة
وغرقت أنا الطعس بدموعي مثل العزالي لهن صبة
يا ليلي تريدون منقوعي حطوا على القلب له صبة
لكن هناك رواية أخرى لهذه الأبيات لعلها أقرب إلى الصحة ، وهي :

نطيت أنا راس ميقوع من عرض من نط وأرقبة
واسقيت أنا الطعس بدموعي مثل الهاليل منصبة

قلبي فَرَى الْحَبِيبَ وَضُلُوعِي وَالْقَلْبُ إِلَى فَرٍّ وَشُ طِبَّةً
يَا لَلِّي تَرِيدُونَ مَنفُوعِي حَطُّوا عَلَى الْقَلْبِ لَهُ ضَبَّةً
ولكم من ابنكم خالص المودة

عبدالله الصالح العثيمين

العرب : الأستاذ الكريم الدكتور عبدالله هو (ابن بَجْدَة) هذا النوع من الشعر ،
فإذا يمكن أن يقال غير توجيهه الشكر له ، والاستزادة من ملاحظاته القيمة .

حول كتاب «جمهرة الأسر»

نسب أسرة الخُصَّارَى

اطلعت على دعوة (العرب) في عددها الصادر في شهر ربيع الأول ١٤٠٢ هـ إلى
بعث ملاحظات القراء على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» .

وإني إذ أشكركم وأشكر مجلة «العرب» القراء على الجهود المخلصة المبذورة في تدوين
تاريخ العرب وآدابهم وأنسابهم وتراثهم الفكري يسرني أن أبعث إليكم بعض
الايضاحات عن أسرة (الخُصَّارَى) في سُدَيْر والقصيم ، تعليقاً على ما ورد في «جمهرة
الأنساب» من إشارة مقتضبة إلى نسبهم وائتائهم إلى العنبر بن عَمْرُو بن تميم .

يرجع نسب أسرة الخُصَّارَى (مفرده الخُصَّارَى بضم الخاء وفتح الصاد) في سُدَيْر
والقصيم إلى العنبر بن عَمْرُو بن تميم ، وقد عاشوا منذ عصر متقدم في (حومة سُدَيْر)
حيث توجد (قارة بعنبر) وهي أكمة جبل منقطع في رأسه بئر ماء وحولها الضياع
والنخيل كما وصفها بعض المؤرخين (أنظر «صفة جزيرة العرب» للهمداني ص ٢٨٥) .

وأقدم تسلسل لهذه الأسرة هو تفرعها من إخوة ثلاثة هم : مانع وربيعة وسيف أبناء
محمد بن عثمان الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري .

أما مانع فقد انحدرت منه أسرة الخُصَّارَى بعدما تقاسم الأملاك مع أخويه فكان من
نصيبه أرض تحمل هذا الاسم فغلب على عقبه فيما بعد .

وأما ربيعة فهم آل ربيعة المعروفون في الجمعة ومنهم الهيدان والضاري ،
وأما سيف فقد انقطع عقبه ويقال : إنه لا ولد له .

وهؤلاء الإخوة هم الذين يشير إليهم سعود بن مانع بن نُحَيْط في قصيدته النبطية
التي أنشأها سنة ١١٢٠ هـ بقوله :

وقال الذي قال كيف يزوره وقبله قرآنيس الحرار الهبالع
ربيعة المذكور سقم على العندي وسيف ومحمود السجيات مانع
حلّوا ولا حلّوا بها غير ساعة تلاقوا لنا بالصلح والكل خاضع

(انظر «خيار ما يلتقط من شعر النبط» لعبدالله الحاتم ص ١٨٦) .

وقد انقسمت أسرة الخضيري إلى ثلاثة فروع هم :

آل علي : خضاري الجنوبية في سُدَيْر ، في الوقت الحاضر وقد نرح بعضهم إلى
الزبير .

وآل عبد المحسن وقد نرحوا جميعاً إلى الزبير .

وآل سليمان خضاري القصيم في بريدة والبكيرية والحبوب ، فقد رحل جدُّهم حمد
السليمان ويقال : سليمان الحمد إلى الشَّقَّة بالقصيم ، في منتصف القرن الثاني عشر
الهجري تقريباً ، وابتدع بها بئراً وسماها على اسم بلده (الحوطة) حيث لا زالت تعرف
بهذا الاسم ، وزوج أولاده الأربعة من إحدى نساء أسر الحمادي ومن هنا نشأ وهم بعض
الناس من أن نسبهم يعود للحمادي من عترة ، وربما لوجود أسرة أخرى باسم الخُضيري
في الشَّقة يعود نسبها للحمادي ولا تمت بصلة لآل الخضيري المذكورين .

فأرجو نشر هذا الايضاح في مجلة العرب واستدراكه في كتاب «جمهرة الأنساب»
في طبعته الثانية .

ولأستاذنا الجليل التقدير والمحبة ...

د. علي بن عبد العزيز الخضيري

الرياض في ١٤٠٢/٣/٢٤ هـ

بنو تميم في الجبلين

[نشرت « العرب » في سنتها الماضية ص ٩٤٩ الى ٩٥١ — كلمة للأخ عبد الرحمن بن زيد السويداء عن هذا الكتاب ، وقع فيها خرم في ص ٩٥٠ بين جمليتي : (وقد تحالف الاثنان) و : (أما تأسيسها) وما نقص صفحة كاملة من المقال ، ها هو نصها ، مع الاعتذار للكاتب الكريم :

وقد تحالف الاثنان (حَلَفَ دَمٌ وَلَزِمَ) يؤدي كل منها ما يؤديه صاحبه ويحلو بجلاء ، وبقي مفعول هذا الحلف في أحفادهم حتى مَنَّ الله علينا بالأمن والأمان في ظل حكومتنا الرشيدة .

أما أبو سعود المشار إليه فهو عبد العزيز بن سعود بن زيد بن إبراهيم بن زيد السويداء بن إبراهيم بن سعد آل جناح ، وهو قريب عهد وتوفي رحمه الله عام ١٣٢٠ هـ ولا يزال حفيد المباشر عبد الرحمن بن عبدالله على قيد الحياة .

٣ — ص ٣٥ — ذكر المؤلف أن الحمزان من بني تميم ، مع أنهم ليسوا منهم من شمر

ص ٣٥ — ذكر المؤلف أن العابر من بني تميم ، مع أنهم ليسوا منهم . من مصر .

٤ — ص ٣٨ سمى الروضة بـ (روضة الحفن) وغريب أن ينسب الأصل إلى الفرع ولو سماها روضة رَمَّان ، لكان أولى كما هو معروف .

٥ — ٣٩ — نص الأبيات كما رواها لي أحد الثقات :

وَأَدِيرُنِي اللَّيْلُ نَقَّتْ مِنْ عَيْوُنِي لَا وَأَحْلَوْلَا يَا شَخَالِيلَ رُمَّانُ
إِنْ جِيتَ لِلسَّمَرَةِ رِجَالُ نَحْوِي وَأَنْ جِيتَ رِيعَ الْبَكْرِ جَانِ ابْنِ حَمِيدَانَ
عِندَهُ جِزُورٍ وَالْعَرَبُ يَنْهَبُونِي وَيَنْهَبُ مُنْهُ رَاعُ الْغَزَالَةِ حَلِيَّانُ

وقد تكون هذه الرواية أقوى سبكاً وأعمق معنى .

٦ — ص ٥١ : مؤسس المستجدة لم يكن شعيباً وإنما هو هذلان بن حمدان

التميمي

□ خواطر جريئة :

العالم الجليل الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ — وزير التعليم العالي — لم تصرفه مشاغل المنصب على كثرتها عن البحث والدراسة ، وتدوين ما يعن له من آراء وأفكار تتعلق بحياة الأمة ، وتوجيهها وجهة الخير والصلاح . إنه يرى أننا : (نكون الجناة لو تركنا كل ما نستطيع بذله في سبيل بلوغ المستوى الأفضل) .

ومؤلفه القيم الذي دعاه « خواطر جريئة » ووصفه بقوله : (هذه الخواطر تهمني كثيراً ، لأنها ليست كلاماً عابراً أسطره يُقال : لقد كتب كذا وكذا .. لكنني أريد إسهاماً متواضعاً في (موكب الإصلاح) الذي يستدعي كل قلم وصوت ودم) .. وهذه الخواطر هي من الشمول بحيث يطول الحديث عما طرقت من موضوعات ، ثم إن كثيراً منها على حد من الإيجاز — مع وضوح المعنى — لو بسط القول فيه لتعدى الكلمات القليلة إلى ملء صفحات .

إنه من الكتب الجديرة بالقراءة — قراءة تعمق وفهم ووقوف عند كل جملة من جملة — وكفى .

والكتاب من منشورات (نهضة) الحلقة (٤٨) من سلسلة : (الكتاب العربي السعودي) مطبوعاً طبعاً حسناً في مطابع (شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر) في جدة — في ١٧٦ صفحة — وصدر هذا العام (١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م) .

□ أوراق مطوية :

الصديق الكريم الأستاذ الشيخ أحمد السباعي من أشهر رواد العلم والثقافة في هذه البلاد ، في التعليم وفي الصحافة ، وفي الأدب — والحديث عن آثاره وأعماله في هذه

رحمه الله حسبما روي لي العم عيسى بن سالم السويدي ، وحمود بن ناصر الحيدان رحمه الله عام ١٣٨١ هـ .

أما تأسيسها في الربع الأخير الخ .

النواحي الفكرية لا تتسع له صفحات محدودة ، وليس هذا محله .

وكتابه الذي أصدره (نادي الطائف الأدبي) هذا العام (١٤٠٢ هـ ١٩٨٢) بعنوان «أوراق مطوية» بجوي سبعة وخمسين بحثاً ، في موضوعات مختلفة ، في التاريخ والأدب والقصص والنقد وغير ذلك من معالجة جوانب حياتنا المعاصرة .

ويظهر أن الأستاذ الجليل كتبها ونشرها في فترات متباعدة من الزمن ، ثم جمعت في هذا الكتاب الذي به يسهل الإطلاع عليها والاستفادة منها .

ويقع الكتاب في ٤٢٠ صفحة — حسن الطباعة ، ورقاً وحرفاً ، إلا أن بعض (رواسم) العناوين سقطت عند الطبع ، فبدا بعض الأبحاث بدون عنوان ، كما في (ص ١٤٨) حيث سقط (روسم) : (طرائف من تاريخ جدة) .

رؤسم : كلمة عربية فصيحة لما يعرف بـ (إكليشيه) وقد استعملها بعض مشاهير الكتاب (أنظر مجلة «الزهراء»).

□ قرية الفاو : صورة للحضارة العربية :

وكتاب : «قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام ، في المملكة العربية السعودية» من الكتب التي تفيد المهتمين بدراسة الآثار ، عامة ، وفي هذه البلاد بصفة خاصة فقد بذل مؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيّب الأنصاري في تأليفه الوُسْعَ ، عَمَلًا وفكرًا وزمنًا استغرق ما يقرب من ربع قرن في البحث والتقيب عن آثار ذلك الموضع ، ثم أبرز نتيجة كل ذلك في هذا الكتاب المؤلف باللغتين العربية والانجليزية ، والذي حوى من الصور والرسوم المتقنة الملونة ما يجعل القارئ يحس بأنه يعيش بين الحُفَر ، منتقلًا إلى عالم يفصل بينه وبين الزمن الذي يعيشه الآن قرونًا (من القرن الثاني قبل الميلاد) وفي المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور الأنصاري لهذا الكتاب لمحات جديرة بالتعمق في التفكير ، فقد حاول الأستاذ الكريم منها أن يوضح جوانب جديرة بالإيضاح كتأثير الفن الإسلامي في العهد الأموي — وخاصة في فن العمارة — ص ٢٥ — لا بالحضارة البيزنطية كما يرى كثير من علماء الآثار .

إنَّ جهد الدكتور الأنصاري لجدير بالتقدير ، وإن ما قامت به (جامعة الرياض) في

مجال الدراسات الأثرية ، فكان من ثماره هذه الثروة البانعة لهو عمل جليل ، يُرجى أن يزداد تكاملاً وشمولاً .

وقد صدر الكتاب عن (جامعة الرياض) هذا العام (١٤٠٢ / ١٩٨٢ م) في ١٥٠ + ٥٨ القسم الانجليزي = ٢٠٨ من الصفحات الكبيرة ، والطباعة أنيقة حقاً ، والصور ملونة

وفي غلالة الكتاب ما يفهم منه أن هناك مجلدات عشرة عن (قرية الفاو) ستصدر :

- ١ — المعادن .
- ٢ — الأواني الحجرية .
- ٣ — المباخر وموائد القرابين .
- ٤ — الزجاج والحلي .
- ٥ — الفخار .
- ٦ — العمارة .
- ٧ — المسكوكات .
- ٨ — الكتابات والنقوش والمخرشات .
- ٩ — موجودات أخرى .
- ١٠ — الدراسة (التسلسل التاريخي) .

□ على مرافىء التراث :

استهل المؤلف الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب الأستاذ في كلية الآداب (جامعة الرياض) كتابه «على مرافىء التراث» بما ملخصه : (وفي هذه الصفحات يجد القارئ مجموعتين متميزتين من الدراسات والأبحاث ، تُمثَلُ وقفاتٍ للمؤلف على تلك المرافىء الزاخرة ، كتبت في فترات متفرقة ، ونُشرت في بعض المجلات ... المجموعة الأولى : دراسات عالجت بعض قضايا التراث العامة . والمجموعة الثانية : وقفات نقدية حول بعض ما نُشر) ..

وفي القسم الأول من الأبحاث : — بين التراث والمعاصرة — الميداني وكتابه

« الأمثال » — القصص الشعبية في مصادرنا القديمة — حول كتاب « الأمثال » المنسوب للقالبي — الجمل في تراث الجزيرة — مظاهر الطبيعة في الأمثال العربية القديمة — إنه شعر بدوي لا نبطي — من ملامح أحياء التراث في المملكة .

ويحوي القسم الثاني — دراسات نقدية لهذه المؤلفات : رحلة إلى نجد لأن بلنت — الطبيعة في الشعر الجاهلي — كعب بن مالك — معجم المصادر الصحفية — معجم جديد في ألفاظ العامة — ديوان يزيد بن مفرغ الحميري .

والأستاذ الدكتور أحمد — فيا عرض من أبحاث وفيها تصدّي لنقده من الكتب — شأنه شأن العالم الباحث عن الحقيقة بتجرّد وعمق دراسة وسعة اطلاع ، وعن خبرة بطرق النشر الصحيحة . ولهذا فؤله هذا — على إيجاز مباحثه يحوي من المعلومات ما لا يستغني عنه أيُّ معنيٍّ بدراسة التراث ، أو المتصدّي لنشر شيء من كتبه .

وقد قامت مكتبة (دار العلوم للطباعة والنشر) في الرياض بنشر هذا الكتاب ، فصدر عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) في ٢٢٨ صفحة بطباعة حسنة — لم يذكر اسم المطبعة —

□ معجم السفر :

العالم المحدث أحمد بن محمد الأصفهاني المعروف بـ (السلفي) بكسر السين (٤٧٢/ ٥٧٦ هـ) من مشاهير علماء عصره ، ومؤلفه «معجم السفر» من مصادر كتب التراجم ، لمن عاصرهم المؤلّف من العلماء ، واجتمع بهم ، وروى عنهم . وقد قامت الدكتورة ببيجة الحسني — من الباحثات العراقيات المعروفات — بتحقيق هذا الكتاب ، فصدر الجزء الأوّل منه في ٢٩٨ صفحة يحوي مقدمة ضافية عن المؤلف وعن الكتاب تقع في ١٠٨ صفحات — ثم التراجم من حرف الألف إلى الراء (رابعة) من ١٠٩ إلى ٢٦٦ وعددها ١٤٥ — ثم المصادر والمراجع التي بلغت ١٥١ ثم فهرس الأعلام المترجمين في الكتاب والأحاديث والشعر — وكل هذا يحسن أن يكون في آخر أجزاء الكتاب .

وجهد المحققة الفاضلة في تقويم النصوص ، وفي إيضاح بعض المعلومات المتعلقة

بالتراجم يَدُلُّ على سعة اطلاع وصبر وجلد ، وطَوَّل معاناة .

والكتاب من منشورات (وزارة الثقافة والفنون) في بغداد . وتاريخ طبعه بمطبعة (دار الحرية للطباعة) سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م والطباعة من حيث الورق والحروف حسنة ، إلا أن بعض الصفحات غير واضحة ، ومتداخلة .

والكتاب ممتع حقاً لطرافة أسلوبه ، وإيراد كثير من المقطوعات الشعرية أثناء التراجم ، مع اعتباره من المصادر التي لا يستغني المعنيون بدراسة تاريخ عصره — عن الرجوع إليه .

□ — الأعمش الظريف :

وكانت الحلقة الـ (٣٥) من سلسلة (المكتبة الصغيرة) التي تصدر — الآن — عن (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) في الرياض — بإشراف الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي — كانت الحلقة كتاباً ظريفاً لباحث محقق هو الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب الأستاذ في كلية الآداب في جامعة الرياض هو «الأعمش الظريف» وليس نكبةً هذا الأعمش ، إنه أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش (١٤٨ / ٦١ هـ) من كبار المحدثين والقراء .

لقد أوضح الدكتور المؤلف — في مقدمة الكتاب — (أَنَّ التَّرْتُمَ لم يَكُنْ صفةً غالبية على علمائنا) وأورد الأمثلة على ذلك من أفعال المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أقواله ، وهو القدوة ، وبه تكون الأسوة بتعمق وتفصيل ، مُحللاً مستنتجاً مُفصلاً ، مستوعباً دراسة سبعة وأربعين مصدراً من المؤلفات بين قديم وحديث .

ثم ترجم من ألَّفَ الكتاب باسمه .

ثم عرض من نوادره — فعلاً أو قولاً ما يربو على المئة ، عَرَضاً شيقاً ، يستهوي القاريء حتى يُبْهِى الكتاب مطالعة ، في صفحاته التي تبلغ ١٣٠ ، من القطع الصغير . والطباعة حسنة — وإن لم تخل من تطبيع — في مطابع الروضة ، في جدة ، وصدر الكتاب في العام الماضي (١٤٠١ هـ) .

- ٩ — عبدالله بن ثور العامري . — له قصيدة وقطعتان .
- ١٠ — مالك بن زرعة الباهلي . — له قصيدة .
- ١١ — أبو قردودة الطائي . — له قصيدة .
- ١٢ — عامر بن جُوَيْن الطائي . — له قصيدة .
- ١٣ — بشر بن عُلَيْق الطائي . — له قصيدة .
- ١٤ — مُحَرَّر بن المَكْعَبِر الضُّبِّي . — له قصيدة وخمس مقطوعات .
- ١٥ — عبدالله بن سليم الأزدي . — له ثلاث قصائد وثلاث مقطوعات .
- ١٦ — أبو الطَّمْحَان القيني . — له قصيدة طويلة ومقاطع نحو العشر .

وقد تحدث الدكتور عن كل شاعر من هاؤلاء وعن موضوع ما اختار من شعره ، وأوضح معاني الشعر ، ومصادره ، ووضع فهرس ستة وافية له ، فجاء الكتاب في ٢٦٨ صفحة بطباعة حسنة — صدرت عن (مؤسسة الرسالة) في بيروت هذا العام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

وحبذا لو تحققت أمنية طالما سمعنا بها ، وهي نشر كتاب «مُنْتَهَى الطلب» كاملاً — أي نشر الأجزاء الموجودة منه ، فيتمياً لدارسي الأدب مرجع من أوفى المراجع عن الشعر العربي .

وما أقدر الأستاذ الدكتور بحى على هذا العمل ، إنه به يُسَدِّي يداً للباحثين تذكر دائماً فنشكر .

□ الورقة والوراقون في التاريخ الإسلامي :

إنها كراسة خفيفة الحمل ، ولكنها تحوي دراسة تتصف بالعمق والتركيز في موضوعها . مع إمتاع أسلوبها وسهولة فهمه . مؤلفها الأستاذ (لطف الله القاري) وتقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير ، وهي الحلقة الـ (٣٧) من سلسلة (المكتبة الصغيرة) التي تصدر عن (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) .

صدرت هذا العام (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) عن مطابع الروضة في جدة .

□ لكل مثل قصة :

عنوان مجموعة من الأمثال والكلمات السائرة تبلغ الستين عدداً ، جمعها الأديب المعروف الأستاذ مناحي بن ضاوي القشامي مدير مدرسة جُنيْن ، في الطائف ، وقد صدرت له مجموعة أخرى بهذا العنوان ، من منشورات (نادي الطائف الأدبي) كهذه المجموعة التي هي الحلقة الـ (٦٣) من تلك المنشورات ، وتقع في ١٤٦ صفحة طبع (شركة مكة ، للطباعة والنشر) هذا العام (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

وفي هذه المجموعة طرائف ، وتضم أشتاتاً من الأمثال السائرة ، ومنها ما يتصل بالبادية وسكانها .

□ تذكرة عبور :

عنوان (مجموعة قصص) للأستاذ عبدالله سعيد جمعان — أحد الكتاب المعنيين بالقصة في هذه البلاد — وأحد أعضاء (نادي الطائف الأدبي) البارزين . وقصص هذه المجموعة : شمعة على الطريق — نداء بلا استجابة — تذكرة عبور — صورة أمي — قفل السلسلة — إشارة مرور — .

تقع في ١٣٨ صفحة مزينة بالرسوم ، وهي من (مطبوعات نادي الطائف الأدبي) الذي نشر قبلها : «رجل على الرصيف» و«القصاص» للمؤلف .

والطباعة جيدة في (مطابع الحارثي) لعلها في الطائف .

وصدرت المجموعة هذا العام (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

□ من آدابنا الشعبية :

هذا جزء ثانٍ من مجموعة أشعار عامية عنوانها : «من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية» صدر الجزء الأول منذ أعوام .

وهذا الجزء فيه : (قصص وأشعار لنساء العرب) ألفه الشيخ منديل بن محمد بن منديل الفهيد ، من أوسع أهل العصر حفظاً للأشعار الشعبية في قلب الجزيرة .

وهذه الأشعار والقصص متنوعة الأغراض ، تصور جوانب من حياة أهل هذه البلاد ، وتقع في ٢١٦ صفحة بطباعة حسنة — في مطابع الأهلية للأفست — في الرياض ، وصدر الجزء هذا عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

ولي رأي في هذا النوع من الشعر أوضحت في مقدمة الجزء الأول من كتاب «شاعرات من البادية» الذي أشرفت على طبعه وترتيبه .

غير أنني أصبحت الآن — بعد أن أصبح الرواة يتصرفون في ذلك الشعر — أنظر إلى ما ينشر منه في صحفنا أوبذاع نظرة أخرى ، إذ فقد كثير منه أهم مميزات ، وهي صحة نسبه لقائله ، مع صحة نصوصه .

□ الحَلَبَةُ في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام :

مؤلف هذا الكتاب محمد بن كامل التاجي من أهل القرن السابع الهجري — ليس مشهوراً — ومخطوطة الكتاب مع جودتها ناقصة ووحيدة .

وقد قام الأستاذ عبدالله الجبوري بتحقيق الكتاب ، بل أكمله بإضافة «معجم الخيل العربية المنسوبة» من صَنْعَتِهِ ، مما استقاه من عديد من الكتب المطبوعة ، وبذلك في سبيل ذلك جهداً لا يدرك مشقته ويعرف قدره سوى من عانى من الأمر ما عاناه .

وقد نشر (النادي الأدبي في الرياض) الكتاب في سلسلته الشهرية فجاء الحلقة الـ (٣٤) — في (٢٥٤) صفحة بطباعة حسنة ، (مطابع الفرزدق التجارية) في الرياض وتاريخ النشر (١٤٠١هـ — ١٩٨١م) .